

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى :-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾

المائدة

وَقَالَ تَعَالَى :-

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ
وَالْبُغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ

آية ٤ المتحنة

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

« أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْمَوَالَاةُ فِي اللَّهِ وَالْمَعَادَاةُ
فِي اللَّهِ وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ »

حديث حسن

المصباح

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَمْدُ

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعي منهجه وشريعته الى يوم الدين . أما بعد :

فإن من رحمة الله سبحانه وعظيم لطفه بخلقه أن جعل الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات السماوية ، وجعلها كاملة صافية نقيّة من كل شائبة ودخيل .

وكتب سبحانه وتعالى السمادة في الدارين لأتباع هذه الرسالة الذين قدروها حق قدرها وقاموا بها على ما يريد ربهم ومنها هم " أولياء الله " .

وكتب الشقاء والذلة على من حاد عن هذه الشريعة ، وتنكسب الصراط المستقيم وسماهم أولياء الشيطان .

وأصل هذه الرسالة العظيمة هو كلمة التوحيد " لا اله الا الله محمد رسول الله " هذه الكلمة العظيمة التي لأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين ، وقام سوق الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار ، والابرار والفجار . فهي منشأ الخلق والأمر ، والثواب والعقاب . . عليها نصبت القبلة ، وأسست الطة ، ولأجلها جردت السيوف للجهاد ، وهي حق الله على جميع العباد .

فهى كلمة الاسلام ، ومفتاح دار السلام ، وعنهما يسأل الأولسون
والآخرون ، فلا ^{تزلزل} قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن سالتين :

ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتكم المرسلين ؟

فجواب الأولى : بتحقيق " لا اله الا الله " معرفة واقـراراً

وعملًا ،

وجواب الثانية : بتحقيق " أن محمداً رسول الله " معرفة

واقراراً وانقياداً وطاعة " (١)

وقد مكث المصطفى صلى الله عليه وسلم مدة طويلة يعرض هذه

الكلمة على الناس ، فتابذه قومه العداء ورماه الناس عن قوس واحدة ،

ماعدًا من دخل فى دين الله .

وشاء الله سبحانه أن تنفوس هذه الشجرة المباركة فى نفوس

تلك العصبة المسلمة - أصحاب رسول الله - فنشأ من ذلك : الجيل

المثالى الذى كان طرازاً فريداً على غير مثال مسبوق ولا ملهوق .

لقد ضرب ذلك الجيل أروع الأمثلة فى سبيل هذه الدعوة

حيث مثلها واقعاً حيا تراه العيون وتطمئن لرويته القلوب .

كان التميز طابعهم منذ لحظة إعلان أحدهم " شهادة أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله " لأنه يعلم أن هذه الشهادة : تعنى

أنه أصبح على دين جديد ، فينفرد عن مجتمعه الجاهلى بهذه العقيدة

(١) مقدمة ابن القسيم لزاد المعاد ١ / ٣٤ تحقيق الارنؤوط . الطبعة

الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الناشر مؤسسة الرساله بيروت .

الجديدة ، ويشفر أيضاً في خلقه وسلوكه بشيء جديد لا عهد لـه
به من قبل .

وأدركوا أيضاً رضوان الله عليهم ! أن هذه الكلمة تعنى استملاء
المؤمن وعزته ورفعته ، وأنه هو الأعلى لأنه هو المسلم ، وأن عدوه
هو الذليل الأدنى لأنه هو الكافر .

وفهم سلف الأمة رضوان الله عليهم : أن حقيقة الإيمان " مركبة
من معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً ، والتصديق به
عقداً ، والقرار به نطقاً ، والانقياد له محبةً وخضوعاً ، والعمل به
باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة اليه بحسب الإمكان ، وكما له في الحب
في الله والبغض في الله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، وأن يكون
الله وحده إلهه ومعبوده .

" والطريق اليه : تجريد متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهراً
وباطناً ، وتغميض عين القلب عن الالتفات الى سوى الله ورسوله " (١)
ولما وقر هذا الإيمان في نفوسهم ، وخالط سويداء قلوبهم ،
وسلمت نفوسهم من حظ نفوسهم وجدت بينهم الرابطة الإيمانية والأخوة
الإسلامية التي جمعت بين أبي بكر الصري القرشي وبلال الحبشي ،
وسلمان الفارسي ، فجعلتهم صفاً واحداً ، يستظل براية هـذـه
العقيدة . ويجاهد من أجلها ، ويكون المؤمن فيهم أحب الى أخيه
المؤمن من شقيقه في النسب .

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٤٣ الطبعة الثالثة .

لقد تحققت الأُجوة ، التي تتبرأ من وشائج العرق والدم والأرض
إذا وقفت عائقاً في سبيل ما يريد الله .

وتحقق معنى " الأمة " في مواخاة المهاجرين والأنصار ، والتي
لم يحدث ولن يحدث مثلها قط في تاريخ البشرية أجمع تلك المواخاة
التي قامت من أجل إعلاء كلمة الله ، ونصرة رسوله والمؤمنين فوجدت
تلك النماذج الإيمانية الفريدة ، ووجدتنا صر على الحق وإجابة
امرأة طهوفه مظلومة قالت : وامعتصماه فهبت جيوش الإسلام لنصرتها
ونجدها بدافع من تلك العقيدة التي يأبى أصحابها الضيم لأى فرد
من أفراد المجتمع الاسلامي .

أهمية الموضوع إن الولاء والبراء هو الصورة العملية
لمقتضيات هذه العقيدة ، فلا يكون المسلم مسلماً حقاً إلا بتحقيق هذا
المفهوم العقدي الهام ، وأى انحراف في هذا المفهوم يؤدى الى
الانحراف عن الصراط المستقيم ، قال تعالى " إنما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
راكعون " ه ه المائدة .

والحجة

فحصر سبحانه وتعالى الولاية في الله والنصرة للمؤمنين فقط .
ولا يتحقق مفهوم " لا إله الا الله " بتحقيق الولاء والبراء ، فكما أنه
لا ولاء إلا لله فكذلك لا بد من البراء من كل معبود سواه . قال
تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ان قالوا
لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كقرنا بكم وسداً
بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده " ه
المتحنة " وان قال إبراهيم لأبيه وقومه اننى برآء مما تعبدون

الأ الذي فطرني فانه سيهد بين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون " ٢٦ - ٢٨ الزخرف . قال ابن القيم (أى جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل محبوب سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة لا إله الا الله ، وهي التي ورثها امام الحنفاء ، لأتباعه الى يوم القيامة " . (١)

وقد آل الأمر بالامانة الاسلامية في القرون المتأخرة الى التقهقر وترك مكان الريادة والقيادة للبشرية ، وما ذلك الا نتيجة لانحطاطها في عقيدتها ، حيث خلط ذلك النبع الصافي وعكر صفوه بما أستوردته المسلمون من الجاهليات اليونانية والفارسية والهنديه تحت اسم " الترجمة " و " الفلسفة " بل وصل الأمر بهم كما قال أحد العلماء " الى عدم النفرة من أهل مل الكفر ، وعدم جهادهم ، وانتقل الحال حتى دخلوا في طاعتهم ، وأطمأنوا اليهم ، وطلبوا صلاح دنياهم بذهاب دينهم ، وتركوا أوامر القرآن ونواهيه ، وهم يدرسونه آناً الليل والنهار ، وهذا لاشك أنه من أعظم أنواع السوء والانحياز الى ملة غير ملة الاسلام " (٢)

ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى في مواضع كثيرة خطورة موالاة الكفار وخطورة عدم البراءة منهم ، من ذلك قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن

(١) الجواب الكافي ص ٢١٣ .

(٢) هذه الكلمة للشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ، انظر الدرر

السنية في الاجوه النجدية ٧/٧ ط ٢ .

يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين " ٥٦ المائدة .
" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم
مؤمنين " ٥٧ المائدة

ولقد اخبرنا سبحانه أنه لا يجتمع في قلب بشرى حب الله ورسوله
وحب الكافرين فقال : " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الأيطان وأيديهم بروح منه . . الأيـهـ ٢٢
المجادلة . وقد نبه الله المؤمنين الى كيد اعداء هذا الدين
في غيوط آية من كتاب الله منها قوله تعالى : " ود كثير من أهل
الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم " .
١٠٩ البقرة . " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم " ١٢٠ البقرة .

" ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء " ٨٩ النساء . ولذلك
فانه من خلال هذه النصوص الواضحة يتحقق وعبدالله في أن يسلط
على من قرب اليهود والنصارى وسائر الكفار وأدناهم وجعلهم بطانة
وخاصة، ما سلط على اليهود حيث كتب عليهم الذلة والمسخر . لأن
المكر السيء لا يحق الا بأهله ، فمن سمع النصوص القرآنية والأحاديث
النبوية ثم والى اعداء الله فانه ان شاء الله قمين أن يحق الله
عز وجل به ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصفار
والخزي في الدنيا سوى العذاب المؤلم في الآخرة . ومن الأهم
وشاركهم في باطلهم ، فهو حري ان يشاركهم فيما أوعدهم الله

في التوراة والإنجيل والقرآن . (١)

ولقد برزت هذه الموالاة لاعداء الله في هذا العصر في صور كثيرة منها : محبتهم وتعظيمهم ، ونصرتهم على حرب أولياء الله ، وتحيية شريعة الله عن الحكم في الارض ورميها بالقصور والجمود وأنها لم تعد صالحة لمواكبة عصر العلم والتقدم الحضارى ، واستوردت القوانين الكافوة لتحل محل الشريعة الفراء ، ورمي كل من يطالب بشرع الله بالتعصب والرجعية والتخلف ، الى آخر تلك الالقاب وقام من يدعي أنه لا تعارض بين الاشتراكية والاسلام ، وبين الاسلام والعلمانية ، وبين الاسلام والنظم الوضعية .

بل قام فريق من العلماء بدعوة مشبوهة سميت بـ " زمالة الأديان والتقارب بينها " سا عين من وراء هذه الدعوة الى تدويب تمييز المسلم بهذه العقيدة الربانية .

وقام أناس ممن يتسمون باسمائنا ، وينطقون بلغتنا بدور الهدم في حياة المسلمين ، فكانوا أشر على هذه الامة من اعدائها الأصليين حيث هوجمت الشريعة الاسلامية ، وشكك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب الالتزام بها .

وقامت في العالم الاسلامي دعوات جاهلية تعتبر ردة جديدة في حياة المسلمين . (٢) كان من اسبقها دعوة اليهود المتسلمين في

(١) انظر رسالته لكارل على ابن النفريه اليهودى لابن حزم . تحقيق

احسان عباس ط سنة ١٣٨٠ هـ بالقاهرة .

(٢) بهذا مراجعة " ردة ولا أبا بكر لها " للاستاذ ابي الحسن الندوى

تركيا الذين نادوا بالقومية الطورانية واتخاذ الذئب الأغر شعلا.
لهذه النعرة الجاهلية الجديدة .

ثم تبعتها نعرة القومية العربية التي تنادى بفصل العرب عن
المسلمين .

بل وصل التطاول الى تجهيل علماء المسلمين وأنهم لا يفهمون
معنى النصوص القرآنية وملاسلتها حيث أنهم ذكروا أن الاسلام ميسر
المسلمين وشرفهم لأنهم عبدوا الله بحق ، وخص غيرهم بالدونية
لأنهم كافرون ﴿١﴾ وانا كان هذا كلاما قد قيل في المرحلة
السابقة - أي تاريخ الاسلام الطويل - فانه لا يمكن تعميم ذلك
على بقية مسيرة التاريخ البشرى !! (١)

وجاء من يدعمه فقال : ان تقسيم الدنيا الى دار حرب ودار
إسلام ليس تقسيما صحيحا لأن هذا يجعل المسلمين غير قادرين
على التعامل مع الناس من حولهم . (٢)

ومن قائل : انه لا سبيل للأمة العربية لكي تصبح أمة ذات قيادة
وحضارة الا اذا عادت الى تعليم ومناهج كلية " فكتوريا " لأنها
هي وحدها التي تطك زمام المنهج السليم الذي يربي في طالب
العلم روح التفكير السليم ولغة مخاطبة الغرب بالمصالح القومية
العربية .

(١) ، (٢) انظر العدد ٢٦٧ من مجلة العربي الكويتية
ربيع أول سنة ١٤٠١ هـ .

واخيرا جاء من يقول بكل جرأة : انه مسلم ماركسى ! ! وهنا تنشأ اسئلة كثيرة تحتاج الى اجابات صادقة وافيه مثل : لمن ينتمى المسلم ؟ ولمن يكون ولا وه ؟ وما حكم تولي الكفار ونصرتهم ؟ وما حكم الاسلام في المذاهب الفكرية التي يروج لها المستغفلون مسن أبناء أمتنا ؟

كيف ينبغي أن تكون صورة الولاء للمسلمين الذين يضطهدون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ؟ حيث تكالبت عليهم قوى الشر وال كفر ؟ ما هو طريق الخلاص وقد تقبل المسلمون لباس العبودية العقلية الذي خلعت عليهم المدنية الأجنبية ؟

والذي يستثير هذه الاسئلة كلها هو غياب المفهوم^{الصحيح} " لا اله الا الله " في الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم حيث مسخت مفاهيمها ، حتى صار من يقر بتوحيد الربوبية وحدها دون توحيد الألوهية يعتبر موحداً عند كثير من الناس .

اما كون لا اله الا الله ولا وبراء ، أما انها توحيد الوهية وعبادة فهذه معانٍ لا تخطر على أذهان أكثر الناس اليوم الا من رحم الله . ورحم الله الامام محمد بن عبد الوهاب حين قال : ان الانسان لا يتسقيم له إسلام - ولو وحد الله وترك الشرك - الا بعداوة المشركين كما ورد في سورة المجادلة " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناهم أو اخوانهم أو عشيرتهم - الآية .

وانطلاقاً من مجموع هذه الأمور ، وحبا في خدمة هذه العقيدة ورغبة في تغنيد الباطل وبيان الحق ، عقدت المزم واستعنت بالله في اختيار هذا الموضوع وسميته " الولاء والبراء في الاسلام "

خطة البحث

تكونت خطة هذا البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب وخاتمة .

أما المقدمة : ففيها بيان أهمية هذا الموضوع وخطته .

وأما التمهيد : فكان عن بيان حقيقة الاسلام معثلة في كلمة التوحيد وشروطها مع بيان أن الولاة والبراء من لوازم لا اله الا الله .

ثم رد على من زعم أن هذه الكلمة مجرد لفظ فقط ، واتهمت ذلك ببيان آثار الاقرار بهذه الكلمة في حياة الانسان .

ثم تكلمت عن نواقض لا اله الا الله ، وبيان حرص الإسلام على إظهار حقيقته وحقيقة ما يناقضه لتقوم بذلك الحججة على الناس . واستلزم ذلك الحديث عن أنواع الكفر والشرك والنفاق والسردة . وسبب الاطالة في هذا أمران :-

(١) أن الولاة والبراء جزء من هذه العقيدة - كما سنرى - فالحديث عنه يستلزم الحديث عن " لا اله الا الله "

(٢) ان معرفة هذه العقيدة أمر ضروري للمسلم ليكون ولاؤه وسواؤه بحسبها .

وأما الباب الأول : فكان عن مفهوم الولاة والبراء وفيه تسعة فصول . الفصل الاول : تكلمت فيه عن تعريف الولاة والبراء في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي .

والفصل الثاني : تحدثت فيه عن أهمية الموضوع في الكتاب والسنة ونصيبه من الدراسة والتأليف ، مبينا أن علم الكلام الذي غزا عقائد

المسلمين كان له دور كبير في غياب هذا المفهوم العقدي الهام .
والفصل الثالث : تحدث فيه عن أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وطبيعة
المداوة بينهما وقد وضحت في ذلك أن المعركة بين الفريقين قائمة
منذ آدم عليه السلام الى أن يرك الله الأرض ومن عليها ، لأن أولياء
الشيطان لا ينقسمون من أولياء الرحمن الا العقيدة ، فلذلك يسمون
بكل ما أوتوا من جهد لافساد هذه العقيدة ومحاولة محوها من الوجود
قال تعالى " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا"
٢١٢ البقرة . ومن هنا فان هذه المعركة لا تزال باقية مابقي الخير
والشر والحق والباطل . ومن ثم فلا التقاء مع اعداء الله في منتصف
الطريق ولا مداهنة ولا موالاة على حساب دين الله وشرعه .

الفصل الرابع : تكلمت فيه عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاء
والبراء مهينا أن الناس في هذا ثلاثة أصناف .

الاول : من يحب جملة وهو من آمن بالله ورسوله وقام بما أوجبه الله
عليه علما وعملا واعتقادا .

الثاني : من يحب من وجه ويبغض من وجه وهو المسلم الذي خلط عملا
صالحا وآخر سيئا فيحب ويوالي على قدر مآمعه من الخير ، ويبغض
ويمادى على قدر مآمعه من الشر .

الثالث : من يبغض جملة وهو من كفر بالله أو اشرك به .

ثم تكلمت عن موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب البدع والأهواء
ومن ذلك قول الامام مالك رحمه الله " من أحدث في هذه الأمة
شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خان الدين لأن الله تعالى يقول " اليوم أكملت لكم دينكم " فما لم يكن

يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا *

الفصل الخامس : سقت فيه أمثلة مضيئة من الأمم الماضية في تطهيرها للولاء والبراء ، فجاء ذلك في نقطتين :

الاولى ؛ عن ابراهيم عليه السلام لانه هو الاسوة الاولى في الولاة والبراء كما قال الله تعالى " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ان قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم المداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده " و المتحنة .

والثانية : عن نوح عليه السلام وموقفه مع ابنه الذي عصاه وأبى أن يستجيب لدعوته . ثم موقفه عليه السلام مع زوجته التي كانت تفتش سره لجبابرة قومها وطواغيتهم وكذلك الحال في امرأة لوط عليه السلام .

وعلى النقيض من ذلك امرأة فرعون ، ذلك الطاغية الجبار ، ان أن هذه المرأة المؤمنة استعلت على عرض الحياة الزائل وهو في أبهى صوره في قصر فرعون ، ووقفت - وهي الوحيدة المعزلة - في وجه ملكة عريضة قوية ، تقول أمام كل الضغوط " رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " ١١ التحريم . وتكلمت عن مؤمن آل فرعون ، وأخيرا عن أولئك الفتية الصالحات " أصحاب الكهف " .

الفصل السادس - تكلمت فيه عن الولاة والبراء في العهد العكسي ، وذلك انني أحببت أن اتبع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية منذ أول الدعوة الى وفاته صلى الله عليه وسلم لما لذلك من أهمية كبرى في معرفة تربيته صلى الله عليه وسلم لصحابته على مقتضيات هذه

المقيدة . التي منها الولاء والبراء .
أما الفصل السابع ؛ فكان عن الولاء والبراء في العهد المدني حيث
تكلت عن مواثاة المهاجرين والانصار ثم بعد ذلك تحدثت عن سمات
الولاء والبراء في العهد المدني . ومن ذلك :-

(١) الحديث عن كيد أهل الكتاب وتحذير الله للمسلمين من مولاتهم
(٢) النفاق والمنافقون وأثرهم في المجتمع الاسلامي . وكيف كانت
معاملة صلى الله عليه وسلم لهم ، شارحاً أبرز صفاتهم وأفعالهم
القبیحة .

(٣) المفاصلة التامة بين المسلمين وجميع اعدائهم وشمل حديث هذه
المفاصلة النقاط التالية :

- أ - صور البراءة من المشركين وذلك بعد نزول سورة براءة .
- ب - البراءة من أهل الكتاب .
- ج - البراءة من المنافقين .
- د - قطع ~~العلاقات~~ ^{المواصلة} مع الأقارب اذا كانوا معادين لله ورسوله .

أما الفصل الثامن ؛ فكان عن صور الموالاة ومظاهرها .

الفصل التاسع ؛ تحدثت فيه عن الرد على الخوارج والرافضة فيما
يخص عقيدة الولاء والبراء ، وذلك لأنهم انصرفوا بهذا المفهوم العقدي
الهام . فأما الخوارج فخرجوا على اجماع الأمة وكفروا مرتكب الكبيرة
ومن أجل ذلك لا يوالون الا من اعتقد بنحلتهن الفاسدة ويعادون كل من
خالفهم ، بل إن موقفهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
موقف مشين لأنهم يتبرأون من الصحابييين الجليلين عثمان بن عفان
وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما . وأما الرافضة ، ففرقة خاسرة يتسواون

من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونهم وينتقصونهم ،
ويكفرون معظم الصحابة الاجلاء .

الباب الثاني : بعنوان "من مقتضيات الولاء والبراء" وفيه سبعمائة
فصول :

الفصل الأول : الحب في الله والبغض في الله وذكرت في ذلك
انقسام المحبة الى أربعة أنواع :

١- محبة شركية وأصحابها هم الذين قال الله فيهم " ومن
الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله
والذين آمنوا أشد حبا لله " ١٦٥ البقرة .

٢- حب الباطل وأهله وبغض الحق وأهله وهذه صفة
المنافقين .

٣- محبة طبيعية كحب المال والولد إذا لم تشغل عن طاعة
الله ولم تعن على محارم الله فهي مباحة .

٤- حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك ، وهذه المحبة
هي أوثق عرى الايمان .

الفصل الثاني : تحدث فيه عن الهجرة وتفاصيل أحكامها وجمعت
الحديث فيها في ثلاث نقاط :

الاولى : عن الإقامة في دار الكفر وبينت فيه ما ذكره العلماء
أن المقيم بها واحد من ثلاثة أقسام

(١) ان يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم ، راضياً ما هم عليه

من الدين ، معاوناً عليهم على المسلمين بنفسه أو ماله

اولسا نه فهذا كافر عدو لله .

(٢) أن يقيم عندهم لأجل المال أو الولد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ، ولكنه لا يواليهم بقلبه ولا لسانه فهذا عاص لله بترك الهجرة الى دار الاسلام .

(٣) من لا هرج عليه في الاقامة بين اظهرهم وهم نوعان :

أ - من كان مثلها دينه متبرئاً منهم وما هم عليه ، ومبيناً لهم انهم ليهوا على حق بل انهم على باطل وهذا هو اظهار الدين فهذا لا تجب عليه الهجرة .

ب - من كان مقيماً عندهم وهو مستضعف فهذا قد رفع الله عنه وجوب الهجرة .

وبعد ذلك تحدثت عن السفر الى بلاد الكفار الحربية من أجل التجارة ، وأن ذلك فيه تفصيل ، كما هو موضح في موضعه ، وأشارت الى قضية الابتعاث ومدى خطورتها في افساد ابناء المسلمين الا من رحم الله .

الثانيه : تكلمت فيها عن التقية والاكراه ، ومتى تكون التقية ، وما هي شروط الاكراه وانواعه .

الثالثه : الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ، وبينت فيها ، ما نسخ وما بقي ، وما هي أنواع الهجرة .

الفصل الثالث : تكلمت فيه عن الجهاد في سبيل الله من أجل اعلاء كلمة الله مبيناً أنه لا حياة ولا عزة للامة المسلمة الا بالجهاد ، فلم يكن للمسلمين تميز وولاء خالص لدينهم الا يوم كان الجهاد هو شغلهم الاكبر لاخراج الناس من عبادة المباد الى عبادة الله ، وتخطيهم الطواغيت والأرباب التي تريد أن تعبد الناس لها من دون الله .

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن هجر أهل البدع والأهواء .
الفصل الخامس : انقطاع التوارث والنكاح بين المسلم والكافر .
الفصل السادس : النهي عن التشبه بالكفار ، والحرص على حماية
المجتمع الاسلامي . وبينت ما ذكره العلماء رحمهم الله حول : متى
تكون الموافقة ومتى تكون المخالفة . ثم تفصيل القول حول مخالفة
أهل الكتاب .

وبينت ما بين التشبه والولاية من علاقة ، وضربت لذلك مثلاً واحداً هو
"الأعياد" ثم تحدثت عن صورة مشرفة من صور التمييز في المجتمع الاسلامي
الأول ، تلك الصورة هي الشروط العمرية التي وضعت على أهل
الذمة ، فنصت على حماية المسلمين ، وعلى تمييز أهل الذمة
عن غيرهم مع اعطائهم حقوقهم التي شرعها لهم الاسلام في ظله .

الفصل السابع : تكلمت فيه عن التعامل بين المسلمين وبين غير
المسلمين وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : تحدثت فيه عن الفرق بين الموالاة وحسن المعاملة

يتقدم هذا : كلمة حول ما يسمى بزمانة الأديان ، حيث بينت

فساد هذه الدعوة التي لا تتفق مع مبدأ الاسلام وهدفه وهو عبادة

الله وحده لا شريك له . فكيف يقوم أناس من أهل العلم بدعوة

التوفيق بين التوحيد وبين الشرك المثل في النصرانية واليهودية

ولقد بينت في هذا المبحث - بعد تلك الكلمة - أن المعاملة

بالحسنى للذين لم يقا تلوا المسلمين ولم يظا هروا عليهم شيء ،

وموالاة الكفار شيء آخر ، مما ينبغي أن يعرفه فيه بيده الكفر والباطل ، من لو طلب
المفاهيم على الناس

المبحث الثاني : التعامل مع الكفار في البيع والشراء والوقف وعيادتهم

وتهنئتهم وحكم الإسلام عليهم ابتداءً ورداً .

المبحث الثالث : عن الانتفاع بالكفار وبما عندهم ووضعت ما يجوز
في ذلك وما يمنع .

الباب الثالث : الصورة التطبيقية للولاء والبراء في الماضي والحاضر
وفيه فصلان :

الفصل الاول : تحدث فيه عن كيف طبق السلف الولاء والبراء وأوردت
في هذا أمثلة إيمانية رفيعة فيها القدوة والعبرة لمن جاء بعدهم .

الفصل الثاني : في الوقت المعاصر : وقد تكلمت عن الصورة الهزيلة
للولاء والبراء بعد أن تفشى الفزو الفكري مبيناً أن هدف اعداء الله هو
كما قال واحد منهم وهو القس زويمر ان الهدف الوحيد هو " اخراج
المسلمين من اسلامهم ليصبح المسلم مخلوقاً لاصلة له بالله ، وتكلمت
عن ما يتعلق بالولاء والبراء في :

(١) في التربية والتعليم حيث سيطروا على المناهج في العالم
الاسلامي ، مشبعين تلك المناهج بالروح العلمانية والأفكار
الهدامة .

(٢) في وسائل الاعلام حيث أريد بها افساد المسلمين ومسح الاخلاق
التي تدعو الى التقيد بأمر الله وشرعه .

(٣) في نشر افكار ومناهج المستشرقين القائمة على روح التمصّب
الصليبي الحاقد على الاسلام وأهله ، فدأبت على التشكيك
في الاسلام ومفاهيمه ، واخرجت لنا أجيالاً هم أخطر على هذه
الامة من المستشرقين ومن وراءهم .

(٤) / المذاهب اللادينية الكافرة التي يبرز فيها التخطيط الدقيق

لتدويب ولاء المسلم وبرائه مثل القومية والوطنية والعالمية .

الخاتمة : وفيها بيان أن الاسلام هو طريق الخلاص وسبيل النجاة فلن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها فاذا رجعت الامة لفهم لا اله الا الله " وما تعنيه هذه الكلمة وصححت مفهوم العبادة وغيره من المفاهيم التي طمست معالمها ، ثم ربت جيلاً جديراً بحمل هذه العقيدة معتمداً على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيورة السلف الصالح ، حينئذ يخرج للناس جيل جديد يعيد للاسلام هيئته ومنعته وعزته وسلطانه ، وهذا باذن الله قريب والأمل معقود على هذا الجيل القادم الذى يخلص الامة من هذا الهوان والضياع وان نصر الله لقريب ان شاء الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وبعد : فاني أتوجه الى الله ذى العزة والجلال بالشكر والثناء الحسن على ما أفاض علي من نعمه و عا أمدني به من عون في إعداد هذا البحث ، فله الحمد فى الاولى والاخرة وله الحمد كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

ثم أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذى الجليل وشيخى الكبير الاستاذ محمد قطب المشرف على هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة حتى أصبحت بهذا الشكل ، الذى بذل لي وقته وجهده وفتح لي باب بيته وأرشدني في كل ما صعب علي . ويعلم الله أنه بذل لي هذا حتى وهو فى حل من الاشراف علي ، يوم أن فرغته الكلية لمدة سنة كاملة ، فإنه مع ذلك ظل يرشدني ويوجهني . فله مني خالص الشكر وعظيم الامتان وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزيه عني خير

ما يجزى به شيخ عن تلميذه ، ووالد عن ولده ان ربي ولي ذلك والقادر عليه .

كما اتقدم بالشكر أيضا للاستاذ كمال أبو النجا الذي أشرف لمسدة سنة على هذا البحث وأشكر فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبدالسرواق عفيفي عضو هيئة كبار العلماء فقد أفادني جزاء الله خيرا في لقاءات كريمة مع فضيلته ، ووضح لي ما أشكل علي في بعض المسائل .

كما أخص بالشكر سعادة الاستاذ الدكتور محمد الرشيد عميد كلية الشريعة السابق وأشكر سعادة الدكتور عليان الحازمي عميد الكلية الحالي وكافة المسئولين في هذه الكلية خاصة والمسئولين في الجامعة عامة . لما وفروه لنا من سبل البحث والدراسة وأشكر كل من أسهم في هذا البحث برأى أو فكرة أو مساعدة من الأخوة الزملاء وأخيرا فاني لا أزعم انني قد وفيت هذا البحث حقه الكامل ، ولكنني بذلت جهد المقل واجتهدت أن أصل بهالى الصورة التي تليق به ، فان اصبت فذاك ما أردت والفضل لله أولا وآخراً . وان كانت الاخرى فاستغفر الله لذنبى . وحسبى اني وضعت لبنة في طريق من يريد اكمال البناء .

وأقول كما قال السلف الصالح : رحم الله امرأ أهدى لى عيوبى " وأعنا مستمد للرجوع للحق اذا خالفته ، فالموء من هوأحق الناس باتبعاع الحق والصواب اذا بان له .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وسارك

على نبيه محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

التمهيد

لكل بناء قاعدة يعتمد عليها ، وتقوم أعمده وكامل اجزائه عليها
ولذلك فحديثي في الأبواب التالية بمد هذا التمهيد يركز كله على
ما ورد فيه . ومن هنا فإن الحديث هنا يتناول الموضوعات التالية :

- * حقيقة الاسلام الممثلة في كلمة التوحيد " لا اله الا الله محمد رسول
الله " ومدلول هذه الكلمة وشروطها .
- * الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد .
- * نواقض الاسلام : الشرك والكفر والنفاق والردة .

وهدفني من هذا هو : أن أحاول - بقدر الطاقة - إبراز
حقيقة الاسلام ، وحقيقة ما يناقشه . مع إبراز حقيقة قضية الولاء والبراء
ودورها في حياة المسلمين . لأن الولاء والبراء جزء من هذه العقيدة
فالحديث عنه يستلزم الحديث عن أساس هذه العقيدة وهي كلمة التوحيد .
ومعرفة هذه العقيدة معرفة صحيحة أمر ضروري للمسلم ليكون ولاؤه وسراؤه
بحسبها . ان من المحال أن تكون هناك عقيدة سليمة بدون تحقيق
الموالات والمعاداة الشرعية . ثم ان الوقوف على حقيقة دعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما أحدثته هذه الدعوة من تحول في تاريخ البشرية ،
وما بنته من حضارة ساعد بها الانسان المسلم منذ أول لحظة عرف فيها
ربه ودينه ونبيه : لأمر جدير بالتأمل ، تلك الدعوة التي جاءت وقد
كان الناس يمشون في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، ثم انقذتهم
واحييتهم بعد مات " أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي
به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " ١٢٢ الانعام .

ولقد أوضح حقيقة تلك الحال التي كانوا عليها الصحابي الجليل المقداد (١) بن الأسود رضي الله عنه فقال فيما رواه أبو نعيم في الحلية (. .) والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء ، في فترة جاهلية . ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفسوق بين الوالد وولده ، حتى ان الرجل لم يروى والده أو ولده أو أخاه كافرأ ، وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان ، ليعلم انه قد هلك من دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار ، وانهم للتي قال الله عز وجل " ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين " (٢) ٧٤ الفرقان . هذه الجاهلية التي تحدث القرآن عنها وهو يعتن على المسلمين بالهداية . قال تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " ١٠٣ آل عمران . ولما عرف الصحابة رضوان الله عليهم الجاهلية ، ثم عرفوا الاسلام ، خرجوا - نتيجة للتربية القرآنية والعناية النبوية - وهم أعظم جيل عرفه تاريخ هذه الدعوة. ترى ، ما سر تلك المعظمة التي نقرأ عنها

(١) هو المقداد بن الاسود . اسلم قديماً وشهد بدراً والمشاهد ، وكان فارساً يوم بدر . توفي سنة ٣٣ هـ قال بعضهم وهو ابن سبعين سنة . وكان ذلك بالجرف على بعد ثلاثة اميال من المدينة وحمل الى المدينة ودفن بها . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٢٨٥/١٠

(٢) حلية الأولياء لابن نعيم ١٧٥/١ وذكره صاحب كتاب حياة الصحابة ٢٤١/١ وقال ان الطبراني اخرجها ايضاً بمعناه بأسانيد في احدى يحيى بن صالح . وثقة الذهبي ، وقد تكلموا فيه ، وبقيت رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧/٦ .

ونسمع ، وكأنها شبه أحلام ، نظراً للهوة السنيحة التي وصلنا إليها ؟
ذلك الجيل الذي كان الواحد منهم إذا دخل في الإسلام خلع على عتبه
كل ماضيه في الجاهلية ، وانتقل نقلة بعيدة من عالم مظلم سحيق ،
وتصور قاصر ، ومفاهيم كليلية ، وعبودية للمال والعبيد ، إلى حياة
رحبة فسيحة ، وعالم يلوّاه نور الله ، وتصور كامل شامل ، واستملاء
على كل عبودية إلا العبودية لله عز وجل . (١)

إن سر ذلك النجاح ، وتلك العظمة هو نقطة البدء التي
بدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كلمة " لا إله إلا الله
محمد رسول الله " هذه الكلمة التي مزقت كل رابطة ، وأهدرت كل
وشيجة إلا وشيجة العقيدة . رابطة الحب في الله ، رابطة المواخاة
الإيمانية التي يتهاوى دونها كل عرق ودم وتراب وجنس ولون .

ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال - قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون
بجلالي . اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " (٢) .

(١) انظر معالم في الطريق للاستاذ سيد قطب ص ١٦ فصل جيل
قرآني فريد . طبع دار الشروق . وانظر كتاب : أبو بصير قمة
في العزة الإسلامية للاستاذ محمد حسن بريفتش ص ٤٧ ط ٢
سنة ١٣٩٧ هـ الناشر مكتبة الحرمين بالرياض .

(٢) صحيح مسلم كتاب البرج ٤ / ١٩٨٨ ح ٢٥٦٦ تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ / دار احياء
الكتب العربية وانظر المسند للإمام احمد ج ١٦ / ١٩٢ ح ٨٤٣٦
تحقيق الشيخ احمد شاکرط سنة ١٣٧٣ هـ دار المعارف بحصر
والموطأ ج ٢ / ٩٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ان من عباد الله لأناسا فاهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى " قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : " هم قوم تعابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس " وقسراً هذه الآية " ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (١) يونس:

• ٦٢

ولقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس الى هذه العقيدة ويمكنها في نفوس العصابة المسلمة ، مما جعل آثار ذلك تتعكس في أفعالهم الحميدة ، وجهادهم المستمر لنشر كلمة الله في الأرض ، حين قامت دولة المصطفى صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة .

ان الذي يجعلنا نتحدث عن قضية الألوهية ، ومفهومها الصحيح الذي جاء به الاسلام هو الحاجة الطاسة لشرحها اليوم ، وبيانها للناس . بحد أن نعرف الناس - الا من رحم الله - عن العقيدة . الصافية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن أبي داود كتاب البيوع ج ٣ / ٧٩٩ ح ٣٥٢٧ واسناده

صحيح . تعليق عزت الدعاس الطبعة الاولى سنة ١٣٩١ هـ

الناشر محمد علي السيد بسوريا .

لقد أصبحت هذه القضية عند سواد الناس اليوم مجرد لفظة ترددها الألسنة دون وعي وتدبر لمعناها ولوازمها ، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب ، بل تعداه إلى إيراد بعض النصوص للاستشهاد بها على ما يوفقنا من معتقد ، دون نظر لكامل النصوص في هذه القضية ، ودون رجوع إلى بيان ذلك في كتب أهل العلم من كتب الحديث وشروحها وكتب التفسير وشروح جهابذة رجال الدعوة والإصلاح على مدار تاريخ هذه الأمة .

ومسوخ أيضا مفهوم العبادة الشامل الكامل للحياة الدنيا والآخرة التي جزأ يسير منها وهو الشعائر التعمدية من صلاة وصيام وزكاة وحج .

أما النظام الذي تقوم عليه الحياة . أما الولاة لمن يكون ؟ والبراءة من يكون ؟ أما المحب لمن ؟ والبغض لمن ؟ فهذه معاني بعيدة عن تصورهم ومجال تفكيرهم !! ان هذا الدين لم يكن توحيد ربوية فحسب . وانما هو أيضا توحيد الوهية وتوحيد أسماء وصفات تليق بجلال الله وعظمته .

ونأمل - كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - حال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قام ينذر المشركين عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شعروا له ولأصحابه عن ساق المداوة ، وقالوا : سفسف أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم الهتنا ، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، ولكن

لما ذكر أنهم لا يُدعون ولا ينفمون ، ولا يضرّون ؛ جعلوا ذلك شتما .
فإذا عرفت هذا ، عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام - ولو
وحد الله وترك الشرك - الا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالمداوة
والبغض ، كما قال تعالى في سورة المجادلة " لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم
أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان . . . الآية ٢٢ .
فإذا فحمت هذا جيدا عرفت أن كثيرا من الذين يدعون الدين
لا يعرفونها - أي لا اله الا الله - والا فما الذي حمل المسلمين على
الصبر على ذلك والمذاب والأسر ، والضرب ، والهجرة للحيشة ، مع
أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم " (١)
وما دام أن هناك من يجهل حقيقة " لا اله الا الله " فلا بد
من الشرح لها والبيان لمداولها وحقيقتها ، وشروطها ونواقضها
ولو ازمها واليك ذلك مفصلا . ومن الله نستمد العون والسداد .

(١) مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهم ص ١٩ الناشر
دار الفكر بالقاهرة .

كلمة التوحيد * لا اله الا الله محمد رسول الله *

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : * ليس للقلوب سرور ولا لسفذة
تامة الا في محبة الله ، والتقرب اليه بما يحبه ، ولا تمكن محبته الا بالاعراض
عن كل محبوب سواه ، وهذا حقيقة * لا اله الا الله * وهي طة ابراهيم
الخليل عليه السلام وسائر الانبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم
أجمعين * (١)

ومن هنا كانت * لا اله الا الله * ولا * وبرا * ، نفيا واثباتا .
ولا * لله ولد ينه وكتابه وسنة نبيه وعباده الصالحين .
وبراء من كل طاغوت عبد من دون الله (٢) * فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى * ٢٥٦ البقرة .
وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : واعلم أن الانسان ما يصير
مؤمناً بالله الا بالكفر بالطاغوت والدليل هذه الآية * (٣) يعني الآية
السابقة ٢٥٦ سورة البقرة .

- (١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٢٨ / ٣٢٠ . جمع عبد الرحمن
ابن قاسم ط الاولى مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ .
(٢) عرف ابن القيم الطاغوت تعريفاً جامعاً فقال : الطاغوت كل ما تجاوز
به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم ممن
يتحاكمون اليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ،
أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطعمونه فيما لا يعلمون أنه
طاعة لله ، انظر فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص ١٦ ط ٢ سنه
١٣٧٧ هـ مطبعة انصار السنة .
(٣) الدرر السنية ج ١ / ٩٥ جمع عبد الرحمن بن قاسم .

وكلمة التوحيد ولا لشرع الله * اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم
ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون * ٣ الأعراف * فأقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها * ٣٠ الروم . وبرا من
حكم الجاهلية * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم
يوقنون * ٥٠ المائدة * ^{وعلماء من كل دين غير دينه} يؤمن ببيتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين * ٨٥ آل عمران ثم هي نفي وثبات .
تنفي أربعة أمور . وثبت أربعة أمور .

* تنفي : الالهة ، والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب .
فالالهة : ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر ، فأنت متخذة
السها . والطواغيت : من عبد وهوراض ، أو رشح للعبادة .
والأنداد : ما جذبك عن دين الاسلام ، من أهل ، أو مسكن ،
أو عشيرة ، أو مال : فهو ند لقوله تعالى * ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله * ١٦٥ البقرة .
والأرباب : من أفتاك بمخالفة الحق وأطمعته ، صداقا لقوله تعالى
* اتخذوا أهبأرهم ورهبانهم أربابا من دون الله * ٣١ التوبة .

وثبت أربعة أمور

القصد : وهو كونك ما قصد الا الله .

والتمظم والمحبة : لقوله تعالى * والذين آمنوا اشد حبا لله *
١٦٥ البقرة .

والخوف والرجاء : لقوله تعالى * وان يسسك الله بضر فلا كاشف له
الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده
وهو الغفور الرحيم * ١٠٧ يونس فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله

ولا تكبر عليه جهامة الباطل ، كما اخبر تعالى عن ابراهيم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بتكسير الأصنام ، وتبريته من قومه " قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا^{و بينكم} العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده " (١) ؛ المستحنة .

ولقد جاء القرآن من أوله الى آخره يبين معنى لا اله الا الله ، ينفي الشرك وتوابعه ، ويقرر الاخلاص وشرائعه ، فكل قول وعمـل صالح يحبه الله ويرضاه هو من مدلول كلمة الاخلاص ، لأن دلالتها على الدين كله إما مطابقة وإما تضمنوا^{يا} التزاماً ، يقرر ذلك أن الله سماها كلمة التقوى .

والتقوى : أن يثقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي ، واخلاص العبادة لله ، واتباع امره على ما شرعه ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : " ان تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله " (٢)

(١) بضع رسائل في عقائد الاسلام للشيخ محمد بن عبد الوهـاب ص ٣٥ تحقيق محمد رشيد رضا . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ هـ مطبعة المنار بصر .

(٢) انظر المورد العذب الزلال ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ / ٩٩ تحقيق رشيد رضا . الطبعة الاولى سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بصر .

أما كيف تم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة هذه الكفيسة
والتزام أحكامها والعمل بمقتضياتها ولوازمها فيشرح ذلك الامام الجليل
سفيان بن عيينة : (٢)

(حدث محمد بن عبد الطك المصيصي قال : كنا عند سفيان بن عيينة
في سنة سبعين ومائة ، فسأله رجل عن الايمان ؟ فقال : قول وعمل .
قال : يزيد وينقص ؟ قال : يزيد ماشاء الله ، وينقص حتى
لا يبقى منه مثل هذه ، وأشار سفيان بيده . قال الرجل : كيف نصلح
بقوم عندنا يزعمون : أن الايمان قول بلا عمل ؟ قال سفيان : كان
القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الايمان وحدوده . ان الله عز وجل
بعث نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كلهم كافة أن يقولوا :
لا اله الا الله ، وأنه رسول الله . فلما قالوها عصموا بها دماهم -
وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل ، فلما علم الله عز وجل
وجل صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالصلاة ، فأمرهم
ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الاول ولا صلاتهم . (٢)

(١) هو الامام ابو محمد سفيان بن عيينة الهلالي ، الحافظ ، أحمد
اعلام الاسلام ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي سنة ١٩٨ وله احاديث
وتسمون سنة قال فيه الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب
علم الحجاز وقال فيه احمد بن حنبل : ما رأيت أحداً أعلم بالسنن
من ابن عيينة وكان كبير القدر . ومن العباد . حج سبعين سنة
انظر شذرات الذهب / ١ / ٣٥٤ والاعلام / ٣ / ١٠٥ ط ٤

(٢) هكذا بالنص ، والذي بيدولي - والله اعلم - أن سياق الكلام
يقضي أن يكون هكذا " ما نفعهم الاقرار الاول " يدل على ذلك
مساياتي في بقية النص .

فلما علم الله جل وعلا صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالهجرة الى المدينة فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا مانفصم الاقرار الاول ولا صلاتهم ، فلما علم الله تبارك وتعالى صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع الى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبنائهم حتى يقولوا كقولهم ، ويصلوا صلاتهم ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا ، حتى أتى أهدهم برأس أبيه فقال : يا رسول الله : هذا رأس شيخ الكافرين ، فوالله لو لم يفعلوا مانفصم الاقرار الاول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ، ولا قتالهم ، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبیت تعبداً ، وأن يحلقوا رؤوسهم تذلاً ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا مانفصم الاقرار الاول ، ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتالهم آباءهم ، فلما علم الله عز وجل صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها ، فأمرهم ^{فمنها} حتى أتوا بها قليلاً وكثيراً ، والله لو لم يفعلوا مانفصم الاقرار الاول ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتالهم آباءهم ولا طوافهم . فلما علم الله تبارك وتعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من ^{حكم} الايمان وحدوده قال عز وجل : قل لهم " اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً " ٣ الطائفة .

قال سفيان : فمن ترك خلة من خلال الايمان كان بها عندنا كافراً ، ومن تركها كسلاً أو تنابها ، أو بئساً وكان بها عندنا ناقصاً . هكذا السننة أبلغها عني من سألك من الناس " (١)

وقد ذكر العلاء رحمهم الله شروطاً سبعة لـ " لا اله الا الله " لا تتفصح

صاحبها الا باجتماع هذه الشروط فيه . واليك شرحها :

(١) كتاب " الشريعة " لأبي بكر محمد بن الحسين الأجرى ص ١٠٤ الطبعة

الاولى سنة ١٣٦٩ هـ تحقيق محمد حامد الفقي . الناشر : طبعة

أنصار السنة المحمدية بمصر .

شروط " لا اله الا الله "

" ليس المراد من هذا عد الفاظها وحفظها ، فكلم من عاى اجتمعت فيه والتزمها ، ولو قيل له أعدد ها لم يحسن ذلك ، وكلم حافظ لالفاظها يجرى فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيرا فيما يناقضها والتوفيق بيد الله " (١)
وقد قال وهب بن منبه^(٢) لمن سأله : أليس " لا اله الا الله " مفتاح الجنة ؟ قال : بلى . ولكن ما من مفتاح الا وله أسنان ، فاعجبت بمفتاح له أسنان فتح لك ، والا لم يفتح لك . (٣)
وأسنان هذا المفتاح هي شروط " لا اله الا الله " الآتية :-

الشرط الأول: العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً ، الضانف للجهل بذلك قال تعالى " فأعلم أنه لا اله الا الله " ١٩ محمد وقال " الا من شهد بالحق " ٨٦ : الزخرف أى : بلا اله الا الله " وهم يحطون " بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم . وقال تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم " ١٨ آل عمران وفى الصحيح عن عثمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة " (٤)

- (١) معارج القبول للشيخ حافظ الحكيم ج١/٣٧٧ الطبعة الاولى تصوير ادارات البحوث العلمية بالرياض .
(٢) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني روى عن أبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وابن عمرو وغيرهم . قال المجلسي : تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء ووثقة أيضا : ابو زرعة والنسائي وابن حبان . كان مولده سنة ٣٤ هـ ووفاته سنة ١١٠ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١١/١٦٧
(٣) رواه البخارى تعليقا فى كتاب الجنائز باب من كان آخر كلامه لا اله الا الله ج٣/١٠٩ .
(٤) معارج القبول ١/٣٧٨ وانظر الجامع الفريد ص ٣٥٦ . والحديث مروى فى صحيح مسلم : كتاب الايمان ج١/٥٥ ح ٢٦ تحقيق محمد فواد عبد الباقي .

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك . ومعنى ذلك : أن يكون قائلها مستيقنا بدلول هذه الكلمة ، يقينا جازما ، فان الايمان لا يفنى فيه الا علم اليقين لا علم الظن . (١) قال تعالى " انما المؤمنون الذين آمنوا باللّه ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " ١٥ الحجرات .

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما الا دخل الجنة " (٢) وفي رواية " لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة " وعن أبي هريرة أيضا من حديث طويل " من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا اله الا الله مستيقنا بهما قلبه فبشره بالجنة " (٣)

وقال القرطبي : في " الفهم على صحيح مسلم " : باب لا يكفي مجرد التفظ بالشهادتين ، بل لابد من استيقان القلب . وهذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التفظ بالشهادتين كاف في الايمان ، وأحداديت هذا الباب تدل على فساد . بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق ، والحكم للمنافق بالايمان الصحيح وهو باطل قطعا " (٤) .

(١) معارج القبول ١/٣٧٨ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ج١/٥٦ ح ٢٥٧ .

(٣) " " " " ج١/٦٠ ح ٣١ .

(٤) فتح المعيد ص ٣٦ .

الشرط الثالث : القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ، وقد قضى الله عز وجل علينا من أنبياء ما قد سبق من إنجاء من قبلها ، وانتقامه ممن ردوها وأباها كما قال تعالى " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جثتكم بأهدى ما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ، فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذابين " ٢٣ - ٢٥ الزخرف .

وقال تعالى " ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين " ١٠٣ يونس . ويقول تعالى " انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انا لطاركو الهتنا لشاعر مجنون " (١) ٣٥ - ٣٦ الصافات .

الشرط الرابع : الانقياد لما دلت عليه ، المنافي لترك ذلك . قال تعالى " وأنبئوا الى ربكم وأسلموا له " ٥٤ الزمر وقال " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن " ١٢٥ النساء . وقال " ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى " ٢٢ لقمان أى بلا اله الا الله . وفى الحديث " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " (٢) وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

وقال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

(١) معارج القبول ١ / ٣٨٠ .

(٢) معارج القبول ١ / ٣٨١ وانظر الرسالة الخامسة حول لا اله الا الله المطبوعة مع " الكلمات النافعة " للشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب ص ٧٣ ط ١٤٠٠ / ٢ هـ السلفيه بمصر . والحديث مروى فى : الاربعين النووية للامام النووى ص ١٣٤ الحديث الحادى والاربعون الطهيمية الثانية سنة ١٩٧٣م الناشر مطابع قطر قال النووى : وهو حديث حسن صحيح ريبناه فى كتاب الحجّة باسناد صحيح .

فى أنفسهم حرجا ما قضيت ويسلموا تسليما " ٦٥ النساء قال ابن كثير رحمه
الله فى تفسيرها : يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة القدسة أنه لا يؤمن
أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع الأمور فما حكم به فهو
الحق الذى يجب الاتقياء له باطنا وظاهرا ، ولهذا قال " ثم لا يجدوا فى
انفسهم حرجا ما قضيت ويسلموا تسليما " أى ؛ اذا حكموك يطيعونك فى
بواطنهم فلا يجدون فى انفسهم حرجا ما حكمت به ، وينقادون له فى الظاهر
والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير مانعة ولا مدافعة ، ولا منازعة ،
كما ورد فى الحديث " والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
تبعاً لما جئت به " (١)

الشرط الخامس : الصدق الصانف للكدب ، وهو أن يقولها صدقا من قلب ،
يوافق قلبه لسانه ، قال تعالى " ألم ، احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا
آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين " (٢) العنكبوت ١ - ٣ .

وقال تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين
يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون " ٨ - ١٠ البقرة .

(١) تفسير القران العظيم للحافظ ابن كثير ج ٢ / ٣٠٦ تحقيق عبدالعزیز
غنىم ومحمد عاشور ومحمد البنا . ومطبعة الشعب والحديث سبق

تخریجه فى ض ٣٣٣ .
(٢) معارج القبول ١ / ٣٨١

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار " (١)

قال العلامة ابن القيم : " والتصديق بلا اله الا الله يقتضى الانعان والاقرار بحقوقها وهي شرائع الاسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة ، بالتصديق بجميع أختياره وامثال اوامره واجتناب نواهيه . . فالصدق بها على الحقيقة هو الذى يأتى بذلك كله ، ومعلوم أن عصمة المال والدم على الاطلاق لم تحصل الا بها وبالقيام بحقها ، وكذلك النجاة من العذاب على الاطلاق لم تحصل الا بها وبحقها " (٢) وفي الحديث : قال صلى الله عليه وسلم " شفاعتى لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه " (٣)

وقال ابن رجب : " أما من قال : لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، وتقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى . " ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله " القصص . ٥ " ولا تتبع الهوى فيضلل عن سبيل الله (٤) ٢٦ ص .

(١) صحيح البخارى / كتاب العلم ج ١ / ٢٢٦ ح ١٢٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المطبوع مع فتح البارى بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٨٠ الطبعة الاولى . وانظر اللؤلؤ لؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ / ٨ ح ٢٠ تصوير المكتبة الاسلامية بيروت .

(٢) التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص ٣ ٤ تعليق طه يوسف شاهين . الناشر مكتبة القاهرة . بمصر .

(٣) أخرجه الحاكم فى كتاب الايمان من مستدركه ١ / ٧٠ وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبى .

(٤) كلمة الايمان : ٢٨

الشرط السادس : الاخلاص ، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك . (١) قال تعالى * الا لله الدين الخالص * ٣ الزمر وقال تعالى ؛ * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء * والبيئة وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم * أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه * ؛ ونفسه * (٢) وفي الصحيح عن عتبان بن مالك (٣) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : * إن الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله ينتفى بذلك وجه الله عز وجل * (٤)

وللنساء في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة . عن النبي صلى الله عليه وسلم * من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الطك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصا بها قلبه ، يصدق بها لسانه ، الافتق لله^{لها} السماء فتقاً حتى ينظر الى قائلها من أهل الأرض ، وحق لمبعد نظمو الله اليه ان يعطيه سوءه . (٥)

-
- (١) معارج القبول ٣٨٢/١ وانظر الجامع الفريد ص ٣٥٦ .
(٢) صحيح البخارى كتاب العلم باب الحرص على الحديث ج ١/١٩٣ ح ٩٩
(٣) هو عتبان بن مالك بن العجلان الخزرجى السالمى الانصارى . بدرى عند الجمهور . كان امام قومه فى بنى سالم . وذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين عمر . وقد مات فى خلافة معاوية . انظر الاصابة لابن حجر ٤٥٢/٢ .
(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد ج ١/٤٥٦ ح ٢٦٣
(٥) أورد هذا الحديث ابن رجب فى كلمة الاخلاص ص ٦١ وقال فيه الالبانى : عزاه فى الجامع الكبير (٢/٤٧٧/١) عن يعقوب بن عاصم قال : حدثنى رجلان من الصحابة . ويعقوب هذا من رجال مسلم ووافقه ابن حبان فان كان السند اليه صحيحا فالحديث ثيبه .

ويقول الشيخ القاسمي رحمه الله : " ان القصد هو توحيد المعبود في توحيد
الوجهة ، ودرء الفرقة كما قال تعالى "أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (١)
٣٩ يوسف .

ان الاسلام لا بد فيه من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه
وهذا حقيقة " لا اله الا الله " فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك ، والله
لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى
" ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم وآخرين " (٢) ٦٠ غافر .

الشرط السابع : المحبة لهذه الكلمة ، ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها
العاطلين بها المتزمين لشروطها ، وينبغي مناقض ذلك ، قال تعالى " ومن
الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ووالذين آمنوا
أشد حبا لله " (٣) ١٦٥ البقرة .

وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا من يوتد منكم عن دينه فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في
سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " ٥٤ المائدة . وفي الحديث : " ثلاث
من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما
سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر

(١) محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ج ١٤/١٤٣٨

تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . ط ١/١٣٧٦ هـ دار احياء الكتب .

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥٤ والتحفه العراقيه لابن تيمية

ص ٤١ .

(٣) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص ١٤ ط ٣ سنة ١٣٩٩ هـ الناشر

ادارات البحوث العلمية بالرياض وانظر معارج القبول ج ١/٣٨٣

والجامع الفريد ص ٣٥٦ .

بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " (١)
قال الشيخ حافظ الحكيم رحمه الله (٢) : " علامة حب العبد ربه : تقديم محابه وان خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربه وان مال اليه هواه ، وموالاته من والى الله ورسوله . ومعاداة من عاداه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، واقتفاء أثره وقبول هدايته " (٣)
ويقول ابن القيم في التونية :

شرط المحبة ان توافق من تحب على محبته بلا عصبية ان
فاذا ادعيت له المحبه مع خيلا فك ما يحب فانت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعسى حبا له ما ذاك في امكان
وكذا تعادى جاهدا أحببته أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبوبة مع خضوع القلب والأركان

* * *

الى أن يقول :
ولقد رأينا من فريق يدعى الا سلام شركا ظاهرا للتبيان
جعلوا له شركاء والوهم وسو وهم به في الحب لا السلطان (٤)

- (١) صحيح البخارى كتاب الايمان ج١/٦٠ ح ١٦ وصحيح مسلم كتاب
الايمان ج١/٦٦ ح ٤٣ .
(٢) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكيم . عالم سلفى من منطقة
تهامة ولد سنة ١٣٤٢ هـ بقريه السلام بالقرب من جيزان . كان آية
فى الذكاء وسرعة الحفظ والفهم . تتلمذ على الشيخ الداعية عبد الله
القرعاوى . وكان ذا علم وتقوى وعفة . وتوفى رحمه الله سنة ١٣٧٧ هـ
وعمره ٣٥ سنة . انظر ترجمته بقلم ابنه احمد بن حافظ فى أول معارج
القبول الجزء الاول .
(٢) معارج القبول ١/٣٨٣ .

(٤) التونية ص ١٥٨

الولاء والبراء من لوازم لا اله الا الله

(لما كان أصل الموالاة : الحب . وأهل المعاداة : البغض .
وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة
كالنصرة والأنس والمعاونة ، وكالجهاد ، والهجرة ، ونحو ذلك) (١) فإن
الولاء والبراء من لوازم لا اله الا الله . وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة .
أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم
تقاهُ ويحذركم الله نفسه والى الله المصير " ٢٨ آل عمران ويقول تعالى " قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم .
قل أطيعوا الله والرسول ، فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين " ٣١ - ٣٢ آل
عمران ويقول تباركت اسماءه : عن أهداف أهداء الله " ودوا لو تكفرون كما
كفروا فتكونون سواء " ، فلا تتخذوا منهم أولياء^{حتى} يهاجروا في سبيل الله " .
٨٩ النساء .

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء
بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين " ٥١ المائدة
" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبون^ه أذن على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " ٥٤ المائدة
أما الأحاديث والآثار : فكثيرة وانذكر منها :-

(١) الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
ص ٢٩٦ تصحيح عبدالرحمن الرويشد ، طبع سنة ١٣٩٨ هـ بـسـدار
العلوم بمصر .

- (١) مارواه الامام أحمد بن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على أن " تنصح لكل مسلم ، وتبرأ من الكافر " (١)
- (٢) روى ابن أبي شيبة بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله " (٢)
- (٣) روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اوثق عرى الايمان الموالاتة في الله والمعاداتة في الله ، والحب في الله والبغض في الله " (٣)
- (٤) أخرجه ابن جرير ومحمد بن نصر ^{المرجزي} عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فانما تتال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلواته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " (٤)

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا : قوله " ووالى في الله " هذا بيان للازم المحبة في الله ،

-
- (١) المسند للامام احمد ج ٤ / ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ط ٢ / سنة ١٣٩٨ هـ / الناشر المكتب الاسلامي وهو حديث حسن .
- (٢) الايمان لابن بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة في سنة ٢٣٥ هـ ص ٤٥ ، تحقيق الالباني وقال الالباني : أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن / المطبعة العمومية بدمشق وانظر المسند ٢٨٦ / ٤ .
- (٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١ / ٦٩ ، وقال الالباني : حديث حسن . انظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ٣٤٣ ح ٢٥٣٦ .
- (٤) حلية الاولياء عن ابن عسار ١ / ٣١٢ وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٠ ط ٣ / ١٣٨٢ هـ الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر .

وهو الولاية فيه ، إشارة الى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب ، بل لابد
مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب ، وهي النصرة والاكرام ، والاحترام
والكون مع المحبوبين باطنا وظاهرا . وقوله " وعادى في الله " هذا بيان
للإلزام البغض في الله ، وهو المعاداة فيه . أى اظهار العداوة بالفم
كالجهاد لاعداء الله ، والبراءة منهم ، والبعد عنهم باطنا وظاهرا ، إشارة
الى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب ، بل لابد مع ذلك من الأتيان بلازمة
كما قال تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا
لقومهم أنا براء منكم وما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا ، حتى تؤمنوا بالله وحده " (١) الممتحنة : ٤

قلت : وما سبق يتضح أن الولاء في الله هو محبة الله ونصرة دينه ، ومحبة
أولياؤه ونصرتهم ، والبراء هو بغض أعداء الله ومجاهدتهم . وعلى ذلك
جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول ب : " أولياء الله " ، والفريق الثاني
ب : " أولياء الشيطان " قال تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من
الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى
الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " ٢٥٧ البقرة .

وقال تعالى " الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان ضعيفا " ٢٦ النساء .

(وأعلم أن الله سبحانه لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء ، كما
قال تعالى " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى

(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله
ابن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٢٢ الناشر ادارات البحوث العلمية
 بالرياض . بدون تاريخ .

بعضهم الى بعضى زهرف القول غرورا " ١١٢ الانعام ، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكذب وحجج كما قال تعالى * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم " ٨٣ غافر . . . والواجب على المسلم ان يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحا يقاتل به هو " لا الشياطين ، ومن ثم لا خوف ولا حزن لان * كيد الشيطان كان ضعيفا " ٧٦ النساء ، والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى * وان جندنا لهم الغالبون " ١٧٣ - الصافات فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان) . (١)

وانا كانت أهداف أعداء الاسلام من ملحدين ويهود ونصارى ومستشرقين وصهيونية عالمية وشيوعية عالمية هي تميع عقيدة المسلمين ، وتدويب شخصيتهم المتفرده ، لجعلهم حميرا للشعب المختار كما تنص على ذلك بروتوكولات حكما صهيون . فانه يتضح لدى المسلم أهمية هذا الموضوع حتى يحذر ~~من~~ ومن معه ، بل يحذر ~~من~~ المسلمين عامة ، من الانزلاق في مهملات الردى خاصة وأن الدعوات المشبوهة الملحدة تدعو الى ما يسمى بالاخوة والمساواة وأن الدين لله والوطن للجميع . وسوف أتعرض لهذا بالتفصيل ان شاء الله في الباب الاخير .

فبان بهذه الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة أن الولاء والبراء ممن لوازم لا اله الا الله * وهو أيضا تحقيق معناها كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " ان تحقيق شهادة ان لا اله الا الله يقتضى أن لا يحب الا لله ،

(١) بتصريف : انظر كشف الشبهات للإمام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ ط ٣ /

١٣٨٨ هـ الناشر مؤسسة النور بالرياض . وانظر مجموعة الرسائل

ولا يبيغض الا الله ، ولا يوالي الا الله ، ولا يعادي الا الله ، وأن يحب ما أحبه
الله ويبغض ما أبغضه الله * (١) ويوالي المؤمنين في أى مكان حلوا ويمسك
الكافرين ولو كانوا أقرب قريب.

(١) الاحتجاج بالقدوس ٦٢ ط سنة ١٣٩٣ هـ المكتب الاسلامى .

الرد على من زعم أن كلمة التوحيد لفظ فقط

مع بيان المذهب الصحيح في الأحاديث
الواردة بخصوصها

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : " ليس التوحيد مجرد اقرار العبد بأنه : لا خالق الا الله ، وأن الله رب كل شىء ومليكه ، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون ، بل التوحيد يتضمن من محبة الله ، والخضوع له ، والذل له ، وكمال الانقياد لطاعته ، واخلاص العبادة له ، واردة وجهه الاعلى بجميع الاقوال والاعمال ، والمنع والعطاء ، والحب والبغض ، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية الى المعاصى والاصرار عليها ، ومن عرف هذا عرف قول النبي صلى الله عليه وسلم " : ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله " (١) وقوله " لا يدخل النار من قال لا اله الا الله " (٢) وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث ، التي أشكلت على كثير من الناس ، حتى ظننها بعضهم منسوخة ! وظننها بعضهم قيلت قبل ورود الاوامر والنواهي واستقرار الشرع ، وحملها بعضهم على نكار المشركين والكفار ، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال : المعنى لا يدخلها خالداً ، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهه . فان الشارع هلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط ، فان هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ، لأن المنافقين يقولونهم بالسنتهم ، وهم تحت الجاهدين لها في الدرك الأسفل من النار .

(١) سبق تخريجه ص ٣٦

(٢) سبق الكلام عليه في شروط لا اله الا الله .

بل لا بد من قول القلب ، وقول اللسان . وقول القلب : يتضمن من معرفتها والتصديق بها ، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والاثبات ، ومعرفة حقيقة الالهية المنفية عن غير الله ، المختصة به ، التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيام هذا المعنى بالقلب علما ومعرفة ويقينا وحالا : ما يوجب تحريم قائلها على النار .

وتأمل حديث البطاقة (١) التي توضع في كفة ، ويقابلها تسعة وتسعون سجلا ، كل منها مد البصر ، فتشغل البطاقة وتطيش السجلات ، فلا يعذب صاحبها ومعلوم ان كل موحد له مثل هذه البطاقة ، . . . ولكن السرا الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حمل له ما لم يحصل لغيره ممن أرباب البطاقات .

وتأمل أيضا ما قام بقلب قاتل المائة (٢) من حقائق الايمان التي لم تشغله عند السياق عن السير الى القرية فجعل ينوء بصدرة ، ويمالج سكرات الموت ، لأن ذلك كان أمرا آخر ، وايمانا آخر ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة . وقريب من هذا ما قام بقلب البغي (٣) التي رأت ذلك الكلب وقد أشتد به العطش ، يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة ، وعدم المعين ، وعدم من ترائيه بعلمها : ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البرء ، وملء الماء في خفها ، ولم تعبأ بتعرضها للتلطف وحملها خفها بغيبها وهو ملان حتى امكنها الرقي من البرء ، ثم

(١) أخرجه الامام احمد في مسند عبدالله بن عمرو ج٢/٢ ط٢ وسنده حسن واخرجه الترمذي في الايمان ٧/٢٩٥ ج ٢٦٤١ ورجاله ثقات فالحديث صحيح .

(٢) صحيح البخاري كتاب الانبياء ج٥١٢/٦ ح ٣٤٧٠ وصحيح مسلم

كتاب التوبة ج٤/٢١١٨ ح ٢٧٦٦ .

(٣) صحيح مسلم كتاب السلام ج٤/١٧٦١ ح ٢٢٤٥ .

تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضره ، فأسكت له الخسف
بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا . فأحرقت أنوار هذا
القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فففر لها " (١)

وقد ^{روى} في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم " من قال : لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله " (٢)
يقول محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا اله الا الله فانه لم يجعل التلغظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها
مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعوا لا الله وحده لا شريك
له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله
فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . (٣)

ومن هنا نعلم فساد عقيدة المرجئة (٤) : الذين يقولون : ان الايمان
هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط وأخروا المعامل عن الايمان .

ومن المعلوم أن كفار مكة قد علموا مراد النبي صلى الله عليه وسلم مسن
كلمة لا اله الا الله ، فأبوا واستكبروا ولم يك ينقصهم ايمانهم بأن الله واحد
رازق محيى مميت . ولما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا : لا اله الا الله
قالوا : " أجعل الالهية الها واحدا ان هذا الشي عجاب " ه سورة ص
(فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالمعجب ممن يدعى الاسلام ،

-
- (١) مدارج السالكين لابن القيم ج ١ / ٣٣٠ - ٣٣٢ بتصرف بسيط .
(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٥٣ ح ٢٣ .
(٣) كتاب التوحيد ص ١١٥ الخطبوع مع فتح المجير ط ٧ / ١٣٧٧ هـ بتحقيق
محمد حامد الفقى . الناشر مطبعة انصار السنة بمصر .
(٤) المرجئة : من الارجاء . بمعنى التأخير ، وهم يقولون ان الايمان هو
الاقرار فقط . انظر مقالات للإسلاميين للاشمري ج ١ / ٢١٤ والفرق بين
الفرق للبغدادي ص ٢٠٢ .

وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلغظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني ، والحاذق من يظن أن معناها : لا يخلق ولا يوزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمر كله الا الله ، فلا خير في رجل جهال الكفار ، أعلم منه بمعنى لا اله الا الله (١) ويتابع الامام محمد بن عبد الوهاب رده عليهم فيقول : وهنا شبهة : وهي قول من يقول : ان النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال : " لا اله الا الله " (٢) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله " (٣) وأما حديث آخر ، فمضى الكف عن قائلها . ١٤ !

ومراد هؤلاء الجهلة : أن من قائلها لا يكفر ، ولا يقتل ولو فعل ما فعل (٤) فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون " لا اله الا الله " وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار . (٥) وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البصم كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله ، وأن من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قائلها :

فكيف لا تنفعه اذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ١٤ .

(١) مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ج ٥ / ١٥٥ ط ١ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٢) في صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٩٧ ح ٩٧

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ ص ٥١ ح / ٢٠

(٤) وهذه هي دعوى المرجئة . انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

(٥) هم الفلأق الذين ادعوا الوهية على رضي الله عنه .

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الاحاديث . فمعلوم أن الرجل اذا
أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك كما قال تعالى
" يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا " ٩٤ النساء . أى
فتثبتوا . فدللت الآية على وجوب الكف حتى يتثبت منه ، فاذا تبين منه
بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل لقوله تعالى " فتبينوا " ولو كان لا يقتل
اذا قالها لم يكن للثبوت معنى .

وأيضاً أمره صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج " أينما لقيتموهم فاقتلوهم
لئن ادركتهم لا تقتلهم قتل عاد " (١) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً
وتسبيحاً ، حتى ان الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم . وقد تعلموا العلم
من الصحابة ، فلم تنفعهم " لا اله الا الله " ولا كثرة العبادة ولا ادعاء
الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة . (٢) ١٠٦ هـ .

(١) صحيح مسلم كتاب الزكاة ج ٢ / ٢٤٢ ح ١٠٦٤

(٢) كشف الشبهات ص ٤٠

آثار الاقرار بلا اله الا الله في حياة الانسان

- ذكر الاستاذ المودودي رحمه الله في كتابه القيم "مبادئ الاسلام" (١) تسمة آثار لكلمة التوحيد ان ذكر ملخصها فيما يلي :-
- (١) ان المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضيق النظر ، بخلاف من يقول بالهية متعددة . او من يحجدها .
- (٢) ان الايمان بهذه الكلمة ينشئ في النفس من الأنفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شيء ، لأنه لا نافع الا الله ولا ضار الا الله ، وهو المحيي المميت . وهو صاحب الحكم والسلطة والسيادة . ومن ثم ينزع من القلب كل خوف الا منه سبحانه ، فلا يطأ في الرأس أمام أحد من الخلق ، ولا يتضرع اليه ، ولا يتكفله ، ولا يرتعب ممن كبريائه وعظمته . لأن الله هو العظيم القادر . وهذا بخلاف المشرك والكافر والمطحد .
- (٣) ينشأ من الايمان بهذه الكلمة مع أنفة النفس وعزتها : تواضع من غير نذل وترفع من غير كبر فلا يكاد ينفخ أوداجه شيطان الشرور ويزهينه بقوته وكفائه لأنه يعلم ويستيقن أن الله الذي وهبه كل ما عنده قادر على سلبه اياه انا شاء . اما المطحد فانه يتكبر ويبطر انا . حصلت له نعمة عاجلة .
- (٤) المؤمن بهذه الكلمة : يعلم علم اليقين أنه لا سبيل الى النجاة

(١) مبادئ الاسلام لابي علي المودودي ص ٨٠ - ٨٧ الناشر مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩٧ هـ .

والفلاح الا بتزكية النفس والعمل الصالح اما المشركون والكفار فانهم يقضون حياتهم على أمانى كاذبه . فمنهم من يقول : ان ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا ، عند أبيه ، ومنهم من يقول : نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا ومنهم من يقول انا سنستشفع عند الله بكبرائنا واثقيائنا ، ومنهم من يقدم التذور والقربان السيء الهته زاعما انه قد نال بذلك رخصة في العمل بما يشاء . اما الملحد الذي لا يؤمن بالله فيعتقد انه حر في هذه الدنيا غير مقيد بشرع الله وانما الهه هواه وشهوته وهو عبدها .

(٥) قائل هذه الكلمة لا يتسرب اليه اليأس ، ولا يقعد به القنوط ، لأنه يؤمن أن الله له خزائن السموات والارض . ومن ثم فهو على طمأنينه وسكينه وامل ، حتى ولو طرد وأهين وضاعت عليه سبل العيش . ان عين الله لا تغفل عنه ولا تسلمه الى نفسه ، وهو يبذل جهده متوكلا على الله . بخلاف الكفار الذين يعتمدون على قواهم المحدودة . وسرعان ما يدب لهم اليأس . ويساورهم القنوط عند الشدائد مما يفضي بهم احيانا الى الانتحار .

(٦) الايمان بهذه الكلمة يربي الانسان على قوة عظيمة من العزم والاقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمصالي الامور ابتغاء مرضاة الله . انه يشعر ان وراءه قوة مالك السماء والارض . فيكون ثباته ورسوخه وصلابته التي يستمد بها من هذا التصور ، كالجبال الراسية ، وأنى للكفر والشرك بمثل هذه القوة والثبات .

(٧) هذه الكلمة تشجع الانسان وتملاء قلبه جرأة . لأن الذي يجيبن الانسان ويوهن عزمه شيخان : حبه للنفس والمال والأهل ، أو اعتقاده أن هناك أحدا غير الله يميئ الانسان ، فاي مان المرء

بِلا اله الا الله ينزع عن قلبه كلا من هذين السببين ، فيجعلـــــــــــــــــه
موقنا أن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله فَمُتَدَثِدُ يَضْحَى فِى
سبيل الله مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده . وينزع الثانى بأن يلقي
فى روعه أنه لا يقدر على سلب الحياة منه انسان ولا حيوان ولا قنبلــــــــــــــــة
ولا مدفع ، ولا سيف ولا حجر وانما يقدر على ذلك الله وحده ،
من أجل ذلك لا يكون فى الدنيا أشجع ولا أجراء من يؤمن بالله
تعالى ، فلا يكاد يخيفه أو يشبت فى وجهه زحف الجيوش ، ولا
السيوف المسلولة ، ولا مطر الرصاصات والقنابل ، فانه عند مســــــــــــــــا
يتقدم فى سبيل الله للجهاد ، يهزم قوة تزيد على قوته بعشر مرات
وانى بمثل هذا للمشركين والكفار والملحدن .

(٨) الايمان بلا اله الا الله يرفع قدر الانسان وينشئ فيه الترفع والقناعة
والاستغناء ، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشهه والحسد والدناءة
واللؤم . وغيرها من الصفات القبيحة .

(٩) وأهم شىء وأجدره فى هذا الصدد : أن الايمان ب" لا اله الا
الله " يجعل الانسان متقيدا بشرع الله ومحافظا عليه ، فــــــــــــــــان
المؤمن يمتقد بيقين أن الله خبير بكل شىء ، وهو أقرب اليه
من حبل الوريد ولتته ان كان يستطيع ان يفلت من بطش اى كسان ،
فانه لا يستطيع ان يفلت من الله عز وجل .

وعلى قدر ما يكون هذا الايمان راسخا فى ذهن الانسان يكون متبعها
لاحكام الله ، قائما عند حدوده لا يجروء على اقتراف ما حرم الله ،
ويسارع الى الخيرات والعمل بما أمر الله .

ومن أجل ذلك جعل الايمان بلا اله الا الله أول ^{ركنه} وأهمه

ليكون الانسان مسلما . والمسلم هو : العبد المطيع المنقاد لله تعالى

ولا يكون كذلك إلا اذا كان مؤمناً من قلبه بأن لا اله الا الله . وهذا هو أصل الاسلام ، ومصدر قوته ، وكل ما عداه من معتقدات الاسلام واحكامه انما هي مبنية عليه ، ولا تستمد قوتها الا منه ، والاسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الاساس . (١) . ومن فضائلها ما ذكره ابن رجب ، حيث اورد قول سفيان بن عيينه : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا اله الا الله ، وان لا اله الا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أبأها غماله ودمه هدر ، وهي مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل . (٢)

ولو أردت أن اذكر ما أورد به العلماء ، رحمهم الله تعالى حول فضلها وما في ذلك من الاحاديث النبوية وآثار السلف لطال المقام .

(١) مبادئ الاسلام ص ٨٢ .

(٢) كلمة الاخلاص ص ٥٣ .

نواقض " لا اله الا الله "

(حرص الاسلام على بيان حقيقته وحقيقتها ما يناقضه)

سبق الكلام على مفهوم " لا اله الا الله " وشروطها ، وحقيقتها ، وإثباتها . وهنا أذكر نواقضها ، من أجل ان تتضح معالم الصورة الكاملة لحقيقة " لا اله الا الله " ذلك ان معرفة الضد يميز الشيء المراد ايضاً . كما قيل : ويضدها تتميز الاشياء . ومعلوم أن الكفر والشرك والنفاق والردة هي نواقض الاسلام ، بشتى صورها . وقيل ايضاً ذلك ، لا بد من أن نورد - قاعدة جلية لأهل السنة والجماعة ، بها تنضبط المسائل أصولاً وفروعاً . وسيوضح من خلال هذه القاعدة الرد على فرقة المرجئة ، الذين ميمموا وضيعوا مفهوم هذه العقيدة . والرد ايضاً على الخوارج الذين غلوا وحادوا عن الصراط . ودين الاسلام وسط بين الافراط والتفريط .

وقد كثر كلام الناس حول هذا في القديم والحديث ولكل وجهة هو موليا . بيد أنني وجدت للعلامة ابن القيم كلاماً قيماً في هذا الموضوع - وهو القاعدة التي اشترت اليها أنفاً - سأورده كاملاً على الرغم من طوله :

قال رحمه الله في كتاب الصلاة : (الكفر والايان متقابلان ، اذا زال - أحدهما خلفه الآخر . ولما كان الايمان أصلاً له شعب متعددة ، وكل شعب منها تسمى ايماناً : فالصلاة من الايمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام ، والاعمال الباطنة كالحياء ، والتوكل ، والخشية من الله ، والاناة اليه ، حتى تنتهي هذه الشعب الى اطاعة الاذى عن الطريق فانه شعبة من شعب الايمان .

وهذه الشعب منها ما يزول الايمان بزوالها كشعب الشهادة . ومنها ما لا يزول

بزوالها كترك امانة الاذى عن الطريق . وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً ،
منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة
امانة الاذى ويكون اليها أقرب . وكذلك الكفر نواصل وشعب ، فكما أن شعب
الايان ايمان فشعب الكفر كفر . والحياء شعبة من الايمان ، وقلة الحياء شعبة
من شعب الكفر . والصدق شعبة من شعب الايمان ، والكذب شعبة من
شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الايمان وتركها من
شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الايمان ، والحكم بغير ما أنزل الله
من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من
شعب الايمان .

وشعب الايمان قسمان : قولية وفعلية ، وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية
وفعلية . ومن شعب الايمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الايمان ،
فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الايمان ، وكذلك شعب الكفر
القولية والفعلية . فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختياراً - وهي شعبة
من شعب الكفر - فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصوم ، والاستهانة
بالمصحف ، فهذا أصل .

وهاهنا أصل آخر : وهو أن حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل ، والقول
قسمان : قول القلب : وهو الاعتقاد . وقول اللسان : وهو التكلم بكلمة
الاسلام .

والعمل قسمان : عمل القلب ، وهونيته واخلاصه ، وعمل الجوارح . فإذا
زالت هذه الاربعة زال الايمان بكامله . وإذا زال تصديق القلب لم تنفع
بقية الاجزاء ، فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ، وإذا زال
عمل القلب مع اعتقاد الصدق : فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة
فأهل السنة : مجمعون على زوال الايمان ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء

عمل القلب وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع لبليس وفرعون وفوفه واليهود والمشركين الذين كانوا يمتقدون صدق الرسول ، بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون : ليس بكاذب ولكنه لا نتبعه ولا نؤمن به .

وإذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده ، الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره ، فإنه ^{يلزم} من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح ، إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت ، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة ، وهو حقيقة الايمان . فان الايمان ليس مجرد التصديق - كما تقدم - وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد . وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه ، بل هو معرفته المستلزمة لتباعه والعمل بموجبه ، وان سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء ، كما أن اعتقاد التصديق وان سمي تصديقا - فليس هو التصديق المستلزم للايمان . فمليك بمراجعة هذا الاصل ومراعاته .

وها هنا أصل آخر : وهو أن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جهود وعناد .
فكفر الجهود : أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جهودا وعنادا ،
من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه . وهذا الكفر يضاف الايمان من كل وجه
وأما كفر العمل : فينقسم الى ما يضاف الايمان ، وإلى ما لا يضافه . فالسجود
للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي ، وسبه يضاف الايمان .

(١)
وأما الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعا ،

(١) سيأتي بعد تمام هذا النص ان شاء الله مزيد من التفصيل في هذه

الفقره وبيان متى يكون ذلك مخرج من الملة ومتى لا يكون .

ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه . فالحاكم
بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن هو كافر عمل لا كفر اعتقاد . ومن الممتع أن يسمى الله سبحانه الحاكم
بغير ما أنزل الله كافرا ، ويسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة
كافرا (١) ، ولا يطلق عليهما اسم الكفر . وقد نفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر ، وعن لايمان جـاره
بوائقه . وانا نفى عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل ، وانتفى عنه كفر
الجهود والاعتقاد .

وكذلك قوله " لا ترجعوا بمدى كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض (٢) " فهذا
كفر عمل . وكذلك قوله " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو أتى أمواته فـسى
دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد " (٣) وقوله " انا قال الرجل لأهليه :
يا كافر فقد باء بها احدهما " (٤)

وقد سمي الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه ، وترك العمل
ببعضه مؤمنا بما عمل به . وكافرا بما ترك العمل به فقال تعالى " وانا أخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم
تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ، وأن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم
عليكم اخراجهم ، افتؤن مؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٨٨ ح ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٨١ ح ٦٥ .

(٣) أبو داود في الطب ج ٤ / ٢٢٥ ح ٣٩٠٤ وانظر مشكاة المصابيح ٢ / ١٢٩٤
ع ٤٥٩٩ وقال الألباني اسناده صحيح .

(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٧٩ ح ٦٠ .

يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد المذاب
وما الله بغافل عما تعملون " ٨٤ - ٨٥ سورة البقرة . فأخبر سبحانه أنهم
أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه ، وهذا يدل على تصديقهم به أنهم
لا يقتل بعضهم بعضا ، ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم ، ثم أخبر أنهم
غصوا أمره وقتل فريق منهم فريقا وأخر جهنم من ديارهم . فهذا كفرهم بما أخذ
عليهم في الكتاب . ثم أخبر أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق ، وهذا
إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق ،
كافرين بما تركوه منه .

فالإيمان العملي يضافه الكفر العملي ، والإيمان الاعتقادي يضافه الكفر
الاعتقادي . وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم بما قلناه في قوله في الحديث
الصحيح " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " (١) ففرق بين قتاله وسبابه .
وجعل أحدهما فسوقا لا يكفر به ، والآخر كفرا . ومعلوم انه إنما أراد الكفر
العملي لا الاعتقادي ، (٢) وهذا الكفر لا يخرج من الدائرة الإسلامية والملة
بالكلية ، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم
الإيمان .

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام
والكفر ولو أزمهما فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم ، فان المتأخرين لم يفهموا
مرادهم فانقسموا فريقين : فريقا أخرجوا من الملة بالكبائر ، وقضوا على

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ج ١ / ٨١ ح ٦٤ .

(٢) لعن ابن القيم يقصد قتال المسلمين مع بعضهم البعض كما حصل بين
الصحابة رضي الله عنهم ، أما من يريد قتل المؤمنين ويشق الحرب
على الإسلام والمسلمين فهذا لا شك في كفره المخرج من الملة . كما
هو حال أعداء الإسلام .

أصحابها بالخلول في النار و (١) وغريقا جعلوهم مؤمنين كما على (٢) الايمان فهو لا غلوا ، وهو لا جفوا . وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالا سلام في المثل . فها هنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وفسوق دون فسوق ، وظلم دون ظلم . قال سفيان بن عيينة : عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ٤٤ المائدة . قال : هو بهم كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال فسي رواية أخرى عنه : كفر لا ينقل عن الملة . وقال طاووس : ليس بكفر ينقل (٣) عن الملة . وقال وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء : كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق (٤) وهذا الذي قاله عطاء بين في القسوان لمن فهمه ، فان الله سبحانه سمي الحاكم بخير ما أنزله كافرا ، وسمى جاحدا ما أنزله على رسوله كافرا . وليس الكافران على حد سوا .

وسمى الكافر ظالما كما في قوله تعالى " والكافرون هم الظالمون " ٢٥٤ البقرة وسمى متعدى حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال : ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه " ١ الطلاق ، وقال نبيه يونس : " لا اله الا أنت سبحانه اني كنت من الظالمين " ٨٢ الانبياء . وقال صفيه آدم " ربنا ظلمنا أنفسنا " ٢٣ الأعراف وقال كلمه موسى " رب انسي ظلمت نفسي فاغفر لي " ١٦ القصص . وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم .

(١) يريد فرقة الخوارج .

(٢) يقصد المرجئة .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٣ / ١١١ .

(٤) المصدر السابق ٣ / ١١١ .

ويسمى الكافر فاسقاً : كما في قوله " وما يضل به الا الفاسقين ، الذين يلطئسون عهد الله من بعد ميثاقه " ٢٦ - ٢٧ البقرة . وقال " ولقد أنزلنا اليك آياتنا بينات وما يكفر بها الا الفاسقون " ٩٩ البقرة وهذا كثير في القرآن . ويسمى المؤمن من فاسقاً كما في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما . بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " ٦ الحجرات نزلت في الحكم بن أبي العاص . وليس الفاسق كالفاسق . وقال تعالى " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون " ٤ النور وقال عن ابليس " فسق عن أمر ربه " ٥٠ الكهف وقال " فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق " ١٩٧ البقرة . وليس الفسوق كالفسوق .

والكفر كفران ، والظلم ظلمان ، والفسق فسقان ، وكذا الجهل جهلان : جهل كفر كما في قوله تعالى " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین " ١٩٩ - الأعراف . وجهل غير كفر كقوله تعالى " انما التوبة على الله للذين يعطون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب " ١٧ النساء .

وكذلك الشرك شركان : شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر ، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر ، وهو شرك العمل كالربا . قال تعالى فسق الشرك الأكبر " انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار " ٧٢ المائدة ، وقال " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق " ٣١ الحج .

وفي شرك الربا " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " ١١٠ الكهف ومن هذا الشرك الأصغر قوله صلى الله عليه وسلم " من حلف بغير الله فقد أشرك " رواه أبو داود وغيره (١) ومعلوم

(١) أبو داود كتاب الأيمان والندور ج٣ / ٥٧٠ ح ٣٢٥١ واخرجه الترمذي

في الندور والایمان ٥ / ٢٥٣ ح ١٥٣٥ واللفظ عنده : فقد كفر أو أشرك

وقال : حديث حسن وقال الشوكاني صححه الحاكم . انظر نيل الأوطار ٨ / ٢٥٧

أن حلفه بغير الله لا يخرججه عن الملة ، ولا يوجب له حكم الكفار ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم " الشرك في هذه الأمة أظفى من دابيب النمل " (١) فأنظر كيف انقسم الشرك والكفر والقسوق والظلم والجهل الى ما هو كفر ينقل عن الملة ، والى ما لا ينقل عنها . وكذا النفاق نفاقان : نفاق اعتقاد ، ونفاق عمل ، فنفاق الاعتقاد : هو الذى انكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار .

ونفاق عمل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أئتمن خان " (٢) وفى الصحيح أيضا " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، واذا أئتمن خان " (٣) فهذا نفاق عمل ، قد يجتمع مع أصل الايمان ، ولكن اذا استحكمت وكل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية ، وان صلى وصام وزعم انه مسلم ، فان الايمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال ، فاذا كملت فى المبدأ ولم يكن له ما ينهاه عن شىء منها فهذا لا يكون الا منافقا خالصا .

(٤)

وكلام الامام أحمد يدل على هذا ، فان اسماعيل بن سعيد الشالنجي قال :

(١) السنن ٤/٤٠٣ . قال الالبانى : صحيح ، انظر صحيح الجامع

الصفير ٣/٢٣٣ ح ٣٦٢٤ .

(٢) * (٣) صحيح البخارى كتاب الايمان ج ١/٨٩ ح ٣٣ ، ٣٤٤ وصحيح

مسلم كتاب الايمان ج ١/٢٨٨ ح ٥٨ و ٥٩ .

(٥) هو اسماعيل بن سعيد الشالنجي أبو اسحاق ذكره أبو بكر الخلال

فقال : عنده مسائل كثيرة ، ما أحسب أن أحدا من أصحاب أبى

عبدالله - أحمد بن حنبل - روى عنه أحسن مما روى هذا ، ولا أشبع

ولا أكثر مسائل منه . وكان عالما بالرأى كبير القدر عندهم معروف ،

له كتاب ترجمه بالبيان على ترتيب الفقهاء . انظر طبقات الحنابلة

لأبى يعلى ج ١/١٠٤ .

سألت أحمد بن حنبل عن الصر على الكبائر يطلبها بجهده ، الا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم ، هل يكون مضراً من كانت هذه حاله ؟ قال : هو مضر مثل قوله " لا يزلى الزالى حين يزلى وهو مؤمن " (١) يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ، ونحو قوله " لا يشربها الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حيث يسرق وهو مؤمن " (٢) ونحو قول ابن عباس في قوله " ومن لطم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ٤٤ المائدة . قال اسماعيل : فقلت له ما هذا الكفر ؟ قال : لا ينقل عن الملة ، مثل الايمان بعضه دون بعض ، فذلك الكفر حتى يجي من ذلك أمر لا يختلف فيه .

وما هنا أصل آخر : وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وايمان ، وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ، ونفاق وايمان . وهذا من أعظم أصول أهل السنة ، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة (٣) ، والقدرية (٤)

ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليد هم فيها مبنية على هذا الأصل ، وقد دل عليه القرآن والسنة والفقهاء واجماع الصحابة . قال تعالى " وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون " ١٠٦ يوسف فأثبت لهم ايماناً به سبحانه مع الشرك ، وقال تعالى " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن

قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ان الله غفور رحيم " ١٤ الحجرات . فأثبت لهم اسلاماً وطاعة

(١) + (٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٧٦ ح ٥٧

(٣) المعتزلة : هم الذين قالوا بهلق القرآن وحده والروية . ويكذبون بعذاب القبر والشفاعة ، والحوض ، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة ، ولا الجمعة الا وراء من كان على أهوائهم . انظر في ذلك كتاب السنة للإمام أحمد ص ٨١ وتلبس ابليس لابن الجوزي ص ٣٠ .

(٤) القدرية : هم الذين يزعمون أن اليهم الاستطاعة والمشية والقدرة ، وانهم يملكون لانفسهم الخير والشر والضر والنفع ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ، وأن العباد يعطون بداً من غير أن يكون سبق لهم ذلك

من اللعز وجل اوفى علمه وقولهم يضارع قول المجوسية انظر السنن للإمام أحمد ص ٨١

لله ورسوله مع نفي الايمان عنهم وهو الايمان المطلق الذي يستحق اسم الله
بمطلقه (الذين كفروا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله) ١٥ الحجرات . وهو "لا" ليسوا منافقين في أصح القولين ،
بل هم مسلمون بما مضى من طاعة الله ورسوله ، وليسوا مؤمنين . وان كان
مضى جزء من الايمان أخرجهم من الكفار .

قال الامام احمد : من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن - يريد الزنا
والسرقة وشرب الخمر والانتهاج - فهو مسلم ولا أسميه مؤمنا ، ومن أتى
دون ذلك - يريد دون الكبائر - سميته مؤمنا ناقص الايمان ، فقد دل على
هذا قوله صلى الله عليه وسلم " فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة
من النفاق " فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق و اسلام .

كذلك الرياء شرك ، فاذا رأى الرجل في شيء من عمله إجتماع فيه الشرك -
والاسلام . اذا

واذا حكم بغير ما أنزل الله ، أو فعل ما سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم كفرا ، وهو ملتزم للاسلام وشرائعه فقد قام به كفر و اسلام .

وقربينا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها شعب
من شعب الايمان فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الايمان ، وقد يسمى
بتلك الشعبة مؤمنا ، وقد لا يسمى . كما انه قد يسمى بشعبة من شعب
الكفر كافرا ، وقد لا يطلق عليه هذا الاسم ، فها هنا أمران : أمر اسمي
لفظي ، وأمر معنوي حكمي .

فالمعنوي : **هل** هذه الخصلة كفر أم لا ؟ واللفظي : هل يسمى من قامت
به كافرا أم لا ؟ .

فالأمر الأول : شرعي محض ، والثاني لفوي و شرعي .

وها هنا أصل آخر : وهو انه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الایمان بالمبند أن یسمى مؤمنا وان كان ما قام بما یمانا ، ولا من قيام شعبة من شعب الکفر به أن یسمى کافرا ، وان كان ما قام به کفرا . كما انه لا یلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن یسمى عالما ، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب ان یسمى فقیها ولا طبیبا ، ولا یمنع ذلك أن تسمى شعبة الایمان ایمانا ، وشعبة النفاق نفاقا ، وشعبة الکفر کفرا .

وقد یطلق علیه الفعل کقوله " فمن ترکها فقد کفر " و " من حلف بغير الله فقد کفر " وقوله " من أتى کاهنا فصدقه بما یقول فقد کفر ومن حلف بغير الله فقد کفر " رواه الحاکم فی صحیحه بهذا اللفظ . فمن صدر منه خلة من خلال الکفر فلا یستحق اسم کافر علی الاطلاق ، وكذا یقال لمن ارتكب محرما انه فعل فسوقا وانه فسق بذلك المحرم ، ولا یلزمه اسم فاسق الا بغلبة ذلك علیه . " (١) . ه

(١) کتاب الصلاة : للعلامة محمد بن أبی بکر بن قیام الجوزیه ص ٢٥ - ٣١

الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ المكتبة السلغية بمصر .

ولي على هذا الكلام أدلة كثيرة ومنها :

(١) ما أورده ابن القيم نفسه رحمه الله من قول الامام أحمد الذي تقدم ص ٦٢

وهو قوله " حتى يجي من ذلك أمور لا يختلف فيه "

نعم انه أمر لا يختلف فيه أبدا وهو أن تحية الشريعة ورميها بالقصور والنقصان وأن القانون ^{أكل منها} ، وألین منها في مسايرة تطورات العصر، كفر صريح .

(٢) ما أورده ابن القيم أيضا ص ٦٢ من أن الكفر الذي هو كفر دون كفر

ينطبق على الحاكم " الملتزم للاسلام وشرائعه " فهذا اذا خالف النص أو حاد عنه - كما تقدم شرحه - هو الذي ينطبق عليه هذا الحكم . وليس الأمر ساريا على من يحل القانون محل شرع الله .

(٣) قضية التحليل والتحریم ، والتشريع للناس ، اتفقت أقوال العلماء

قدیما وحديثا على أن ذلك من خصائص رب العالمين جل جلاله فمن أدعاه لنفسه فقد آله نفسه ونصبها ندأ يُعبد من دون الله وسيرد ايضاح هذا قريبا .

(٤) ان اقصاص الشريعة للربانية واحلال اهواء البشر محلها هذا من

الاشياء التي كفر العلماء قديما وحديثا فاعلمها لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة . وهل يجاول احد في ذلك والله يقول " ألا له

الخلق والأمر " ٥٤ الاعراف فكما انه سبحانه - وباعتراف الناس -

مؤمنهم وكافرهم - هو خالق السماء والارض ، فهو أيضا صاحب

الأمر والسلطان ، والحكم والسيادة . (١)

(١) انظر تفسير هذه الآية للشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه " فسى

ظلال القرآن ج ٣ / ١٢٩٧ طبع دار الشروق .

(٥) يوضح كلمة الامام أحمد رحمه الله وهي قوله " حتى يجيئ " من ذلك
أمر لا يختلف فيه " علم من أعلام المسلمين هو الشيخ محمد بن ابراهيم
آل الشيخ حيث يقول :

" ان من الكفر الأكبر الضمتين تثويل القانون اللعين منقولة ما نزل به
الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من الضدريين
بلسان عربي صين " (١)

(٦) ما ذكره أيضا ابن القيم رحمه الله في كتاب " مدارج السالكين حيث
قال بعد أن أورد الأقوال في قضية الحكم قال : " والصحيح أن الحكم
بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم
فانه ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة ، وعدل
عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا كفر أصغر . وأن
اعتقد أنه غير واجب " وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله . فهذا
كفر أكبر ، وان جهله وأخطأه : فهذا مخطئ " له حكم المخطئين " (٢)

(٧) مقاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب " منهاج السنة " حيث
قال : (ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله
على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه
هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر . فانه ما من أمية
الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه -
أكبرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعباداتهم

(١) تحكيم القوانين ص ١ طبع سنة ١٣٨٠ هـ مطابع الثقافة بمكة .

(٢) مدارج السالكين ج ١ / ٣٣٧ .

التي لم ينزلها الله ، كسؤاليف البادية (١) وكانوا الأمراء المطاعين ،
ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا
هو الكفر ، فان كثيرا من الناس اسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات
الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهو لا اذا عرفوا أنه لا يجوز
لهم الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن -
يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار " (٢)

(٨) يقول : العلامة ابن القيم في تفسير قوله تعالى " تالله ان كنا لفي

ضلال مبين ، ان نسويكم برب العالمين " ٩٧ - ٩٨ الشعراء .
" هذه التسوية انما كانت في الحب والتأليه واتباع ما شرعوا ، لا في
الخلق والقدرة والربوبية ، وهي العدل الذي اخبر به عن الكفار
كقوله " الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ،
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " ١ الأنعام وأصح القولين : أن
المعنى : ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فيجعلون له عدلا يحبونه
ويقدسونه ويعبدونه ، كما يعبدون الله ويعبدونهم ، ويعظمون أمره
وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات ، بحيث اعتقدوا
انها مساوية لله سبحانه في أفعاله وصفاته ، وانما كانت تسوية منهم
بين الله وبينها في المحبة والعبودية والتعظيم مع اقرارهم بالفسوق
بين الله وبينها ، فتصبح هذه : هو تصحيح شهادة أن لا اله
الا الله " (٣)

(١) اى عادات وتقاليد أهل البادية .

(٢) مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة ص ٢٧٨ ط دار الفكر .

(٣) التفسير القيم ص ٣٩٦

وان ما يزيد ايضاح الحقيقة في أمرا حلال القانون والهوى محل الشروع ،
مأذكرة العطاء من أن كفر الاعتقاد ينقسم الى خمسة انواع هي : (١)

(١) كفر تكذيب : وهو اعتقاد كذب الرسل . وهذا القسم قليل فسق الكفار ، فان الله تعالى أيد رسله ، وأعطاهم من البراهين والايات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعضدة . قال تعالى عن فرعون وقومه * ويجحدوا بها وأستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً * ١ النحل وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم * فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ٣٣ الأنعام .

(٢) كفر اباة واستكبار : مثل كفر ابلis ، ومن هذا كفر من عرف الرسول ولم يتقبله اباة واستكبارا وهو الغالب على كفر أعداء الرسول كما قال تعالى عن فرعون وقومه * أنوء من لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون * ٤٧ المؤمنون . ومنه كفر أبى طالب فآثه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية ، وتعظيم آياته أن يرغب عن ملتهم .

(٣) كفر اعراض : مثل من يعرض عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمح ، ولا يصدق ، ولا يكذبه ، ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصفى السي ما جاء به البتة . كما قال أحد بنى عبد ياليل للنبي صلى الله عليه وسلم * والله أقول لك كلمة : ان كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وان كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك * (٢)

(١) أوردها العلامة ابن القيم في " مدارج السالكين ج ١ / ٣٣٧ - ٣٣٨

(٢) علق الشيخ محمد حامد الفقى على هذا بقوله " وهو كفر الطحديين

اليوم من المتسمين باسماء اسلامية ، المقلدين للافرنج من اليهود والنصارى ، الضحلين عن كل خلق وفضيلة ، زاعمين بجاهليتهم وسفهمهم أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية " مدارج السالكين

٣٣٨ / ١ " الحاشية "

(٤) كفر الشك : حيث لا يجزم بصدقه ، ولا يكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا لا يستمر شكه الا اذا ألزم نفسه الاعراض عن النظر في آيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم جملة ، وأما مع التفاته اليها ونظيره فيها فانه لا يبقى معه شك لأنها مستلزمة للصدق .

(٥) كفر نفاق : وهو أن يظهر بلسانه الايمان وينطوى بقلبه التكذيب وهذا هو النفاق الأكبر .

وبعد أن وضعنا الكفر بنوعيه - نعوذ بالله منه - ننتقل الى تبيان الشرك - نعوذ بالله منه - وهو كما ورد سابقا في كلام ابن القيم ينقسم الى أكبر مخرج من الملة ، والى أصغر وهو الرياء . أما الشرك الأكبر فدليله قوله تعالى " ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " النساء ١١٦ : وهو أربعة أنواع كما ذكر ذلك ^{الشيخ} محمد بن عبد الوهاب وهي :
(١) شرك الدعوة قال تعالى " فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون " العنكبوت .

(٢) شرك النية والارادة والقصور : قال تعالى " من كان يريد الحياة وزينتها نوحى اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " ١٥ ، ١٦ هود .

(٣) شرك الطاعة : قال تعالى " اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله " ٣١ التوبة

وفى الحديث : عن عدى بن حاتم حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية " اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا

من دون الله * قال ؛ فقلت ؛ انهم لم يعبدوهم ؟ فقال ؛ * بلى
انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأثبوهم فسد لك عبادتهم
أياهم * (١) قال حذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وغيرهما
في تفسيرها : انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

(٤) شرك المحبة : قال تعالى * ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا يحبونهم كحب الله * (٢) البقرة .

وأما النفاق : فممنه ما هو مخرج من الملة ، وهذا هو النفاق الأكبر وفيه
يقول شيخ الاسلام بن تيمية : * والنفاق منه ما هو أكبر ، يكون صاحبه فسي
الدرك الأسفل من النار ، كنفاق عبدالله ابن أبي وغيره ، بأن يظهر تكذيب
الرسول ، أو جهود بعض ما جاء به ، أو بغضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ،
أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساواة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يكون
صاحبه إلا عدواً لله ورسوله * (٣)

ومنه ما هو نفاق أصغر وهو الرياء . وقد سبق عليه الكلام .

...

وأما الردة : فهي الكفر بعد الايمان فمن (قال الكفر أو فعله أو رضي
به مختاراً أكثر ، وان كان مع ذلك يبغض بقلبه ، وبهذا قال علماء السنة
والحديث ، وذكروا ذلك في كتبهم فقالوا : إن المرتد هو الذي يكفر بعد

(١) أخرجه الترمذى في كتاب التفسير ج ٨ / ٢٤٨ ح ٣٠٩٤ تحقيق الدعاس

قال الترمذى هذا حديث غريب . وأورده ابن كثير في تفسير هذه الآية

ج ٤ / ٧٧ وعزاه للإمام احمد وابن جرير . وقال الالبانى حديث حسن .

انظر غاية المرام في تخريج الحلال والحرام ص ٢٠

(٢) مجموعة التوحيد ص ٣

(٣) الفتاوى ج ٢٨ / ٤٣٤ .

اسلامه اما نطقا ، واما فعلا واما اعتقادا . وقرروا أن من قال الكفر كفروا لم
يعتقده ولم يعمل به اذا لم يكن مكرها .

✦ وكذلك اذا فعل الكفر كفروا لم يعتقده ولا نطق به ، وكذلك اذا شرح
بالكفر صدره اى فتحه ووسعه وان لم ينطق بذلك ولم يعمل به . وهذا معلوم
قطعا من كتبهم ومن له مارسه في العلم فلا بد أن يكون قد بلغ طائفة من ذلك (١)
ومن باب التفصيل والتوضيح وذكر التفصيل بعد الاجمال : اليك
نواقض الاسلام العشرة كما قررها أهل العلم .

(١) الدفاع للشيخ حمد بن عتيق ص ٢٨ وانظر التشريع الجنائي ٢٠٨/٢

وكتاب الردة بين الأمس واليوم ص ٣٣ .

نواقض الاسلام

- ذكر أهل العلم ان هناك عشرة نواقض هامة هي :
- (١) الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالى " ان الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " النساء ٤٨ ، ١١٦
 - (٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة . كقوله
اجمعا .
 - (٣) من لم يكفر المشركين ، أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم . كقوله
اجمعا .
 - (٤) من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديده ،
أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطاغوت
على حكمه فهو كافر .
 - (٥) من أبغض شيئا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به
كفر اجماعا . والدليل قوله تعالى " ذلك بانهم كرهوا ما أنزل
الله فأحبط اعمالهم " محمد " ٩ " .
 - (٦) من استهزأ بشيء من دين الله ، أو ثوابه ، أو عقابه ، كفر والدليل
قوله تعالى " قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم " ٦٥ ، ٦٦ التوبة .
 - (٧) السحر ، ومنه الصرف ، والمطوف فمن فعله أو رضى به كفر والدليل
قوله تعالى " وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر "
البقرة ١٠٢ .
 - (٨) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى

« ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » المائدة : ٥١
(٩) من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه يسمع الخروج من شريعته كما وسع الخضير الخروج من شريعة موسى
عليهما السلام ، فهو كافر .

(١٠) الاعراض عن دين الله لا يتعلمه ، ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى
« ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها أنا من المجرمين منتقمون »
السجدة : ٢٢ .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف الا المكره ،
وكلها من أعظم ما يكون خطرا ، ومن أكر ما يكون وقوعا ، فينبغي للمسلم
أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه . (١) ويجدر بنا ونحن نستعرض هذه
النواقض أن نقف عند اثنين منها ، نظراً لأهميتها وخطورتها على حياة المسلمين
وليتضح سبب الاسهاب في قضية الحاكمية وعلاقة الولاة والبراء بذلك .

الاول : (من اعتقد ان غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم اكمل من هديه ،
أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو
كافر) .

ان تنحية شريعة الله عن مجرى الحياة ، واستيراد قوانين البشر
القاهرة : ردة جديدة يوزت في القرون الأخيرة من حياة المسلمين ، ذلك
أن المجتمع الاسلامي عاش قرونا طويلا يستظل بشرع الله وتهيمن الشريعة
على حياة افراده حكما ومحكومين - مع وجود بعض المعاصي سواء كانت

(١) الدرر السنوية ٨٩/٨ - ٩٠ وانظر مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب

كباثر أم صفائر - ولكن نظلام حياة الناس ، والتشريع المنفذ في أمورهم هو شرع الله وحكمه ، وكذلك جهاد الكفار ونشر كلمة الاسلام في الارض كانت كسل هذه الأمور في ازدياد وتوسع . أما رمي الشريعة الاسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة تطورات العصر فهذا ^{شريع} لم يحدث الا بعد أن مكن المسلمون الاستعمار العالمي من ذلك وبعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بنصوص كثيرة صريحة واضحة حول قضية الحكم وأنها من عقيدة المسلم ، ومن أهم أمور الدين قال تعالى " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ٤٤ المائدة " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " ٥٥ المائدة " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " ٤٧ المائدة " وقال " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " ٥٠ المائدة " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " ٦٥ النساء " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " ٢١ الشورى .

وقال تعالى " ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون ، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون " ٤٧ - ٥١ النور ويقول سبحانه " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " ١١٥ النساء .

ثم يبين سبحانه وتعالى زيف زعم من يدعى الايلطن ويريد التحاكم الى الطاغوت فيقول : "الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبله يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وانا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً " ٦٠ - ٦١ النساء .

ولقد أحسن^{محمد} العلماء في وصف من طمست بصيرته فاستهدل بالشريمة القانون حيث قال : ان مثل هذا مثل " الجعل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح ، ويحيا بالعدرة والفائظ في المستراح " (١) ولقد قال تعالى " ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين " ٢٠ المجادلة . ومن أعظم المحادة لله ورسوله التولي عن حكم الله وشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما هذه الذلة التي يعيشها المسلمون اليوم في الارض الا نتيجة طبيعية لترك شرع الله فيهاهم أولاً اليوم كثير ولكنهم غشاء كغشاء السيل ، طمعت فيهم أحقر الام وسيطرت عليهم أراندل الناس ، ولقد صدقت فيهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : " يوشك الام أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها " فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غشاء كغشاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن " فقال قائل : يارسول الله : وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " (٢)

(١) الرسائل المميزة ج ١ / ١٣٩

(٢) سنن ابي داود كتاب الملاحم ج ٤ / ٤٨٤ ح ٤٢٩٧ . وقال في مشكاة المصابيح ورواه البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال الشيخ الالباني وهو حديث صحيح . انظر مشكاة المصابيح ٣ / ١٤٧٥ .

وان جزءاً كبيراً من هذا الانحراف الذي سيطر اليوم على حياة المسلمين يتحملة الذين يتزبون بزى العلماء ويحسنون للناس أن يستدلوا بشرع الله أهواء البشر ، إن هو لا ليحملون أوزارهم كاملة ومن أوزار الذين يضلونهم الى يوم القيامة والاسلام بوى من هو لا . ويوحى الله علماء السلف الذين كانوا حماة على ثغور الاسلام حتى لا يوءتى الاسلام من قبل أحد هم .

فهذا الامام الجليل الحافظ ابن كثير رحمه الله يذكر في كتابه " تفسير القرآن العظيم " ما حل بالامة الاسلامية ايام التتار ، وذلك عند قوله تعالى " اغفكم الجاهلية يبنون " . ه المائدة قال :

ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتغل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، ما يضمنونها بآرائهم واهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان ، الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والطة الاسلامية وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير " (١)

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ / ١٢٣ .

ويوضح الشيخ محمد بن ابراهيم (١) رحمه الله الحالات التي أن فعلها

الحاكم دخلت في الكفر المخرج من الملة وهي :

(١) اذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ، وهو معنى ما روى عن ابن عباس ، وأختاره ابن جرير ، وجهود ما أنزل الله من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فان الاصول المتقررة المتفق عليها بينهم ، ان من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعا عليه ، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعياً فانه كافر كقرا ينقل عن الملة . (٢)

(٢) ان لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ان حكم الله ورسوله حق ، ولكنه اعتقد/حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس وما استجد لهم من حوادث نشأت عن تطور الزمان ، وتغيير الاحوال فهذا ايضاً لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي زالة الانهان وحثالة الافكار على حكم الخبير الحكيم . فانه ما من قضية كائنة ما كانت الا وحكمها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نصاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

(٣) ان لا يمتدك كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله ، فهذا كالنوعين السابقين كافر كقراً ينقل عن الملة لما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق .

(١) هو الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ولد سنة ١٣١١ هـ ونشأ في بيت علم وفضل . وحفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره ، وكف بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره فصر واحتسب . وتلمذ على الشيخ سعد بن عتيق . وتوفي في رمضان سنة ١٣٨٩ هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً . انظر ترجمته في كتاب علماء نجد للبسام ١/٨٨ .

(٢) تحكيم القوانين ص ٥

(٤) من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهو كالذي قبله ما
 (٥) من أعظم ذلك واظهرها معاندة للشرع ومكابرة لاحكامه ، وشاقسة
 لله ورسوله : ايجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي ، -
 كالقانون الفرنسي أو الامريكى أو البريطانى أو غيرها من مذاهب الكفار ،
 وأى كفر فوق هذا الكفر ؟! وأى مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله
 بعد هذه المناقضة ؟! (١)

(٦) ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم
 من حكايات آبائهم واجدادهم وعاداتهم التي يسمونها " سلومهم " -
 يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به رغبة واعراضاً عن حكم الله .

(أما الكفر الذى لا ينتقل عن الملة : والذى ورد عن ابن عباس رضى الله
 عنهما بأنه كفر دون كفر وقوله أيضاً: ليس بالكفر الذى تذهبون اليه " فذلك
 مثل ، ان تحمله شهوته وهواه على الحكم فى القضية بغير ما أنزل الله
 مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة
 الهدى . وهذا وان لم يخرج كفره عن الملة فانه معصية عظمى أكبر من
 الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقه وغيرها فان معصية سماها الله فى كتابه
 كفوراً أعظم من معصية لم يسمها الله كفراً) . (٢)

وان الذى جعلنا نسهب فى ذكر شئون الحاكمية وتفصيل احوالها
 هو خطورتها وعظمتها . فان موالاة الحاكم بغير ما أنزل الله واقرار تشريع

(١) المصدر السابق ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨

للناس من عند نفسه وتحليله وتحريمه ما لم يأت به الله ، مناقضة للشهادة بأن الله هو الأله الذي تآلمه القلوب بالحب والتعظيم والطاعة والالتفان ، ومناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله فهو المطاع فيما أمر وشهى عنه وأمره ولو فهم الناس هذا لما بقى لطاغية في الارض حق الوجود والتشريع . واقرار الكفر وتلحية شرع اللبنة المحكم .

الثانى : من الامور التي يجب أن نتدبرها بروية - من نواقض الاسلام - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى " ومن يتولهم منكم فانه منهم " ٥١ المائدة وهذا من أعظم النواقض التي وقع فيها سواد الناس في الارض ، وهم بعد ذلك يحسبون على الاسلام ويتسمون باسماء اسلامية . فلقد صرنا في عصر يستحق فيه أن يقال للكافر : يا كافر اياك يسأل زاد الأمر عتواً بنظرة الاعجاب والاكبار والتعظيم والمهابة لاعداء الله ، واصبحوا موضع القدوة والاسوة لضعاف الايمان ، ينظرون الى اعداء الله نظرة انبهار ملؤها التمني أن يكونوا مثلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه . مظاهرة أخذت صوراً شتى فمن الميل القلبي الى انتحال مذاهبهم الالحادية الى مجازاتهم في تشريعاتهم ، الى كشف عورات المسلمين لهم ، الى كل صغير وكبير في حياتهم . وسيأتي تفصيل الحديث في هذا الامر . ان شاء الله - في فصل صور الموالاة . من هنا فان ادراك حقيقة هذه العقيدة ونواقضها ، امر كفيل بأن يجعل المسلم على بصيرة من أمره في عقيدة الولاء والبراء . حسب المقياس الشرعي الصحيح ، وليس حسب مقياس أهواء البشر . انه لا ولاء الا لله ورسوله ودينه والمؤمنين . والبراء من كل متبوع أو مرغوب أو مرهوب يحاد الله ورسوله .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الاول

مفهوم الولاة والبراءة

الفصل الاول : تعريف الولاة والبراءة

الولاة في اللغة : جاء في لسان العرب : الموالاة - كما قبل ابن الأعرابي - : أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحاييه . ووالى فلان فلانا : اذا أحبه .

والمولى : اسم يقع على جماعة كثيرة ، فهو : الرب ، والمالك ، والسيد ، والمنعم ، والمعتق ، والناصر ، والمحب ، والتابع ، والجار ، وابن العم ، والحليف ، والعقيد ، والصهر ، والعبد ، والمعتق ، والمنعم عليه .

ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة . (١)

والولاية - بالفتح - في النسب والنصرة والمعتق .

والموالاة - بالضم - من والى القوم . قال الشافعي في قوله صلى الله عليه وسلم " من كنت مولاه فعلي مولاه " (٢) يعني بذلك ولاة الاسلام ، كقوله تعالى " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم " (١١) محمد والموالاة ضد المعاداة ، والولي ضد العدو ، قال تعالى " فتكون للشيطان

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٣ / ٩٨٥ - ٩٨٦ وانظر القاموس المحيط

٢٩٤ / ٤ ظ ٣ .

(٢) أخرجه احمد في المسند عن البراءة ٢٨١ / ٤ وايضا عن زيد بن ارقم

٣٦٨ / ٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، والترمذى في المناقب ج ٩ / ٣٠٠ ح ٣٧١٤

وقال حديث حسن صحيح غريب . وقال الالباني صحيح . انظر

صحيح الجامع الصغير ٦ / ٣٥٣ ح ٦٣٩٩ .

وليا " ٥٥ : مريم قال شعلب : كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولداً
ولياً . وقوله تعالى : الله ولي الذين آمنوا " ٢٥٧ البقرة : وليهم
في نصرهم على عدوهم ، وأظهر دينهم على دين مخالفيهم وقيل : وليهم
أى : يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم .
والولي : القرب والدنو . (١) والموالاة : المتابعة ،
والتولي : يكون بمعنى الاعراض ، ويكون بمعنى الاتباع . قال تعالى : " وأن
نتولوا يستبدل قوماً غيركم " ٣٨ محمد أى : ان تعرضوا عن الاسلام .
وقوله تعالى " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ٥١ المائدة معناه - من يتبعهم
وينصرهم . (٢) وقال صاحب " المصباح المنير " الولي : فعيل بمعنى
فاعل ، من وليه اذا قام به ، ومنه قوله تعالى " الله ولي الذين آمنوا "
٢٥٧ البقرة .
ويكون الولي : بمعنى مفعول ، في حق المطيع ، فيقال : المؤمن من ولي الله .
ووالاه موالاة وولاه : من باب " قاتل " أى تابعه . (٣)

* * *

تعريف البراء في اللغة : قال ابن الاعرابي : برىء اذا تخلص ، وبرىء ،
اذا تنزه وتباعد ، وبرىء : اذا اعذر وانذر ، ومنه قوله تعالى " براءة من
الله ورسوله " التوبة . أى اغذار وانذار .
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما دعاه عمر الى الصل فابى قال عمرو :
ان يوسف قد سأل الصل ، فقال أبو هريرة : ان يوسف منى برىء وأظلم منه
براء . (٤) أى برىء عن مساواته في الحكم وأن أقاس به ، ولم يرد ببراءة

(١) لسان العرب ٣/٩٨٦ .

(٢) لسان العرب ٣/٩٨٨ .

(٣) المصباح المنير للفيومي ٢/٨٤٩ .

(٤) هذا الاثر ذكره ابن الاثير في كتابه " النهاية في غريب الحديث " ١/١١٢ .

تحقيق الزاوي والطناحي .

الولاية والمحبة لأنه مأثور بالايمن به ، انتشر منه الترابية .

والبراء والبرى سواء .

(١) ولية البراء : ليلة يبتوأ القمر من الشمس ، وهي أول ليلة من الشهر .

تعريف الولاية بالمعنى الاصطلاحي : الولاية هي النصرة والمحبة والاكترام

والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً . قال تعالى " الله ولي

الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا اولياؤهم

الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات " (٢) ٢٥٧ البقرة . فمؤالة

الكفار تعنى التقرب اليهم و اظهار الود لهم ، بالا قوال والافعال والنوايا (٣)

تعريف البراء بالمعنى الاصطلاحي : هو البعد والخلص والعداوة بمعد

الاعدار والانداز .

شرح تعريف الولاية والبراء : قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الولاية :

ضد العداوة . وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض

والبعد " . . والولى : القريب يقال : هذا يلى هذا : أى يقرب

منه ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " الحقوا الفرائض بأهلها فما بقسى

فهو لأولى رجل ذكر " (٤) أى لا قرب رجل الى الميت .

(١) لسان العرب ١/١٨٣ والقاموس المحيط ١/٨

(٢) شرح الطحاوية ص ٤٠٣ . وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٤٢٢

(٣) كتاب الايمان لنصيم ياسين ص ١٤٥

(٤) هذا الحديث اخرجه البخارى فى كتاب الفرائض ١٢/١١ ح ٦٧٣٢

ومسلم فى الفرائض ٣/١٢٣٣ ح ١٦١٥ .

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ويأمره وينهى عنه ، كان المعادى لوليه معاديا له . كما قال تعالى " لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء " تلقون اليهم بالمودة " (الممتحنة ، فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربوه ولهذا جاء في الحديث " ومن عادى لي وليا فقد بادرني بالمحاربة " (١)

وهسمى الموالاتة (لأعداء الله) : يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة ونهاب الاسلام بالكلية ، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات (٢) ولما عقد الله الأخوة والمحبة والموالاتة والنصرة بين المؤمنين ، ونهى عن موالاتة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومطحنين ومشركين وغيرهم كـان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين : أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته ، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب الى الله ببغضه ومعاداته ، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة .

وحيث ان الولاء والبراء تابعان للحب والبغض ، فان أصل الايمان أن تحب في الله انبياءه وأتباعهم ، وتبغض في الله اعداءه وأعداء رسله . (٣) وقد ورد عن أبي عباس رضي الله عنهما قوله " من أحب في الله ، - وأبغض في الله ووالى في الله ، وعادى في الله ، فاشم تئال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون

(١) الفرقان لابن تيمية ص ٧ أما الحديث فقد رواه البخارى في كتاب

الرقائق باب التواضع (١١ / ٣٤١ ج ٦٥٠٢ .

(٢) انظر الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن

آل الشيخ ص ٤٣ .

(٣) انظر الفتاوى السعدية للشيخ عبدالرحمن بن سعدى (١ / ٩٨)

كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى على
أهله شيئاً (١)

وإذا كان حبر هذه الامة يذكر أن مؤاخاة الناس في زمانه قد أصبحت على
أمر الدنيا وأن ذلك لا يجدى على أهله شيئاً ، وهذا في القرن الذي هو
خير القرون : فجدير بالموء من أن يعيبي ويعرف من يحب ومن يبغض ، ومن
يوالى ومن يعادى. ثم يزن نفسه بميزان الكتاب والسنة ليرى أواقف هو في صف
الشيطان وحزبه أم في صف عباد الرحمن وحزب الله الذين هم المفلحون ،
وما عداهم فأولئك هم الذين خسروا الدنيا والآخرة ! .

(١) سبق تخريجه ص ١٤

الفصل الثاني

أهمية هذا الموضوع في الكتاب والسنة ونصيبه من الدراسة والتأليف

إنه من الجدير بالذكر أن هذا الموضوع - الولاة والبراءة - رغم أهميته ووضوحه في الكتاب والسنة إلا أن نصيبه من الدراسة والتأليف في الكتب العقديّة القديمة قليل جداً . وذلك راجع في نظري إلى ثلاثة أمور :

(١) أن هذا المفهوم العقدي كان من الوضوح والنصاعة عند المسلمين الأولين بمكان بحيث إنهم - من خلال سيوتهم وتاريخهم الوضحي - كانوا على درجة عالية جداً من الصفاء العقدي ، والتميز الواضح ، وقيامهم أيضاً - بالجهاد في سبيل الله . كل ذلك جعل هذا الأمر واضحاً وجلياً في حسهم .

(٢) أن طبيعة المجتمع الإسلامي الأول خاصة بعد الخلافة الراشدة لم تبرز فيه مشاكل عقديّة حول هذا الموضوع وإنما نشأت حول صفات الله جل جلاله ، وقامت الفرق المختلفة بالخوض فيها . فكان لا بد أن يتصدى أهل السنة والجماعة لمعالجة ذلك الانحراف بأن يبينوا للناس أن الله صفات تليق بجلالة وعظمته . نشبت لها كما جاءت في الكتاب والسنة من غير تعريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تشييل .

من هنا زخرت مؤلفاتهم رحمهم الله بالحدِيث في هذا الشأن ، ولا تجد لهم ذكراً لقضية الولاة والبراءة إلا في كلمات موجزة صغيرة كقولهم " ونحسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغض الخير يذكرهم " (١)

(١) الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨ ط ٤ .

(٣) وبعد دخول علم الكلام في مؤلفات المسلمين العقائدية ، وتمكين صغورهم بما ليس منها : لم يعد لهذا الموضوع ذكر البتة : وليس هو المنفرد بهذا الاقضاء ، بل انه تابع لاقضاء موضوع " لا اله الا الله وما تقتضيه من توحيد الألوهية وما يضاف ذلك من نواقض الاسلام ، التي لو شغل المسلمون انفسهم ببيانها وعرضها للناس عرضا صحيحا سليما بدلا من تحويلها الى قضايا ذهنية تجريدية لا علاقة لها بالسلوك الواقعي ولا بمعاني الاسلام الحقيقية لكان ذلك أجدي وانفع للناس ، وأقوم للقيام بما أراد الله منهم . ولو أن الأمة الاسلامية تقيدت بقول رسولها صلى الله عليه وسلم " تركتكم على البيضاء ليلها كفهارها لا يزيغ عنها بعمدي الا هالك " (١) وعضت على ذلك بالثواجد ما طمع فيها شرق ولا غرب ، ولا تخبطت في متهات التبعية العمياء لللاحاد والفكر الجاهلي سواء كان شرقيا أم غربيا على حد سواء .

وهين اقتصر المسلمون الاوائل على الوحيين العزيزين خرج منهم جيل فريد ليس له مثال لا مسبوق ولا ملحق ، جيل اعتز بانتمائه لدينه الخالص ، ففتح الدنيا ومزق ظلام الكفر والشرك وصدع باسم الله في الأرض من مشارف فرنسا غربا الى حدود الصين شرقا . ولعله من المناسب هنا ان نتحدث - ولو قليلا - عن طريقة القرآن والسنة في عرض العقيدة بصفة عامة وجناية علم الكلام على المسلمين لنقف من خلال هذه النبذة على مدى الهوة بين صفاء النبع العقيدى الربانى وبين جهالات علم الكلام .

لقد أدرك سلف هذه الأمة رحمهم الله أن كتاب الله العزيز هو :

(١) مسند أحمد ١٢٦/٤ وسنن ابن ماجه : المقدمة ١٦/٤ ح ٤٣ وفي

سنده عبد الرحمن بن عمرو السلمي لم يوثقه غير ابن حبان . وذكره

المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/٤٦ عن ابى عاصم فى كتاب السنة

وقال اسناده حسن ، انظر جامع الاصول ١/٢٩٣ حاشية .»

كتاب هداية وليس كتاب فلسفة ونظريات فارغة لا تمس الواقع . وأيقن ذلك الجيل أن الله هو خالق النفس البشرية وأنه هو العليم وحده بما يصلحها ، فلما أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم كان هو النور الهادي للنفوس ، ومصدر كل خير لها ، وهو أيضا النذير لها من كل ما يوردها موارد الهلاك والخسران . وميزة الخطاب القرآني : أنه يخاطب " الانسان " كوحدة متصلة فيها السروح والجسد وفيها العقل والعاطفة ، وفيها حب الخير وكره الشر " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها " ٧ - ١٠ الشمس . هكذا هي الطريقة القرآنية في عرضها للمقيدة انها (طريقة لاتخاطب الذهن المجرد ولكنها تخاطب " الانسان " كله ، وتخاطبه - أول ما تخاطبه - من طريق الوجدان ولا يمنع هذا أن تدعو عقله للمشاركة في الأثر ، ولكنها لاتخاطبه منفردا انما تخاطبه دائما والوجدان مستجاش ، فيأخذ دوره في التلقي منفعلا بالقضية ، متحركا للايمان بها ، لا مجرد مساجيل فيها بالمنطق والبرهان : والقرآن حين يصنع ذلك فهو يستجيب للفترة البشرية كما خلقها الله فالله الذي خلق هذه الفترة هو الذي نزل هذا القرآن مفصلا على قدها ، مستجيبا لها ، ومحيا لها ، وبعثا ومقومها في آن . والعقل جزء من هذه/ ولا شك ، وله دوره في قضية الايمان .. ولكن الله يعلم الشروط اللازمة لهذا العقل حين يتناول قضية من قضايا " الحياة " انه يمكن ان يعمل وحده حين يكون دوره هو التعرف على سنة من سنن الكون لا مجال فيها للوجدان ، أما في قضية الايمان فانسه لا يستقل بهذا الامر وحده ، بل تشاركه العاطفة والوجدان (١)

(١) دراسات قرآنية للاستاذ محمد قطب ص ٩٤ ، بقليل من التصرف .

وانا تصفحنا التاريخ الاسلامي لتبحث عن تاريخ الانحراف فسي
الدراسات العقديّة لوجدنا أن ذلك قد وقع في العهد الأموي بشكـل
بسيط ولكنه بلغ قمته في العهد العباسي ابان ترجمة العلوم اليونانية
والهندية والفارسية الى اللغة العربية . فبعد أن اتسمت الفتوحات
وامتدت رقعة الدولة الاسلامية ودخل في الاسلام أناس أظهروا الاسلام
وابطنوا النفاق والزندقة حصل خلط في المترجمات ، فلم يفرق بين الفتنس
والسمن من تلك العلوم الاجنبية .

ولما أصبح شغل أكثر الناس هو الترف العقلي ؛ رأوا أن يستوردوا غناء
الجاهلية الاغريقية وسمى ذلك عند المخدوعين به " فلسفة " !! وأنبهبوا
بهذا المستورد الدخيل وما فيه من عجمة وتعقيد ولعب بالالفاظ ودلا لتها .
وقادهم هذا الانبهار الى الباس التصور الاسلامي قناعا غريبا عليه .
غريبا عليه في ذاته ، وغريبا عليه في عرضه ، وغريبا ايضا على أهله . وسر
ذلك : ان (هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين
أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة ، وبين الحقائق الايمانية الاسلامية
وتلك المحاولات الصغيره المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات
والمباحث اللاهوتية البشرية) (١)

وهرى بنا أن نسأل : ما هو سر محاولة التوفيق بين الفلسفة البشرية
الجاهلية التي نمت وترعرعت في جوف وثني كافر ، وبين المورد المذب دين
الله " الاسلام " ؟

هل كان ذلك نتيجة للتقليد الأعمى والسعي وراء كل ناعق ؟

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته للاستاذ سيد قطب ص ١٠ - ١١

أم أنه كان نتيجة للقمود عن الجهاد ونشر العقيدة في ربوع الارض ؟
أم هو الترف المقلى ومجابهة أصحاب الجدل بنفخس أسلوبهم ؟
أم ان وراء ذلك كيدا من أعداء الاسلام في محاولة تشويه صفاة هـ هذه
العقيدة وخلطها بالشوائب الفريية عنها ؟!

والذى يظهر لى - والله أعلم - أن هذه الأسباب مجتمعة لها دورها
كل بحسب أهميته الا أنه من خلال تتبع قصة الترجمة فى عهد ها الاول يظهر
لى : أن كيد أعداء الدين وافق هوى عند بعض المسلمين خاصة بعض الحكام
فى العهد العباسى - كالمأمون مثلا - فحدث ما حدث من ترجمة لكاتب
المباحث السوفسطائية اليونانية وغيرها .

ويصدق ذلك : أن المأمون بعث الى حاكم صقلية المسيحى يطلب منه أن يبادر
بارسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة !!

وتردد الحاكم فى ارسالها ، وجمع رجالات دولته واستشارهم حول هـ هذا
الطلب فأشار عليه المطران الاكبر بقوله : (ارسلها اليه ، فوالله ما دخلت
هذه العلوم فى أمة الا أفسدتها) فأذن عن الحاكم لمشورته وعمل بها . ثم
أحضر المأمون حنين بن (١) اسحاق - وكان فتى لسنا - وأمره بنقل ما يقدر
عليه من كتب حكماة اليونان الى العربية ، فامثل لأمره . وكان المأمون

(١) هو حنين بن اسحاق ، طبيب ، مؤرخ ، مترجم ، كان أبوه صيدلانيا
من أهل الحيرة ، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد ، وأخذ
الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره ، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية
والفارسية ، فانتهدت اليه رئاسة المترجمين فى عهد المأمون الذى عينه
رئيسا لديوان الترجمة وبذل الاموال والمطايا .

لخص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس ، وكان يحفظ الباندة هو ميسورس
ومترجماته تزيد على المائتة . انظر الاعلام للزركلى ج٢/٢٨٧ ط ٤

يحطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا يخل . مواجعتل
حنينا يكتب على ورق غليظ وياعد بين الأسطر ويكتب بالحروف الكبيرة (١) !! ؟
وصدق - والله الطران القنبرصى : ان هذه الكتب ما دخلت أمة الا أفسدتها
تري من أين جاءت محنة الامام احمد بن حنبل رحمه الله في مسألة خلسق
القرآن ؟ ومن أين جاء اضطهاد علماء السنة ومحاربتهم وظهور المبتدعة
أيام المأمون وغيره ؟ ومن أين جاءت المصطلحات المبتدعة كالجوهر والمرض
والواجب والممكن وغيرها ؟ انه لم يأت كل ذلك الا من ترجمة علم الكسلا م
الجاهلي وخلطه بالمقيدة الاسلامية ليصنع ذلك كله ماسى ب " الفلسفة
الاسلامية " .

وانا علمنا : أن المترجمين كان جلمهم نصارى . (٢) وقد كتبوا
فى الترجمة العربية ما يعتقدونه ويدينون . فكيف يوثق بنصراني يحتقد
التلثيت وهو يترجم للمسلمين كتباً يتعلمونها ويعلمونها ابناهم
ويستفيدون منها فى مؤلفاتهم ؟ لقد صدق الشاعر حين قال : ومن

ومن جعل الخراب له دليلاً يعوبه على جيف الكسلا ب

ولمزيد من ايضاح وبيان البون الشاسع بين طريقة القرآن والسنة فى عسوس
المقيدة وبين علم الكلام نذكر الامور التالية فى المباينة بينهما ، لا مسن
باب المقارنة فلاوجه للمقارنة فى الحقيقة ، ان الأمر كما يقول الشاعر :

(١) انظر كتاب " عصر المأمون " ص ٣٧٥ - ٣٧٧ للدكتور أحمد

مزيد رفاعى ظ ١٣٤٦/٢ هـ الناشر دار الكتب المصرية .

(٢) انظر فى هذا كتاب الجانب الالهى للاستان محمد البهى ص ١٧٧ .

الم تر أن السيف ينقص صدره إذا قيل ان السيف أمضى من العصا
وانما من باب التثنية والتذكير . (١)

(١) في المصدر : فمصدر العقيدة القرآنية : الله رب العالمين .

أما مصدر " علم الكلام " فمعقول البشر القاهره الهزيلة .

(٢) في المنهج والسبيل : فخاوية علم الكلام : اثبات وحدانية الخالق ،

وانه لا شريك له ويظن المتكلمون أن هذا هو المراد بـ " لا اله الا الله "

بينما المراد منها ما سبق ان شرحناه في التمهيد ثم ان علم الكلام

يسمى لتحقيق " المعرفة " في الوقت الذي نجد فيه الطريقة القرآنية

تهدف الى " الحركة " من وراء المعرفة ، فتحول تلك المعرفة

الى قوة دافعة لتحقيق مدلولها في عالم الواقع وتستجيش الضمير

الانسانى ليحقق وجوده في الارض حسب الخطة التي رسمها لله

المتصور الرباني ، وحينئذ ترجع البشرية الى ربها ، وتحيا حياة

كريمة رفيعة تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للانسان . (٢)

ثم أن المنهج القرآني يدعو الى (عبادة الله وحده) قال تعالى

" وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا

فاعبدون " الانبياء : ٢٥

واوصى المصطفى صلى الله عليه وسلم معاذًا حين بعثه الى اليمن :

أن يدعوهم الى عبادة الله وحده ، فاذا عرفوا ذلك دعاهم للفرائض (٣)

(١) ينظر في هذا الموضوع كتاب " العقيدة في الله " للاستاذ عموسليمان

الاشقر ص ٢٧ الى ص ٣٨ الطبعة الاولى سنة ١٣٩٩ هـ الناشر مكتبة

الفلاح بالكويت .

(٢) انظر : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ص ١٠ - ١١

(٣) الحديث موجود في : البخاري كتاب الزكاة ج ٣ / ٣٢٢ ح ١٤٥٨ ومسلم

في كتاب الايمان ج ١ / ٥٠ ح ١٩ .

العقيدة سهلا لكافة المستويات البشرية . وهذا كله بخلاف
الفلسفة والكلام ، وخلاف تلك المصطلحات المعقدة التي لا تزيد
الشك الا شكا وحيرة وضلالا . (١)

وأسلوب المتكلمين يسير على نمط واحد في كل قضية يتحدث عنها
فهو لا يخرج عن قوله : (فان قيل لنا كذا : قلنا لهم كذا)

أما الاسلوب القرآني فانه يعرض العقيدة على نمطين :

الاول : توحيد في الاثبات والمعرفة . أي اثبات حقيقة الرب وصفاته
وأفعاله واسمائه كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسوله الكريم ، وهذا موجود
في أول سورة الحديد وطه ، وآخر الحشر ، وأول السجدة ، وأول آل عمران ،
وسورة الاخلاص بكاملها . (٢)

الثاني : توحيد في الطلب والقصد : وهذا ما تضمنته سورة " قل يا أيها
الكا فرون " و " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم " ٦٤ آل
عمران وأول سورة " تنزيل الكتاب " وآخرها + وأول سورة يونس وأوسطها
وآخرها وأول سورة الاعراف وآخرها وجملة سورة الأنعام .

ويعترف الاول : بأنه توحيد علمي خبري ، والثاني بأنه : توحيد
ارادي طلبى . (٣)

ونظرة واحدة الى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في عرضه لهذه
العقيدة وتربيته الفذه لصحابته كافية في الدلالة على أن من سلك طريقا

-
- (١) انظر خصائص التصور الاسلامي والعقيدة للاشقر ص ٣٥ .
 - (٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨ طبع المكتب الاسلامي .
 - (٣) المصدر السابق ص ٨٨ .

غير طريق القرآن والسنة في عرض العقيدة فقد سلك " سبلا " لا تلتقى منسج صراط الله المستقيم .

روى الاعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن . (١)

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : (٢) حدثنا الذين كانوا يقرءوننا : أنهم كانوا يستقرءون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا اذا نعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعطوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا . (٣)

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : لقد كان تلقي صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه العقيدة أشبه بما يكون بتلقي الجندي فسي الميدان " الأمر اليومي " ليعمل به فور تلقيه ، ولذلك لم يكن أحد هم لينسكنز منه في الجلسة الواحدة لانه كان يحس أنه انما يستكر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه ، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويممّل بها كما جاء في حديث ابن مسعود . (٤)

هكذا كان صدر هذه الأمة مقتصرًا على كتاب الله وسنة رسوله

(١) مقدمة الحافظ ابن كثير لتفسيره ج ١ / ١٣

(٢) هو عبد الله بن حبيب السلمي القارىء . لابه صحبة . روى عن مجموعة من كبار الصحابة . وهو تابعي ثقة توفي سنة ٧٢ هـ وقيل ٨٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٨٣ / ٥ .

(٣) المصدر السابق ١٣ / ١

(٤) معالم في الطريق ص ١٥

في عقيدته . ولكن الانحراف الذي طرأ على المسائل العقديّة في العصور المتأخّرة ؛ سببه حركة الترجمة والانبهار بفلسفة اليونان وعلومهم . ولو كان هناك وعي وتفكير في الأشياء المترجمة لأقتصر على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والكيمياء والطب وغيرها من العلوم النافعة وبشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفكّحة مع عقيدة المسلمين . ولكن الخطأ الذي حصل كان ترجمة جميع العلوم ومنها "الالهيات" عند أرسطو وأفلاطون وغيرهم .

انه خطأ فاحش وقع فيه من وقع والا فما هو الدافع لاستيراد ما عند الوثنيين واستخدام أهل الكتاب في ذلك ؟

وصدق حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين قال محذرا (. . . أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل اليكم) (١)

والذي حصل كما يقول الشيخ محمد الغزالي : ان صفو هذه العقيدة قد تمكّر بالفكر الاجنبي الذي اقحم على الحياة الاسلامية وبضروب الجسد التي زجى بها المتبطلون أوقات فراغهم . (٢)

ولكن رحمة الله بعباده وتكفله جلّ جلاله بحفظ هذا الدين تجلت في ايجاد علماء أعلام ، في كل عصر ومصر ، قاموا بواجب الدعوة الى الله والجهاد في سبيله وتبصير الأمة بما شردت عنه ، وزهدت فيه .

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد ٤٩٦/١٣ ح ٧٥٢٣ .

(٢) الاسلام والطاقت المعطلة ص ١١٢ ط ٢ .

لذلك حين رأى كثير من الائمة رحمهم الله هذا الداء الدخيل
يحل على المسلمين في تصورهم وعقيدتهم قاموا بواجبهم الجهادى نحوه .

فهذا الامام الجليل الشافعي رحمه الله يقول : (حكى في
أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل
ويقال : هذا جزء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام) (١)

ويقول أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله : " العلم بالكلام
هو الجهل ، والجهل بالكلام هو العلم " (٢)

ثم عقب شارح الطحاوية على ذلك بقوله : " كيف يراد الوصول الى
علم الاصول بغير اتباع ما جاء به الرسول " (٣) ؟

وذكر ابن الجوزي رحمه الله : أن أصل الدخيل في العلم
والاعتقاد : من الفلسفة وذلك أن خلقا من العلماء في سينا لم يقنعوا بما
فتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف على الكتاب والسنة ، بل
أوغلوا في النظر في مذاهب أهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي حطهم
على مذاهب رديئة افسدوا بها العقائد . (٤)

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول :

(هؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم

(١) شرح الطحاوية ص ٧٢ .

(٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٧٣ .

(٤) صيد الخاطر : تحقيق الطنطاوى ص ٢٠٥ الطبعة الثانية ١٣٩٨

السلف والائمة ، انهم لم يقوموا بكمال الايمان ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون اقواما من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم ، بطريق لا يتم الا برد بعض ما جاء به الرسول ، وهذا لا يقطع أولئك الكفار بالمعقول فلا آمنوا بما جاء به الرسول حق الايمان ، ولا جاهلوا الكفار حق الجهاد . وأخذوا يقولون : انه لا يمكن الايمان بالرسول ولا جهاد الكفار ، والرد على أهل الألحاد والبدع الا بما سلكناه من المعقولات !! ، وان ما عارض هذه المعقولات من السمعيات يجب رده تكذيبا ، أو تأويلا ، أو تفويضا . لأنها أهل السمعيات ، وانا حقق الأمر هليهم وجد الامر بالمعقول (١)

وكلمة اخيرة نذكرها للصبرة والمثظة ، وهي كلمة لأحد أولئك الذين خاضوا في بحر الكلام اللجج ثم خرجوا منه يطلبون النجاة . انها كلمة أبي عبدالله محمد بن عمر الرازي حيث قال : " لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي غيلا ، ولا تروى غيلا . ورأيت أقرب الطرق . طريقة القرآن . . . ومن جرب مثل تجربتي عرف مقل معرفتي (٢) هذا وانه لمحربي بالامة ، بعد أن عاشت قرونا من الضياع والتخبط أن تمسود الى المشكاة الربانية كتاب الله وسنة رسوله ، فتتدبر معانيها ، وتعمل بما فيها ففي ذلك النجاح والفلاح وطمانينة القلب " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " ٢٨ الرعد . وعلى الرغم من أنه سيتضح للقارىء ان شاء الله - من خلال قراءة هذا البحث : طريقة القرآن والسنة في غرس عقيدة " السولا

(١) موافقة صحيح المنقول الصريح المعقول ٢٣٨ / ١ تحقيق محي الدين

عبد الحميد ومحمد حامد الفقي .

(٢) شرح الطحاوية ص ٢٢٧ .

والبراءة في النفوس ، وذلك من خلال سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العهدين المكي والمدني ومن خلال الاثنية والصور الكثيرة في هذا الشأن الا انني ارى انه لا بأس بأن أورد هنا طرفا من هذا الموضوع خاصة وانني قد تكلمت حول عقم علم الكلام وهنائه على الأمة الاسلامية .

ان من أولى البدهيات في هذا الشأن أن الاسلام قد حرص على أن يكون انتماء المسلم لدينه فقط منذ أول لحظة يعلن فيها " لا اله الا الله محمد رسول الله " والبراءة من كل معبود أو متبوع أو مطاع سوى الله تعالى .

والادلة على ذلك كثيرة جداً في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى " فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ٢٥٦ البقرة . وقال " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأنكروا نعمة الله عليكم ان كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون " ١٠٣ آل عمران .

ويقول سبحانه " قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ٧١ الانعام " ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى " ٢٢ لقمان " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه " ٨٥ آل عمران " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين " ٣٣ فصلت . فهذه النصوص الكريمة تثبت مدى هبة الله سبحانه وتعالى

بانعامه على المسلمين بهذا الدين ، قالوا له مصدر القوة والهناء . فمن استمسك بهذا الولا ، وحققه فقد استمسك بالعروة الوثقى . أما الحديث - فممن أبي هريوة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم " ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية (١) ، وفخرهم بالاباء ، مؤمن تقى ، او فاجر شقى ، انتم بنو آدم / من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فهم من فهم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن " (٢) . وحرص المصطفى صلى الله عليه وسلم على تربية أمته والبعث بها عن مفاخر الأنساب والأحساب التي لا تستمد قوتها وحيويتها من هذا الدين القيم ، فنجد عليه الصلاة والسلام يحضهم على أن يكون انتسابهم للصف الاسلامي وحسب . ففي الحديث عن ابي عقبة - وكان مولى من أهل فارس - قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا ، فضربت رجلا من المشركين ، فقلت : خذها مني وأنا الفلام الفارسي ! فأنتفت التي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال " فهلا قلت خذها مني وأنا الفلام الانصارى " (٣)

ولقد كان دين العقيدة الاسلامية هو : اغراد الله تعالى بالتعلق والحب، والتعظيم والطاعة والانابة والخشوع والخوف والرجاء ، وتجريده النفس من كل محبوب أو مرهوب أو مرغوب سوى الله تعالى ، قال جل شأنه " وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله " ١٠٧ يونس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما " . . . وأعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفخوك بشىء لم ينفخوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك " (٤)

-
- (١) العيبة - كمال قال الخطابي - الكبر والنخوة . انظر سنن ابي داود ٥ / ٣٤٠
 (٢) سنن ابي داود كتاب الأدب ج ٥ / ٣٤٠ ح ٥١١٦ واخرجه الترمذى فى المناقب ٩ / ٤٣٠ ح ٣٩٥٠ وقال حديث حسن .
 (٣) سنن ابي داود كتاب الادب ٥ / ٣٤٢ ح ٥١٢٣ قال الالبانى فى المشكاة فى اسنانه عنده محمد بن اسحاق ٣ / ١٣٧٤ واخرجه ابن ماجه فى الجهاد ٢ / ٩٣١ ح ٢٧٨٤ .
 (٤) سنن الترمذى فى ابواب صفة القيامة ٧ / ٢٠٤ ح ٥١٨ وقال حديث حسن صحيح

(فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوفاً ما سواه وكان عبيده
أهون عليه من أن يخافه مع الله ، بل يفرد الله بالمخافة . . . ويتجرد لله
محبة وخشية واناية وتوكلاً ، واشتغالا به عن غيره ، فيرى أن أعماله فكرة في
أمر عدوه وخوفه منه ، واشتغاله به من نقص توحيده* (١) والا فلو جرد توحيد
لكان له فيه شغل شاغل ، والله يتولى حفظه والدفع عنه ، فان الله يدافع
عن الذين آمنوا . . . ومعلوم ان التوحيد حصن الله الأعظم من دخله كسان
من الامنين . قال بعض السلف : من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف
الله أخافه من كل شيء) (٢)

هذا طريق من طرق منهج العقيدة في غرسها للولاء والبراء في النفوس .
وطريق آخر : وهو استخدام مشاهد يوم القيامة ، لتصوير الخصومة
والعداء بين الاتباع والمتبوعين - الذين سلكوا غير منهج الله في الدنيا
ووالوا وعادوا حسب العادات ودين الابرار - وتبرؤ كل فريق من صاحبه .
قال تعالى : * ان تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ،
وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما
تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار*
١٦٦ - ١٦٧ البقرة . ولا شك أن هذه حال من اتخذ من دون الله ورسوله
وليجة وأولياء ، يوالي لهم ويعادي لهم ، ويرضى لهم ، ويفض لهم ،

(١) يشترط في هذا عدم ترك الأسباب لان فعل السبب من باب التوكيل
" اعقلها وتوكل " .

(٢) بدائع القوائد لابن القيم ٢/٢٤٥ / يتصرف .

فان اعماله كلها باطلية ، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها ، وشدة
تمبه فيها ونصبه ، ان لم يخلص مولاته ومعاداته ، ومحبتة وبغضه ، وانتصاره
وايثاره لله ورسوله .

وينوم القيامة ينقطع كل سبب ووسيلة وموالة كانت لخير الله ، ولا يبقى
الا من كان له سبب يصل بينه وبين ربه وهو حظه من الهجرة الى الله ورسوله
وعبادته الله وحده وما يلزم ذلك من الحب والبغض والعطاء والمنع والولاء والعداء
والقرب والبعد وتجريد متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض
والترك لما خالف سنته وهدية * (١)

ومن منهج القرآن ايضا في موضوع الولاء والبراء ضرب المثل ، وهذا
كثير في القرآن الكريم وأبرز مثال في هذه القضية هو ابراهيم عليه السلام
خليل الرحمن وأبو الانبياء . فانه هو القدوة الاولى في الولاء والبراء . ونظراً
لاهمية ذلك أترك الحديث عنه الى فصل مستقل في هذا الباب ان شاء الله .
وانا وجدت محبة الله في القلب ، تحمل المؤمن حينئذ وتقبل
تكاليف هذه المحبة ولوازم عبادته لله تعالى ومن ذلك جهاد أعداء الله ،
وبغضهم وهجرهم والصبر على الاذى في سبيل الله .

ثم يمضي القرآن الكريم في اسلوب عرض هذه العقيدة مستخدماً
التهديد والوعيد بعد البيان والايضاح واقامة الحجج على الناس فيقول عز وجل
" يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه أنزلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم " ٤٥ المائدة .

اما المستجيبون لأمر الله فان الله يحبهم وهوناصرهم ومولا هم ﴿ان الله

يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ ٤ الصفا " بسل

الله مولاكم وهو خير الناصرين " ١٥٠ آل عمران " واعتصموا بحبل الله

هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير " ٧٨ الحج .

ومن لوازم محبة الله اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم " قل ان كنتم

تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " ٣١ آل عمران .

يقول الشيخ الاسلام ابن تيمية : فاتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

واتباع شريعة باطننا وظاهرنا هو موجب محبة الله ، كما أن الجهاد في سبيل

الله ، وموالة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها . (١)

ويقول الحسن البصرى رحمه الله : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم

الله بهذه الآية : " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " (٢)

لقد ربي الكتاب والسنة الامة على الحب في الله والبغض في الله ، والولاء

في الله والبراء في الله ، حتى وصلت الى حد أن لو قذفت في النار لكسان

أحب اليها من أن تعود في الكفر بمد أن أنقذها الله منه .

ولئن كان الولاء والبراء قد غاب اليوم في واقع حياة المسلمين

الا من رحم ربك- فان هذا الفياب لا يغير من الحقيقة الناصمة الجليلة

شيئا لأن هذا الامر العظيم كما يقول الشيخ حمد بن عتيق (٣) ليس

(١) التحفة العراقية ص ٧٦

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ / ٢٥

(٣) ستأتي ترجمته قريبا .

فى كتاب الله تعالى حكم فىه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بمد
وجوب التوحيد وتحريم ضده * (١) وما سر استيراد مذاهب البشر الالحادية
وافكارهم القاصرة الانتيجة حتمية لغياب ولائهم لله ورسوله وعدم براءتهم
من الطوائف المقنعة ببهرج الباطل وزيف الحقيقة .

(١) النجاة والفكك ص ١٤

الفصل الثالث

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وطبيعة العداوة بينهما

ان وجود أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر قديم نشأ منذ خلق آدم عليه السلام وأمر الله للملائكة بالسجود له فسجدت الا ابليس أبى واستكبر .

وقد تحدث القرآن الكريم عن قصة هذه العداوة بين آدم وابليس في سور شتي من أبرزها سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة طه وغيرها . قال تعالى : " وان قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا : يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها مفداً حيث شئتما ولا ^{تقربا} تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ، فطلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ، قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يخزنون " ٣٤ - ٣٨ البقرة وفي سورة الاعراف يأتي بيان عدم سجد ابليس (قال ما منعك الا تسجد ان أمرتك ؟ قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ١٢ الاعراف لقد كان امر الله لابليس ان يسجد فكان رده لعنه الله الامتناع والاستكبار مستخدما في ذلك قياسه الفاسد: ان النار أشرف من الطين ! وهو بهذا ينصب نفسه ندا لله سبحانه وتعالى : الله يقول كذا . فيقول ابليس: أنا أرى كذا . ولذلك استحق اللعنة والطرود من رحمة الله .

صمد بن الحبيب

ولقد بدأت العداوة بين آدم وإبليس لأن آدم عليه السلام ، اثنى عشر
هدى الله واستغفر ربه أما إبليس فأصر وأخذ على نفسه العهد بأن يتصد
لكم ^{بكل ما أوتي} . قال تعالى . (. . .) وناداهما ربهما ألم أتكما
عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالا : ربنا ظلمنا
أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " ٢٢ - ٢٣ الاعراف .
" قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع
هدايي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشوه
يوم القيامة أعمى " ١٢٣ - ١٢٤ طه .

ان انقسام الناس الى فريق الهدى وفريق الضلال بدأ به ———
البداية كما ذكر ذلك المولى سبحانه " خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن " ٢
التغابن .

فأما الفريق الذى أجاب دعوة الرسل وآمن بكتب الله المنزل ———
ورسله المبعوثين رحمة للناس فهو : أولياء الرحمن .
وأما الفريق الذى أعرض واستكبر فهم أولياء الشيطان .

وقبل الحديث عن الفريقين لابد أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى
قد أقام الحجة على عباده فبين لهم عداوة الشيطان حتى بعد قصته
مع آدم .

فهو سبحانه لم يذكر قصة آدم وداوة إبليس له عدة مرات فى القرآن
فحسب ، بل زاد الامور بيانا فحذر بهتى آدم فى مواضع كثيرة من القرآن
أن يستمعوا لنواية الشيطان ويعرضوا ———
عن طريق الله المستقيم ——— قال تعالى : "يا أيها
الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين " ٢٠٨ البقرة . ثم يأتى التذكير مع التحذير فى قوله تعالى :

الذين آمنوا
بالحق يوم
الدين

" يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاً نهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون " ٢٧ الاعراف .

ولم يقتصر البيان القرآني الكريم على هذا بل قد كشف للناس المخطط الشيطاني ، حتى يبصر كل ذي عينين ويتفكر أولوا الألباب فقال تعالسي عن ابليس " . . قال لا تخذن من عبادك نصيباً مفروضاً . ولا ضلنهم ولا منينهم ولا آمنهم فليبتكن آذان الانعام ولا منهم فليفبرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ، يمدهم ويمنيهم وما يمدهم الشيطان الا غروراً " ١١٨ - ١٢٠ النساء .

ثم يذكر الله للناس مشهدا من مشاهد يوم القيامة حين يندم أولياء الشيطان ولات ساعة مندم فيقول سبحانه " وأما زوا اليوم ايها المجرمون ، ألم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم " ٥٩ - ٦١ يس .

ومشهدا آخر لابليس حين يتبرأ من اتباعه " وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومنى ولوموا أنفسكم ما انا بصرخكم وما انا بصرخي انى كبرت بما اشركتمون . من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم " ٢٢ ابراهيم .

انه ليس بعد بيان الله بيان . والأشياء لأصلها تعود كما يقولسون فما دام أن ابليس عدو والادم فلا شك أن اتباع ابليس وحزبه أعداء لأوليائه الرحمن وأتباع المرسلين . ومن ثم فلا التقاء بين الفريقين ولا هوادة بينهما.

انها الحرب والعداوة والحسد والاستمزاز والسخرية والحكر والخديعة

وكل ما يوحي به ابليس لا تباعه ذلك سلاح حزب الشيطان .

وحزب الشيطان أناس يتربصون بالمؤمنين يحاولون ما استطاعوا

أن يصدوهم عن ذكر الله ، ولقد اخبرنا جل جلاله بذلك في مواضع عدة

من كتابة الكريم فقال سبحانه عن سخرية اعضا * الله بحزب الله * زين للذين

كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوهم يوم القيامة

٢١٢ البقرة * قال الملاء الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة ^{وانا} لنظنك

من الكاذبين * ٦٦ الاعراف * ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون

وانا مروا بهم يتغامزون ، وانا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ، وانا رأوهم

قالوا ان هؤلاء لضالون * ٢٩ - ٣٢ المطففين .

وانظر الى تصوير القرآن لعداوة حزب الشيطان ، وما تتطوى

عليه نفوسهم ضد المؤمنين ^{قال تعالى} / وانا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فسى

وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ، قل

أفأنبئكم بشر من ذلكم : النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير

٧٢ الحج .

وها هنا حقيقة هامة وهى : ان العداوة التى وقمت بين آدم/ابن ابليس

هى عداوة قائمة بين ابليس وبنى آدم الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وتاريخ البشرية كله ما هو الا مصداق لحقيقة انقسام الناس الى فريق الهدى

والرشاد وفريق الهوى والشهوة والشيطان . * خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن * المتغاب

وعلى ذلك فانه لا التقاء بين الفريقين فى الدنيا ولا فى الآخرة ولذلك يقول

شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله * ومن سنة الله : انه اذا أراد اظهر

دينه ، أقام من يمارضه فيحق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل

فيدمغه فانما هو زاهق * (١)

وأُنظر الى عداوة قوم نوح عليه السلام له وقوم عاد وقوم صالح وشعيب
وأبراهيم وموسى وعيسى ثم محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم العداوة التي
تقابل بها الجاهلية أهل الايمان الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وإذا كان أولياء الرحمن مصرين على اتباع هدى ربهم فان أولياء
الشیطان يصرون أيضاً على التردى في حمأة الجهل والضلال ، عابدين
للطاغوت سواء كان هذا الطاغوت ندا يعبد أو شهوة يواد اشباعها أو جنسا
أو لغة أو سلطة أو أرضا أو دين الايمان الاولين . وصدق الله العظيم ان يقول
" الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الذين كفروا أولياءهم
الطاغوت يخرجهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها
خالدون " ٢٥٧ البقرة .

أما حزب الرحمن فهم " الذين ينتمون اليه سبحانه ، ويستظلون
برايته ، ويتولونه ولا يتولون أحدا غيره ، وهم أسرة واحدة وأمة واحدة
من وراء الأجيال والقرون ، ومن وراء المكان والاوطان ومن وراء القوميات
والاجناس ، ومن وراء الارومات والبيوت " (١)

وقد جاء الدين الاسلامى بفيض التفرقة بين الحق والباطل ، وبين
الاسلام والجاهلية فلم يجعل التقاء الناس على أساس العرق أو اللون
أو الجنس أو التراب - كما تفعل ذلك الجاهليات القديمة والحديثة على
السواء - بل جعل التقاء الناس على العقيدة فى الله ، وجعل المفاضلة
بينهم بالعمل الصالح قال تعالى " يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم
خبير " ١٣ الحجرات . وقال صلى الله عليه وسلم " لا فضل لعربى على
عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود

الا بالتقوى . كلکم لآدم وآدم من تراب " (١)

وقال أيضا " ان الله اذ هب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمنين
تقي أو فاجر شقي " (٢) ولقد تبرأ المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقرباء
له ليسوا على دينه ، ليضع من نفسه قدوة للمؤمنين فقال فيما رواه عمرو بن العاص
رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جهاراً من غير
جوارية من رسر " ان آل فلان - أناس من أقاربه - ليسوا لي بأولياء ،
انما وليي الله وصالح المؤمنين " متفق عليه . (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم " ان اولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا " (٤)
وهذا موافق لقوله تعالى " فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين " -
التحريم من هنا : كان المؤمنون هم أولياء الله لأنهم استجابوا لما أراد الله
فتلقوا منه وحده ، وعبدوه وحده ، وخافوه وحده . بعكس الفريق الثاني
فانهم كلما دعاهم رسول من رسل الله قالوا " بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا
أولوكان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون " ١٧٠ البقرة .
" وانا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا أولوكان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون " ١٠٤ المائدة .

(١) مسند الامام احمد عن ابي نضرة : ٤١١/٥ واسناده صحيح الا انه
موسل لان ابا نضرة ليس صحابيا .

(٢) سبق تخرجه ص .. \

(٣) صحيح البخارى كتاب الادب ١٠/١٩١ ح ٥٩٩٠ ومسلم فى الايمان
١٩٧/١ ح ٢١٥ .

(٤) مسند احمد : ٥/٢٣٥ وهو حديث صحيح . انظر تخريج كتاب فقه

السيوة للغزالي ص ٤٨٥ وصحيح الجامع الصغير ٢/١٨١ ح ٢٠٠٨

ومن صفات أولياء الرحمن : الاستجابة والانقياد لحكم الله وشرعه واتباع امره
قال تعالى " إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم
أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون " ٥١ النور .

أما أولياء الشيطان : فمن سماتهم الاعراض عن حكم الله وشرعه ،
واتباع الهوى والشيطان قال تعالى " ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع
وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا في الدين " ٤٦ النساء وقال " ومن أظلم ممن
ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها ، أنا من المجرمين منتقمون " ٢٢ السجدة .
يقول العلامة ابن القيم : " كل من كذب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وأعرض عن متابعتة ، وحاد عن شريعته ، ورغب عن ملته ، واتبع
غير سننه ، ولم يتمسك بعهدده ، ومكن الجهل من نفسه ، والهوى
والفساد من قلبه ، والجحود والكفر من صدره ، والعصيان والمخالفة ممن
جوارحه فهو ولي الشيطان " (١)

ومن سمات أولياء الشيطان أنهم (إذا جاء الحق معارضا فسى
طريق رياستهم طحنوه ، وداسوه بأرجلهم ، فان عجزوا عن ذلك دفعوه
دفع الصائل ، فان عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق ، وحادوا عنه
إلى طريق أخرى ، وهم مستعدون لدفعه بحسب الامكان ، فاذا لم يجدوا
منه بدأ أعطوه السكه والخطبه ، وعزلوه عن التصرف والحكم والتنفيذ ، وان جاء
الحق ناصرا لهم ، وكان لهم صالحوا به وجالوا ، وأتوا اليه مذعنين ،
لا لأنه حق بل لموافقته غرضهم وأهوائهم ، " وإذا دعوا إلى الله ورسوله

ليحكم بينهم انا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ،
أفني قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟
بل أولئك هم الظالمون " (١) ٤٨ - ٥٤ النور ،

طبيعة العداوة بين الفريقين

بعد أن بينا سمات الفريقين ، نتحدث الان عن العداوة بينهما ،
ومعرفة هذه العداوة امر لا بد منه لتمييز الخبيث من الطيب " ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " ٢٩ آل عمران
ومعرفة العداوة بين الفريقين امر هام يكشف العيوب بعض المتسمين باسماء
اسلامية وهم يسمعون لتذويب المسلم في خضم الجوا الجاهلي المعاصر وتجميع
ولائه لربه ودينه واخوانه المسلمين ، وامانة براءته وعداوته لكل عدو له هذا
الدين .

هذه الحقيقة الهامة الناصعة يحاول أعداؤنا تزييفها : بأن
الكفار أصدقاء أو نبياء شرفاء يجب أن يكون لهم الحب والتقدير ، والاحترام
والاكبار والتعظيم ، يقولون اننا متأخرون وهو لاء القوم متقدمون يجب
أن نسلك سلكهم ، وننهج نهجهم نفتق آثارهم في كل وضع و حال ، نأخذ
حفاوتهم بكاملها حلوها ومرها ، حقها وباطلها ، بل انه لا باطل فيها (٢)

(١) مدارج السالكين ٥٣/١ .

(٢) من تزعم هذا الاتجاه طه حسين واخترابه .

ولكن هيئات خسئوا وخابوا ، ان حزب الله هم الأعلون عند الله
قدرا ، وهم الأعلون ولو كانوا أقل عددا ، وحزب الشيطان هم
الخاسرون ولو كانوا عدد الحصى .

ولابد ان يسبق حديث العداوة بين الفريقين ، نبذة بسيطة
عن عداوة إبليس للانسان حتى تعلم مداخل الشيطان لهذه النفس البشرية ،
ومدى تلبسه الحق بالباطل على أوليائه فيبين الحق للمؤمنين فيأخذ
الحذر على نفسه ومن معه ، ويعبد الله على بصيرة منه ونور من شرعه .
وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ان عداوة الشيطان للانسان تتمثل
في ست مراتب اذكرها هنا باختصار .

(١) الكفر والشرك ، ومعاداة الله ورسوله ، فاذا ظفر الشيطان
بذلك من ابن آدم برد انينه ، واستراح من تعبته معه ، وهو
أول ما يريد من العبد ، فان ظفر به صبره من عسكره وتوابعه ،
فصار من دعاة إبليس ، فان يئس من ذلك نقله للمرتبة الثانية
من الشر وهي

(٢) البدعة ؛ لأنها أحب اليه من الفسوق والهميان ، وذلك
أن ضررها في نفس الدين وهو ضرر متعدد ، وهي مخالفة لدعوة
الرسول ، فان كان الشخص ممن يماضي أهل البدع والضلال نقله
الى المرتبة الثالثة وهي :

(٣) الكباش على اختلاف أنواعها ، فيحرص أن يوقعه فيها خاصة
اذا كان عالما متبوعا لينفر الناس عنه . ومن المعلوم ان الذين
يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم ، هذا

إذا أحبوا أشاعتها ، فكيف إذا تولوا هم إذا عتبا ؟ فان عجز
عن هذه نقله للتي بعدها وهي :

(٤) الصفائر التي إذا اجتمعت ربما اهلكت صاحبها ، كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم " اياكم ومحقرات الذنوب ، فان مثل ذلك
قوم نزلوا بغلاة من الارض (١) " وذكر حديثا معناه ان كل واحد
منهم جاء بعود حطب حتى اوقدوا نارا عظيمة فطبخوا واشتروا .
ولا يزال يسهل عليه أمر الصفائر حتى يستهين بها ، فيكون صاحب
الكبيرة الخائف أحسن حالا منه ، فان أعجزه العبد عن هذه
نقله للخامسة .

(٥) اشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فسوت
الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها ، فان أعجزه العبد عن
هذه بأن كان حافظا لوقته شحيحا به ، يعلم مقدار أنفاسه وانقضا عنها
وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله للتي بعدها .

(٦) اشغاله بالعمل المفضول عن الفاضل ليزيح عنه الفضيلة ويفوته
ثواب العمل الفاضل ، ويفتح له أبواب خير كثيرة ، كما ورد أنه
يأمر بسبعين بابا من أبواب الخير اما ليتوصل الى باب واحد من
الشر واما ليفوت بها خيرا اعظم من تلك السبعين وأجل وأفضل .

وهذا امر لا يتوصل الى معرفته الا بنور من الله يقذفه في قلب

العبد ، يكون سببه تجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

وشدة عنايته بمراتب الاعمال عند الله ، وأحبها اليه ، وأرضاها

له ، وهذا لا يعرفه الا من كان من ورثة الرسول صلى الله عليه

وسلم ونوابه في الامة ، وخلفائه في الارض والله بمن يفضل

(١) الحديث في مسند احمد ٣٣١/٥ وهو حديث صحيح انظر سلسلة

الاحاديث الصحيحة ح ٣٨٩ وصحيح الجامع ٢/٣٨٦ ح ٢٦٨٤٩٢٦٨٣

على من يشاء من عباده . (١)

ومادام ان هذا هو كيد الشيطان فما هو ~~سبب~~ ^{سبب} العداوة بين الفريقين ؟

~~والجواب~~ والجواب على ذلك أحد امور اربعة أو الاربعة مجتمعة .

(١) الكبر : فأولياء الشيطان استكبروا على الحق وعلى الرسول وعلى

الرسالة . قال الله تعالى فيهم " ان الذين يجادلون في آيات الله

بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الاكبر ما هم بيالغية فاستمعوا

بالله انه هو السميع البصير " ٥٦ غافر .

" افلكم جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً

تقتلون " ٨٧ البقرة وقال تعالى " وانا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً

كأن لم يسمعها لأن في اذنيه وقراً فبشرة بعذاب اليم " ٧ لقمان .

(٢) استحباب الحياة الدنيا على الاخرة ، واللصوق بالشهوات واللذائذ

قال تعالى " ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وأن الله

لا يهدي القوم الكافرين " ١٠٧ النحل " الذين يستحبون الحياة

الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً اولئك

في ضلال بعيد " ٣ ابراهيم .

وانا وجد الكبر وحب الدنيا على الاخرة أو أحدهما : فان أرباب ذلك

منزعمين من وجود عباد الله المخلصين ، حتى ولو لم يظهروا

لهم منهم اى احتكاك فان وجودهم بهذا النقاء وبهذه الطهارة

وبذلك الاستعلاء أمر يغيظ اعداء الله قال تعالى " ودالوا تكفرون

كما كفروا فتكونون سواء " ٨٩ النساء ذلك ان وجود الفريق

الطاغر يشعر الفريق الدنس بخبث طويته وقبيح فعله ، فمن هنا يبدأ كيد اعداء الله لا وليا الله بكل ماتعنى كلمة " كيد " سواء كان ذلك بالسخرية او الاستهزاء ، او العذاب والاضهاد ، أو التريسه للمؤمنين بكل مايسوء .

(٤) الحسد : فتأثرة اولياء الشيطان لا تهدأ ، ولذلك يكون للمؤمنين الحسد والحقد ، وقد بين الله ذلك فى كتابه العزيز بقوله تعالى " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق " ١٠٩ البقرة أجل هذه هي امنيتهم أن يكفر عباد الله ليتساووا معهم فى الكفر والضلال ، وقد بين الله عظيم هقدهم وحسد هم لو ظهروا على المؤمنين فقال تعالى " كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولازمة " ٨ التوبة .

(٤) سلب السهينة والولاء : وهذا امر يختص بـ " الملا " اي السادة والطواغيت الذين يستمبدون الناس ، حيث يتقدم الناس لهم بالاجلال والتعظيم والرغبة والرهبية والخوف والرجاء . فاذا جاء دين الله وشرعه الذى يحرر الناس من عبودية العبيد الى عبادة الواحد القهار فان " الملا " يثورون ويمادون دعاة الخير ، لأنهم يشعرون حينئذ ان سلطانهم قد سلب وان شرفهم قد زال ، وان الناس لم يعبودوا يخشونهم أو يهجونهم ، لأن دين الله قد حررهم وأعزهم وعبدهم لله فخوفهم من الله ، وحبهم لله ، وولاءهم لله ، وبغضهم فى الله .

ودليل هذا فعل كسرى حين جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الدخول فى الاسلام فاستكبر فى نفسه وكأنه يقول بأمر عجيب

الاعراب الذين كانوا رعاة لنا يأتون اليّ لأدّخل في دينهم الجديد ! وظن
ان ملكة سيزول إذا دخل في الدين الجديد ، فما كان منه الا أن مزق الكتاب .
وقد استجاب الله دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فمزق الله ملك كسرى شـر
ممزق ، فهكذا الطواغيت التي لا تدّين لله بالولاء والسلطة والحاكمة
تعدّدي أولياء الرحمن وتصب عليهم أشد أنواع العذاب كما قال تعالى " وما
نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " ٨ البروج .

(والجاهلية لا تكره الا سلام لأنها - في دخيلة نفسها - لا تعرف ما فيه
من الحق والخير ، أولاً أنها - بينها وبين نفسها - تعتقد حقاً أن باطلها
الذي تعيش فيه أحسن وأقوم من الاسلام ! كلا ! فهي تكرهه وهي عالمة
بما فيه من الحق والخير وبأنه هو الذي يقوم ما عوج من شؤون الحياة ، وانما
تكرهه لأنها حريصة على هذا العوج لا تريد تقويمه ، وتود أن تبقى الأمور
على عوجها ولا تستقيم ، ! تكرهه لأنها هي الجاهلية . . وهو الاسلام !
" وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى " (١) ١٧ فصلت .

أما طبيعة عداوة أولياء الرحمن لاعدائهم : فهي جزء من عقيدتهم
وأحسب أنني فصلت القول في هذا في الشهيد حين تكلمت عن لـوازم
لا اله الا الله - انهم ييغضون في الله من حاد الله ورسوله قال تعالى
" لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، اولئك كتب في قلوبهم
الايمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون "

٢٢ المجادلة .

انهم لا يلتقون مع أعدائهم في منتصف الطريق بل يقولون كما قال
امامهم ابراهيم عليه السلام " انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم ويدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده " .
٤ الممتحنة .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : " انه لا يستقيم
للانسان اسلام - ولو وحد الله وترك الشرك - الا بعد اوة المشركين والتصريح
لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى " لا تجد قوما . . . آية ٢٢ المجادلة (١)
وماد منا قد عرفنا منطلق العداوة وحقيقتها فيجب ان نعلم ان هذا هو (القاسم
المشترك) بين اعداء الاسلام بشتى اصنافهم من كفار ومشركين و منافقين وكسل
من كره الاسلام وعاداه . ان طبيعة المنهج الاسلامى التى يعرفها جيدا
اصحاب المناهج الاخرى طبيعة الاصرار على اقامة مملكة الله في الارض ، واخراج
الناس كافة من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، وتحظيم الحواجز المادية
التى تحول بين الناس كافة وبين حرية الاختيار الحقيقية . . ثم انها طبيعة
التعارض بين منهجين للحياة ، لا التقاء بينهما فى صغيرة ولا كبيرة
وحرص اصحاب المناهج الارضية على سحق المنهج الربانى الذى يهدد وجودهم
ومناهجهم واطاعهم قبل أن يسحقهم ، فهى حتمية لا اختيار فيها ففى
الحقيقة لهؤلاء ولا لهؤلاء . . . وهذه الظاهرة يقرها القرآن بقولته
" ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " (٢)

ونؤكد بوضوح هذه الاصناف حسبما نص عليه القرآن الكريم

(١) مجموعة التوحيد ص ١٩ (ستة مواضع من السيرة) ط دار الفكر .

(٢) طريفة الدعوة : ٨٠/١

فأما الكفار فقد قال الله تعالى عنهم " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله مضم نوره ولو كره الكافرون " ٨ الصف .
وقال في شأن " المشركين " ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين
أن ينزل عليكم من خير من ربكم " ١٠٥ البقرة .
" هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون " ٩ الصف وأما عداوة أهل الكتاب فالله يقول عنهم " ولئن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " ١٢٠ البقرة .
" لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود " ٨٢ المائدة .
" ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن
تضلوا السبيل " ٤٤ النساء " وانا لاقوم قالوا آمنا وانا خلوعاضوا عليكم
الانامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور " ١١٩
آل عمران .

أما عداوة المنافقين : فقد نبه القرآن الكريم على ذلك في مواضع
كثيرة ومن ذلك ماورد في أول سورة البقرة حيث ذكرهم في ثلاث عشرة آية
من آية ٨ - ٢٠ (وذلك لكثرة تهم وعموم الابتلاء بهم ، وشدة
فتنتهم على الاسلام وأهله ، فان بلية الاسلام بهم شديدة جدا ، لأنهم
منسوبون اليه ، والى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون
عداوته في كل قالب ، يظن الجاهل أنه عليم واصلاح وهو غاية الجهل
والافساد .

(١) فله كمل معقل للاسلام قد هد موه ! وكم من حصن له قد قلعوا
أساسه وخربوه ، وكم من لواء مرفوع قد وضعوه . . اتفقوا على مفارقة
الوحي فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون " فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا

كل حزب بما لديهم فرحون " ٥٣ المؤمنون .

((رأسالهم الخديعة والمكر ، وبضاعتهم الكذب والختر ، وعندهم
العقل الممشى : ان الفريقين عنهم راضون وهم بينهم آمنون " يخادعون
الله والذين آمنوا ومايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون " ٩ البقرة .

((من علقت مخالبا شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق ، ومن تعلق
شرر فتنهم بقلبه القاه في عذاب الحريق ، خرجوا في طلب التجارة البائرة
في بحار الظلمات فركبوا مراكب الشبه والشكوك ، تجرى بهم في موج
الخيالات ، فلعبت بسفنهم الريح العاصف ، فألقتها بين سفن الهالكين
" أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (١)
١٦ البقرة . .

وقد نزل بخصوصهم سورة كاملة في القرآن هي سورة " المنافقون " .
وقد ورد فيها صريح عداوتهم للمؤمنين في قوله تعالى عنهم " هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، ولله خزائن السموات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون ، يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون " .
٧ - ٨ المنافقون .

وماد منا قد عرفنا عداوات هذه الاصناف للاسلام ، فانه لجديربنا
ان نوكد خطورة عداوة اليهود والنصارى لانهم/المسيطرون اليوم على
معظم بقاع الارض ، وهم الذين ييثون غزوهم بشتى الاساليب ، وهم رمز

(١) مدارج السالكين / ١ / ٢٤٧ - ٢٤٩ بصرف

" البهرج والانبهار " أمام المخدوعين من ابنا المسلمين .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى فى كل أرض وفى كل وقت ضد الجماعة المسلمة هى من أجل العقيدة . وهم قد يختصون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائماً فى المعركة ضد الاسلام والمسلمين .

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلاماً شتى - فى خبث ومكر وتورية - لأنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة ، فخوفاً من حماس العقيدة الاسلامية وجيشانها : أعلنوا الحرب باسم الارض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية ، وألقوا فى روع المخدوعين منا : إن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها ! ولا يجوز رفع رايته ، وخوض المعركة باسمها ، فهذه سمية المتخلفين المتعصبين ! وذلك ليأمنوا جيشان العقيدة من جديد ، بينما هم فى قرارة نفوسهم جميعاً : يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شئ لتعطيم هذه الصخرة العاقبة التى نطحوها طويلاً فادمتهم جميعاً ! .

فإذا نحن خدعنا بخديعتهم فلا نلومن الا أنفسنا ، ونحن نبتعد عن توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا مته وهو سبحانه أصدق القائلين " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " ١٢٠ البقرة هذا هو الثمن الوحيد الذى يرضونه وما سواه فمرفوض ومردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق " قل إن هدى الله هو الهدى " على سبيل القصر والحصر هدى الله هو الهدى وما عداه فليس بهدى . (١)

و خلاصة القول :

ان حقيقة العداوة وطبيعتها هو اختلاف الدينين ، وافتراق

المنهجين . فاما دين الله واتباع شرعه وموالاته عباد المؤمنين .

واما دين الباطل واتباع الهوى والشهوات والشيطان والانضمام

الى حزب الشيطان فعملى أولياء الله أن يسمتروا بدِينهم ، وأن يستعملوا فوق

وطأة الباطل فانهم هم المنصورون ، واذ كان اعداء الله يتباهون بقوتهم وكثرة

عددهم وعدتهم فإن المؤمنين يفخرون بنصر الله وكريم معيته وعونه لهم .

فقد ورد فى صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم : قال " يقول الله تعالى " من عادى لى ولياً فقد آذنته

بالحرب ، وماتقرب الى عبدى بمثل أدا " ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي

يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،

وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ،

ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعانني لأعبدنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله

ترددى عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وكره مساءته ولا بد له منه " (١)

ويقول الله تبارك وتعالى " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم

محسنون " ١٢٨ النحل ^{١٢٨} يوحى ريك الى الملائكة أني معكم فثبتوا

الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب " ١٢ الأنفال .

" فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم " ٣٥ محمد

وانا قلبنا صفحات التاريخ وجدنا صدق ذلك ، ففي غزوة بدر نصر
الله القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وأعز دينه ونصر حزه ، وفتوحات
المسلمين شرقا وغربا وتحطيم عروش كسرى وقيصر ليست بغائبة عن الأذهان .
ونصر الله وتأييده للمؤمنين في معركتهم مع التتار ومع الصليبيين
الحاقدين . وغيرها من مئات الحوادث سواء كانت على مستوى الفرد أم الجماعة
خير شاهد على ما نقول .

وسيقى النصر والعمون والمدد لأولياء الله ان شاء الله الى أن يرث
الله الأرض ومن عليها وما على المؤمنين الا الصدق مع الله والاخلاص في
العمل ابتغاء مرضاته هو وحده ، والعمل وفق كتابه وسنة نبيه ولن يضيع
الله أجر من أحسن عملا .

الفصل الرابع

عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاة والبراءة

لا بد أن نذكر معتقد أهل السنة والجماعة في الولاة والبراءة حتى يخرج بذلك أرباب البدع والاهواء التي لا تستند الى دليل قوي من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : على المؤمن أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فان كان هناك مؤمن فعلية أن يواليه - وان ظلمه - فان الظلم لا يقطع المولاة الايمانية ، قال تعالى " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما " ٩ الحجرات ، فجعلهم اخوة مع وجود القتال والبغى ، وأمر بالاصلاح بينهم ، فليتدبر المؤمن : أن المؤمن تجب مولاته وان ظلمك واعتدى عليك ، والكافر/معاداته وان اعطاك وأحسن اليك . فان الله سبحانه بعث الرسل ، وانزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه والبغض لاعدائه ، والاكرام والثواب لأوليائه والاهانة والمقاب لاعدائه .

وانما اجتمع في الرجل الواحد : هير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة استحق من المولاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعادات والمقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الاكرام والاهانة كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الاصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم . (١)

وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه . (١)

الثالث : من يبغض جملة وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأنه كله بقضاء الله وقدره وانكسر
البعث بعد الموت ، أو ترك احد اركان الاسلام الخمسة ، أو اشرك بالله
فى عبادته احدا من الانبياء والاولياء والصالحين ، وعرف لهم نوعاً من
أنواع العبادة كالحب والدعاء ، والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل ، والاستعانة
والاستعانة والاستفائة والذبح والنذر والانابة والذل والخضوع ، والخشوع
والخشية والرغبة والرغبة والتعلق ، أو ألحد فى اسمائه وصفاته واتبع غير
سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والاهواء المضلة ، وكذلك
كل من قامت به نواقض الاسلام العشرة أو أحدها . (٢)

فأهل السنة والجماعة - اذن - يوالون المؤمن المستقيم على
دينه ولا كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرته كاملة ، ويتبرأون من الكفرة
والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادونهم عدوة ويغضونهم كما يغضونهم
من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الايمان، ويعادونه
بحسب ما هو عليه من الشر .

وأهل السنة والجماعة يتبرأون من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب
قريب " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . . الآية ٢٢ -
المجادلة .

(١) سنن أبى داود كتاب الاشرية ٤ / ٨٢ ح ٣٦٧٤ وابن ماجه فى

الاشرية ٢ / ١٢٢ ح ٣٤٨٠ قال الالبانى : صحيح . انظر

صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٩ ح ٤٩٦٧ .

(٥) ارشاد الطالب ص ١٩

ويمثلون لنبيه تعالى في قوله " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
آبائكم وأخوانكم أولياء " ان استحباوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم
منكم فأولئك هم الظالمون ، قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال افتقرتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي
بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " ٢٣ - ٢٤ التوبة .

ويلخص الامام ابن تيمية مذهب أهل السنة والجماعة فيقول :
الحمد والذم/والبغض ، والموالاتة والمعاداتة إنما تكون بالاشياء
التي أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ، فمن كان مؤمناً وجبت
موالاته من أى صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أى صنف
كان . قال تعالى " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون " ٥٥ - ٥٦ المائدة .
وقال ج " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم
أولياء بعضهم " ٥١ المائدة وقال " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعضهم " ٧١ التوبة .

ومن كان فيه ايمان وفيه فجور أعطي من الموالاتة بحسب ايمانه ،
ومن البغض بحسب فجوره ، ولا يخرج من الايمان بالكلية بمجرد الذنوب
والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة .

ولا يجعل الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة
الفساق في الايمان والدين والحب والبغض والموالاتة والمعاداتة .

قال تعالى " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما " النبي
قوله " انما المؤمنون اخوة " ٩ - ١٠ الحجرات فجعلهم اخوة مع
وجود الاقتتال والبغى ؛

... ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضا موالاة
الدين لا يعادون كمدادة الكفار ، فيقبل بعضهم بشهادة بعض ، يأخذ
بعضهم العلم من بعض ، ويتوارثون ويتناكحون ، ويتعاملون بمعاملة
المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك (١)

الولا والبراءة القلبية

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع أن الولا والبراءة القلبية
وكذلك المداوة يجب أن تكون كاملة ~~لا يتجزأ ولا ينقسم~~ .
يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : فأما حب القلب وبغضه ، وارادته
وكراهته ، فينبغي أن تكون كاملة جازمة ، لا توجب نقص ذلك الا بنقص
الايان ، وأما فعل البلغ فهو بحسب قدرته ، ومتى كانت ارادة القلب
وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فانه يعطى ثواب
الفاعل الكامل .

ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهته بحسب
محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله ، وبغض الله ورسوله
وهذا نوع من الهوى ، فان اتبعه الانسان فقد اتبع هواه " ومن أهمل
من اتبع هواه بغير هدى من الله " ٥٠ القصص . (٢)

(١) مجموع لابن تيمية ج ١٠٨ + ٢٠١ الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ هـ
مطبعة المنار بمصر .

(٢) شذرات البلاتين ١ / ٣٥٤ " الامرالمصروف لابن تيمية "

موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب البدع والاهواء

يدخل في معتقد أهل السنة والجماعة البراءة من أرباب البدع

والاهواء .

والبدعة : مأخوذة من الابتداع وهو الاختراع ، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذى ولا ألف مثل وضه قولهم : ابتدع الله الخلق . أى خلقهم ابتداءً ومنه قوله تعالى " بديع السموات والارض " ١١٢ البقرة وقوله " قتل ما كنت بدعاً من الرسول " ١٠١ الانعام أى لم أكن أول رسول الى أهل الارض .

وهذا الاسم يدخل فيما تخترعه القلوب ، وفيما تتعلق به الالسننة وفيما تفعله الجوارح (١) قال ابن الجوزى : " البدعة عبارة عن فعمل لم يكن فابتدع . والاعظب فى المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطى عليها بزيادة أو نقصان " (٢)

ولقائل يقول : ما شأننا الآن واصحاب البدع لاسيما وانت تتكلم

عن ولاء الكفار والبراءة منهم وموالاتة المؤمنين ونصرتهم ؟؟

والجواب على ذلك : أولاً : أن البدعة خطرهما عظيم وكبير ،

والدليل على ذلك انها تنقسم الى رتب متفاوتة ما بين الكفر الصريح الى الكبيرة والصفيرة ، وفى هذا يقول الامام الشاطبى :

(١) كتاب الحوادث والبدع للطبرطوشى ٣٨ - ٣٩ تحقيق محمد

الطالبى .

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٦

" البدعة تنقسم الى رتب متفاوتة منها ما هو كفر صراح ، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن بقوله ز ، وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا " ١٣٦ الانعام وقوله تعالى " وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء " ١٣٩ الانعام وقوله " ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وهيمة ولا حرام " ١٠٣ المائدة .

— وكذلك بدعة الصافقين حين اتخذوا الدين ذريعة بحفظ النفس والمال وما أشبه ذلك مما لا يشك انه كفر صراح " (١)

ان قضية التحليل والتحرير خصوصية لله عز وجل ، فمن ادعى التحليل والتحرير فقد شرع ومن شرع فقد آله نفسه . وكما أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق فهو أيضاً صاحب الامر والسلطان ، قال تعالى " الا له الخلق والأمر " ٤٤ الاعراف . وقال سبحانه " ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا جلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب " ١١٦ النحل .

فهذه البدعة الكفرية وأمثالها لأصحابها من المداء والبغض والكفره والجهاد بعد الاعذار والانذار ، والبراءة منهم لا تختلف عن البراءة من الكافر الاصلي ، فقد قال صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد " (٢)

(١) الاعتصام ٣٧/٢ .

(٢) رواه البخارى فى الصلح ٣٠١/٥ ح ٢٦٩٧ وسلم كتاب الاقضية

١٧١٨ ح ١٣٤٣/٣

قال البغوي " وقد اتفق علماء السنة على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم " (١)
ونعود لرتب البدع كما ذكرها الشاطبي فقال : " ومن البدع ما هو مسن
المعاصي التي ليست بكفر أو يُختلف فيها هل هي كفر أم لا ؟ كبدعة
الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة .

ومنها ما هو معصية ويتفق على أنها ليست بكفر ، كبدعة التبتل (٢)
والصيام قائما في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .
ومنها : ما هو مكروه كالاتحاد للدعاء عشية عرفة ، وذكر السلاطين في
خطبة الجمعة على ما قاله ابن عبدالسلام الشافعي . (٣) وما أشبهه
ذلك " (٤)

فأرباب هذه البدع يتبرأ منهم أهل السنة والجماعة .

ثانياً : لخطورة البدع على الدين أورد هنا نماذج من أقوال من السلف
سلف الأمة في التحذير من البدع وأصحابها . من ذلك ما قاله الصحابي
الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول :
" من كان مستأً غليستن بعين قد مات : أولئك اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً وأقلها

(١) شرح السنة ٢٢٧/١

(٢) التبتل : هو الانقطاع عن الدنيا الى الله . انظر مختار
الصحاح ص ٥٣ .

(٣) هو سلطان العلماء عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمى الدمشقى
فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفى سنة ٦٦٠هـ
من مؤلفاته التفسير الكبير ، والالمام فى أدلة الاحكام ، وقواعد
الشريعة وقواعد الاحكام والفتاوى . انظر الاعلام للزركلسى
٢١/٤ ط ٤ وفيه ان له ترجمة فى فوات الوفيات ٢٨٧/١ وطبقات
السبكي ٨٠/٥ والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ وذيل الروضتين ٢١٦ -
ومفتاح السعادة ٢١٢/٢ .

(٤) الاعتصام ٧٧/٢

تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وثقل دينه ،
فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم كانوا على الهدى المستقيم " (١) وقال
سفيان الثوري رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، المعصية
يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها . (٢)

وقال الامام مالك رحمه الله : من أحدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه
سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين ، لان الله
تعالى يقول : " اليوم اكملت لكم دينكم " ٣ المائدة " فالم يكن يومئذ
دينا لا يكون اليوم دينا . (٣)

وذكر الشاطبي رحمه الله أن مفسد البدع تنحصر في امرين :

(١) انها مضادة للشارع ، ومراغمة له ، حيث نصب المبتدع نفسه منصب

المستدرك على الشريعة لا منصب المكتفي بما حد له .

(٢) ان كل بدعة - وان قلت - تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للاصل

الصحيح ، وكل ذلك قد يكون على الانفراد ، وقد يكون طحفاً

بما هو مشروع فيكون قادحاً في المشروع ، ولو فعل أحد مثل هذا

في نفس الشريعة عامداً ، لكفر ، ان الزيادة والنقصان فيهما

أو التغيير - قل أو كثر - كفر . (٤) ويعضد هذا النظر

عموم الأدلة في ذم البدع ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم " كل بدعة

ضلالة " (٥) وقوله صلى الله عليه وسلم .

(١) شرح السنة للبخاري ٢١٤/١

(٢) شرح السنة ٢١٦/١

(٣) الاعتصام ٥٣/٢

(٤) الاعتصام ٦١٪٢ بتصرف بسيط .

(٥) صحيح مسلم كتاب الجمعة ٥٩٢/٢ ح ٨٦٢

" من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك
من آثامهم شيئا " (١)

وقال احمد علماء السلف " لا تجالسوا اصحاب الالهواء ، أو قال اصحاب
الخصومات فاني لا آمن ان يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض
ما تمرفون " (٢)

فالخلاصة : انه من معتقد أهل السنة والجماعة البراء من الجذعيين
خاصة اصحاب البدع الكفرية ولذلك سيرد مزيد من تفصيل هذا في
الباب الثاني ان شاء الله .

(١) صحيح مسلم كتاب العلم ٤/٢٠٦٠ ح ٢٦٧٤

(٢) شرح السنة ١/٢٢٧ .

الفصل الخامس

أسوة حسنة في الولاة والبراء من الأهم الطائفة

١ - ابراهيم الخليل عليه السلام

لقد كان نبي الله ابراهيم عليه السلام: أسوة حسنة وقدوة طيبة في ولائه لربه ودينه وعبياد الله المؤمنين ، وبراءه ومعاداته لاعداء الله ومنهم أبوه .

ولقد كانت سيرة نبي الله ابراهيم عليه السلام مع قومه كأي نبي رسول ، حيث دعاهم بالنبي هي أحسن الى عبادة الله وتوحيده ، وافراده بالعبادة ، والكفر بكل طاغوت يعبد^{مع دونه} الله .

قال تعالى " وأذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً . ان قال لابييه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئاً . يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً . يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت انى أخاف أن يصيبك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً . قال أرأيت عن آلهتني يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمك واهجرنى ملياً . قال سلام عليك سأستغفرلك ربى إنه كان من حفيماً ، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوربى عسى إلا أكون بدعاء ربى شقيماً . فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً " ٤١ - ٤٩ مريم تلك هي نقطة البدء في دعوة خليل الرحمن ، دعوة بالحسنى ، مبتدئا بأقرب

بأقرب الناس اليه ، فان لم يكن هناك تجاوب مع هذه الدعوة فلاعتزال لهذا الباطل وأصحابه عل في ذلك ردعاً وزجرًا وتفكرًا في هذا الأمر الجديد . ونجاة للداعي من مشاركة أهل الباطل في باطلهم اذا كان لا بد له من مخالطتهم ومعاشرتهم وعدم تمكنه من الهجرة من أرضهم .

ثم يمضى القرآن في بيان دعوة ابراهيم عليه السلام ، مبيِّنًا أنه استخدم مع قومه كل حجة ودليل : " واتل عليهم نبأ ابراهيم ان قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظلم لها عاكفتن ، قال هل يسمعونكم ان تدعون ، أو ينفمونكم أو يضررون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، قال أفرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لسي الا رب العالمين " ٧٠ - ٧٨ الشعراء .

ولما لم يجدوا حجة وانما ^{هو} التقليد الاعمى لفعل الالباء والاجداد قال لهم ابراهيم عليه السلام أنا عدو الهتكم هذه ، وهذا كما قال نوح عليه السلام ، فيما اخبر الله عنه بقوله " فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمسة ، ثم اقضوا الي ولا تنظرون " يونس ٧١ . وقال هو عليه السلام " انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون ، انى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم " هود ٥٤ - ٥٦ .

وقال تعالى " قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه ان قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده (١) " الممتحنة .

(١) انظر تفسير الآيات السابقة فى ابن كثير ج٦/١٥٦ .

وعقيدة ابراهيم عليه السلام هذه هي التي عبر عنها علماءنا الأجلاء .
علماء سلف هذه الأمة بقولهم : لا موالاة الا بالمعاداة . كما قال الملامسة
ابن القيم رحمه الله : " لا تصح الموالاة الا بالمعاداة كما قال تعالى عمن
امام الحنفاء المحبين ، انه قال لقومه : " أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم
وأبائكم الا قدمون فانهم عدولي الا رب العالمين " فلم تصح لخليل الله هذه
الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة . فانه لا ولاء الا لله ، ولا ولاء
الا بالبرائة من كل معبود سواه قال تعالى " وان قال ابراهيم لأبيه وقومه :
اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية ففسى
عقبه لعلهم يرجعون " ٢٦ - ٢٨ الزخرف .

« أى جعل هذه الموالاة لله والبرائة من كل معبود سواه كلمة باقية ففسى
عقبه يتوارثها الانبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهى كلمة لا اله الا الله ،
وهى التى ورثها امام الحنفاء ولا تباعه الى يوم القيامة (١) . »

ويقول الامام الطبرى : قد كانت لكم يا أمة محمد أسوة حسنة فى فصل
ابراهيم والذين معه فى هذه الأمور من مباينة الكفار ، ومعاداتهم ، وترك
موالاتهم الا فى قول ابراهيم " لا أستغفرن لك " ؛ الممتحنه فانه لا أسوة لكم
فيه فى ذلك لان ذلك كان من ابراهيم عن موعده وعدها اياه ، قبل أن يتبين
له أنه عدو لله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، فقتلوا من أعداء الله ، ولا
تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرأوا من عبادة ما سواه ، وأظهروا
لهم العداوة والبغضاء . (٢)

(١) الجواب الكافي ص ٢١٣ وانظر تفسير ابن كثير ج ٧/٢١٢ ومجموعة
التوحيد ص ١٣٣ .

(٢) تفسير الطبرى ٦٢/٢٨

وقد كان من نتيجة هذه العمادة وهذا البراء القوي أن أجمع الطفافة على قتل ابراهيم - كما هو حال كل طاغية على مر عصور التاريخ في اباداة الدعاة الى الله ، لا لشيء الا لأنهم يدعونهم الى عبادة الله وحده * وما نقمسوا الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * ٨ البروج - وجمعوا له نارا عظيمة فكانت رعاية الله وحفظه تحوطان هليله الصادق عليه الصلاة والسلام فصارت النار برداً وسلاماً عليه * قالوا ابنوا له بنياناً فآلقوه في الجحيم . فأراد وبه كيداً فجعلناهم الأسفلين * ٩٧ - ٩٨ الصافات .

* لقد عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وطلبوا ، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة الى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفهم ولفياهم فكانهم الرب جل جلاله ، وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى * قالوا حرقوه وانصروا الهتهم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرسين * (١) ٦٨-٧٠ الانبياء .

وتأتى التوجيهات الربانية لخاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابيه ابراهيم عليه السلام * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * ١٢٣ النحل * قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * ٩٥ آل عمران * وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين * ١٣٥ البقرة .

* ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا واللى ولي المؤمنين * ٦٨ آل عمران . * ومن أحسن دينا من أسلم وجهه لله

(١) قصص الانبياء ، للحافظ ابن كثير ١٨١/١ وانظر تفاصيل

القصة في نفس المصدر .

وهو محسن واتبع طة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا * ١٢٥ النساء
* وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من
خرج طة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل * ٧٨ الحج .
* ومن يرغب عن طة ابراهيم الا من سفه نفسه * ١٣٠ البقرة .

فهذا الاخبار من الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم عن فمائل
ابراهيم عليه السلام من أجل الاقتداء به في الاخلاص ، والتوكل على الله
وحده ، وعبادة الله وحده والبراءة من الشرك وأهله ومعاداة الباطل وحزبه .

ب : أمثلة أخرى على طريق الحق والهدى

كما سبق أن ذكرنا أن دعوة الأنبياء واحدة ، دعوة لمبدأة الله وحده وأفراده بالدينية والتأله والحب والرضى بحكمه وشرعه ، والبراءة من كل طاغوت محبوب من دون الله سواه ، بالزهد أو الرهبة ، ولقد بحثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت * ٣٦ النحل : فإنا نجد أمثلة مشرقة ونماذج ايمانية رفيعة على طريق العقيدة الغراء .

أنهم المؤمنون ، أينما وحيثما كانوا وحلوا وفي أي عصر ومصر عاشوا . يوردها ربنا تبارك وتعالى في محكم تنزيله ، حتى تكون لنا أسوة حسنة . وتسلية لرسولة الكريم صلى الله عليه وسلم عما كان يلاقيه هو وصحابته الأختيار .

وما أروع الداعية المسلم - وهو الحريص على حب الخير لكل الناس - أن يتدبر هذه الأمثلة والنماذج الايمانية فمسجد فيها المصراة والتسلية فيما يلاقيه من مشقة وعنت . وانا كانت هذه سنة الله في انبيائه وعباده الصالحين ان يتمرضوا للاذى والعنت - وهم اكرم خلق الله على الله - فمن باب أولى أن يلاقى دعاة الهدى والخير صنوفا شتى من الاذى - والسخرية والاستهزاء والعذاب وسيجدون معية الله تصحبهم وترعاهم وحفظه وقدره يحوطهم . وكل ما يلقونه انما هو ابتلاء واختبار كما قال تعالى : " ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب . " ١٧٩

آل عمران .

وحين يثبت المؤمن على الحق ، ويتوكلون على الله حق توكله ، ويخافون الله وحده ، ولا يخافون الا الله ، فسيكون هذا افعلا عظيما لدخول الناس

ففي دين الله ، والاهتداء بهديه ، والافتداء بهوله الصادقين الذين ضحوا بكل غال ونفيس ، وزهدوا فيما عند الناس راغبين وموطين فيما عند الله .

ومن هذه الامثلة التي نريد الحديث عنها باختصار ، نوح عليه الصلاة والسلام فقد دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمن معه الا القليل ، والموقف الذي نريد ان نتحدث عنه من موافقه عليه السلام هو موقفه مع ابته الذي عصاه والى ان يستجيب لدعوة ابيه . قال تعالى " . . . ونادى نوح ابنه وكسان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال ساوى الى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عصم اليوم من امر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المفرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وفيه الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب اني من اهل^{ان}ى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين ، فقال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعطك ان تكون من الجاهلين . قال ربي اني اعوز بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تفقر لي وترحمني اكن من الخاسرين " ٤٢ - ٤٧ هود .

" ان الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين ليست وشيجة السدم والنسب ، وليست وشيجة الارض والوطن ، وليست وشيجة القوم والعشيرة . وليست وشيجة اللون واللغة . ولا الجنس والعنصر ، ولا الحرفة والطبقة انها وشيجة العقيدة .

" اما الوشائج الاخرى فقد توجد ثم تقطع العلاقة بين الفرد والفرد .

ويبين الله لنوح لماذا لا يكون ابنه من اهله ؟ " انه عمل غير صالح

فوشيجة الايمان قد انقطعت بينكما * فلا تسألن ما ليس لك به علم * انه
ليس من أهلك ولو كان هو ابنك من صلبك * (١)

وهنا يأتي الانعان الكامل والخوف من الله سبحانه وطلب مرضاته
ورحمته فيقول عبده الصالح نوح * رب انى اعوذ بك أن أسلك ما ليس لى
به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين * .

لقد استعلى نبي الله على العاطفة ورضي بحكم الله ، فلا لجاجة
ولا التواء ، ولا معذرة ولا تأويل ، بل تسليم مطلق ، واتباع لما يحب الله
ويرضى ، واعراض عما يكره ويبغض وولا لمن يحب الله ويراه وعداء لمن
حاد الله ولو كان أقرب قريب .

ولم يكن شأن نبي الله نوح عليه السلام هذا مقصورا على هذا الابن
الكافر ، بل أيضا مع زوجته ، وواله من امتحان عظيم في الزوجية
والابن إهـ .

هذه الزوجة تحدث عنها القرآن وعن نظيرة لها وشبيهة بفعلها
وهي زوجة لوط عليه السلام ، فقد ابتلى هذان النبيان بزوجتين فاسدتين
أضربهما الله لنا مثلا فى كتابه المميز فقال : * ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين * . (التحريم .

على أن ما يجب التنويه عنه هنا - استطرادا - أن هذه الخيانة
في الدين ، وليست في الفاحشة ، فان نساء الانبياء معصومات عن
الوقوع في الفاحشة لحرمة الانبياء عليهم السلام .
أما امرأة نوح فكانت تغشى سره ، اذا آمن معه أحد أخبرت الجبابرة
من قومها ، وأمرأة لوط تخبر قومها بنفيوف زوجها من أجل فعل السيء
القبیح . (١)

وعلى النقيض من هذا الفعل المشين من هاتين المرأتين يضرب
لنا القرآن مثلا عاليا في الايمان والاستعلاء على الكفار من قبل امرأة مؤمنه
هي زوجة فرعون اللعين قال تعالى " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
فرعون ، ان قالت رب ابني لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون
وعمله ، ونجني من القوم الظالمين " ١١ التحريم .

(ان هذه المرأة لم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه ، في قصر
فرعون عن طلب النجاة وهداها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة الى ربها
بيتا في الجنة وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت
من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به . " ونجني
من فرعون وعمله " وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم " ونجني من القوم
الظالمين " انه مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهي صورته ،
فقد كانت امرأة فرعون ، اعظم ملوك الأرض يومئذ !! في قصر فرعون
أمتع مكان تجد فيه امرأة ماتشتهي ! لقد استعلت على هذا باليمين

ولم تعرض عنه فحسب ، بل اعتبرته شراً ونساءً وبلاداً تستعبد بالله منه .
أنها امرأة واحدة في ملكة عريضة قوية . وقفت وحدها في وسط
ضغط المجتمع وضغط القصر ، وضغط الملك ، وضغط العاشية ، ورفضت
رأسها للسماء ! انه التجرد الكامل من كل هذه المؤثرات والأوصار (١)
ان وقوف هذه المرأة امام ذلك الجبار من الالهية بمكان ، عسل
في ذلك ما يدفع تشبيط الشيطان وحزبه لبعض دعاة الاسلام وهم يخافون
ان يسهم الناس بشيء لم يكتبه الله عليهم .
الا فلنأخذ من قرآنا عبرة وعظة ، وشحنة عمل ، وضهاج دنيا
وآخرة .

يقول قتاده : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده ، فوالله
ماض امرأته كمر زوجها حين أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ
أحدًا الا بذنبه . (٢) وهناك ايضا نموذج آخر ، وعلم من أعلام دعاة
صراط الله المستقيم . انه مثل رفيع في الولاء لله ودينه وعباده الصالحين
في النصر والجهاد بقدر الطاقة لاعلاء كلمة الله ، والبراءة من الكفار بعه
إقامة الحجج والبرهان عليهم ، انه مؤمن آل فرعون .

لننظر في موقفه وفي ولائه حين عزم الطاغية فرعون على قتل رسول
الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . لقد قال مؤمن آل فرعون
كما حكاه القرآن عنه - " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون

(١) بتصرف : في ظلال القرآن ٦/٣٦٢٢

(٢) تفسير ابن كثير ٨/١٩٩ .

رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذباً فعليسه كذبه ، وان يك صادقا يصيبكم بعض الذي يمدكم ان الله لا يهدي من هو سرف كذاب " ٢٨ غافر .

واسم هذا الرجل حبيب النجار والمشهور أنه كان قبطياً من آل فرعون . وكان يكتنم ايمانه عن قومه القبط ، ولم يظهره الا هذا اليوم حين قال فرعون " ذروني أقتل موسى " ٢٦ غافر فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل و " أفضل

الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر " (١)

ولا أعظم من هذه الكلمة وهي قوله أقتلون رجلا أن يقول ربي الله " (٢)

وأخيراً نقف مع الفتية الصالحات " وأصحاب الكهف " الذين تركوا

الأهل والولد والوطن والمشيرة حين علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة ومجابهة قومهم فنجوا بأنفسهم الى ذلك الكهف الذي تجلت فيه معجزة عظيمه يسوقها

الله لنا عبرة وعظة في حفظه لعباده الصالحين . قال تعالى " . . انهم هنية

آمنوا ربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم ان قاموا فقالوا ربنا رب السموات

والأرض لن ندعوا من دونه الهالقد قلنا اننا شططاً . هو لا قومنا اتخذوا

من دونه الهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افتري على الله

كذبا . وانا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم

من رحمته ويهيئ لكم من امركم موقفاً " ١٣ - ١٦ الكهف " لقد كان موقف

هو لا الفتية صريحا وواضحا وحاسما . وحين تتباين الطريقان ويختلف

المنهجان لا يمود هناك سبيل الى الالتقاء ولا للمشاركة في الحياة . بل

لا بد من القرار بالحقيدة .

(١) أخرجه ابو داود في كتاب الملاحم ٤ / ٥١٤ ح ٤٣٤٤ والترمذي في كتاب

الفتن ٦ / ٣٣٨ ح ٢١٧٥ وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وابن

ماجة في الفتن ٢ / ١٣٢٩ ح ٤٠١١ وسند احمد ٣ / ١٩ والنسائي في

البيعه ٧ / ١٦١ وقال الالباني صحيح : انظر المشكاة ٢ / ١٠٩٤

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٧ / ١٣٠ .

انهم ليسوا رسلا الى قومهم فيواجهوهم بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم اليها ، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل ، انما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر ، ولا حياة لهم في هذا الوسط ان هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها . وهم أيضا لا يطبقون مداراة قومهم ، وعبادة الهتهم على سبيل التقية واخفا عبادتهم لله .

على أن الأرجح أن أمرهم قد كشف فلا بد من الفرار بدنيهم الى الله ، وقد فووا الى كهف خشن ضيق ، مؤثرين له على كل زينة من زينة الحياة الدنيا .

أنهم يستروحون رحمة الله ويحسونها ظليلا فسيحة ممتدة * ينشرو لكم ربكم من رحمته * ولفظة: " ينشر " تلقى ظلال السعة والبهجة، والانفساح فاذا الكهف فضا* فسيح رحيب ، تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها .

انه الايمان ! وما قيمة الطواهر ؟ وما قيمة القيم والاضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الارضية ؟

ان هنالك عالم آخر في جنبات القلب المغمور بالايمان ، المأنوس

بالرحمن . عالم تظلمه الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوخن * (١)

وهكذا تتعدد الامثال في جميع الوشائج والروابط ، وشيجة الأبوة في قصة نوح وشيجة البتوة والوطن في قصة ابراهيم ، وشيجة الاهل والعشيرة والوطن جميعا في قصة أصحاب الكهف ، ورابطة الزوجية في قصص امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون .

(١) الظلال ٢٢٦٢/٤ بتصرف بسيط .

وهكذا يعنى الموكب الكريم حتى تجيبى، الأمة الوسط، فتجد
هذا الرصيد من الامثال والنماذج والتجارب، فتمضى على النهج الربانى
للامة المؤمنة ع

وتفتوق المشيرة الواحدة والبيت الواحد حيث تفتوق العقيدة لا تجد
قوماً يؤمنون بالله والنوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
أو ابناهم أو اخوانهم أو عشيرتهم * ٢٢ المجادلة . لقد جمعت هـ
العقيدة صهيياً الروحي وبلالا الحبشى ، سلمان الفارسى وأبا بكر
العربي القرشى تحت راية لا اله الا الله محمد رسول الله * وتوارت عصبية
القبيلة والجنس والارض وقال لهم صلى الله عليه وسلم " دعوها فانها منتنة " (١)
وقال " ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا
من مات على عصبية . (٢) فانتهى أمر هذا النتن ، وماتت نمرة الجنس .
وأختفت لوثة القوم ، واستروح البشر أرح الافاق العليا ، ومنذ ذلك اليوم
لم يعد وطن المسلم هو الأرض وإنما وطنه هو " دار الاسلام " تلك السدار
التي تسيطر عليها عقيدته ، وتحكم فيها شريعة الله وحدها . (٣)
وتبقى سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الاخير مار هدى
واصلاح لمن سلك ذلك السبيل ، ورضى بذلك النهج القويم .
أما من حاد عن ذلك وابتعد فالله ليس بولي ، وإنما وليه الطاغوت *
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون * ٢٥٧ البقرة .

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير ٨/٦٤٨ ح ٤٩٠٥ وصحيح مسلم كتاب

البر والصلة ٤/١٩٩٩ ح ٢٥٨٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الاطارة ٣/١٤٧٦ ح ١٨٤٨ و ١٨٥٠ و ابى داود

كتاب الادب ٥/٣٤٢ ح ٥١٢١

(٣) انظر معالم فى الطريق ص ١٤٣ .

الفصل السادس

الولاة والبراءة في العهد المكي

كان الحديث في الفصل السابق عن أمثلة مشرقة ، وصور مضيئة من ولاء وبراءة الانبياء والرسول ، والصالحين عبر تاريخ البشرية الطويل .
ونتحدث هنا عن الولاة والبراءة من خلال سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، مستمدين ذلك من الوحيين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكتب السير والمغازي .

وقد اعتمدنا في تقسيم الآيات الى مكي ومدني ، على ما ذكره علماء التفسير وعلوم القرآن من أن المكي : - على الاشهر - هو ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها . (١)

وسبق أن قلنا في التمهيد : أن المسلم منذ أن يعلن شهادته " لا اله الا الله محمد رسول الله " فان ذلك يعني افراد الله سبحانه وتعالى بالوحدانية والالوهية والربوبية وخلع كل ولاء وعبودية وطاعة وخضوع وخوف ورجاء لأي معبود أو متبوع أو مطاع من دون الله . وقصر هذا الولاة والحب والتعظيم لله سبحانه وتعالى .

وقد نزل الوحي الالهي أول ما نزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم في غار حراء بقوله سبحانه " اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان

(١) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٧/١ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

من علق ، أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم *
١ - ه العلق .

ثم بعد ذلك نزل قوله تعالى " يا أيها المدثر قم فأندر " - (٢١) المدثر .
وبدأ المصطفى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرّاً الى الاسلام
وأسلم معه نفر قليل ، منهم أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبي طالب وخذيجة
بنّت خويلد زوجته رضي الله عنهم جميعاً . وبدأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفرس في نفوس اصحابه محبة الله ومحبة رسوله والاجتماع على ذلك
واخلاص الحب والولاء والنصرة للمؤمنين وبغض الكفر والشرك وأهله وهذا هو
لازم كلمة التوحيد ، " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

وهنا نشأت الوشيجة الجديدة وشيجة العقيدة في نفوس المؤمنين
وبدأ يقر في نفوسهم أن هذه الرابطة الحقيقية ، هي الرابطة التي تطمئن
لها نفس المؤمن ومع نمو هذه الفرسة الجديدة بدأت تذبل شجرة العصبية
الجاهلية ، والروابط الجاهلية ، وبدأت نظرة الريب والاحتقار لتلك الروابط
تكبر يوماً فيوماً في نفوس كل آمن بالله ورسوله .

الملتقى الاول وأولى خطوات الطريق

اختار المصطفى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم لتلقين من آمن
معه أمور هذا الدين . ولقد كانت هذه الدار هي الملتقى الاول لاؤئك
القادة المعظم ، كانت هي الدار التي بدأ يشع منها ذكر الله وتوحيده
في الارض .

ترى ما هو حال المسلمين آنذاك ؟ وماذا بعد النطق بالشهادتين ؟
يجيب على ذلك الاستاذ سيد قطب رحمه الله فيقول : انه لم
يكن للاسلام والمسلمين في مكة شريعة ولا دولة ، ولكن الذين كانوا ينطقون

بالشهادتين كانوا يسلمون قيادهم من فورهم للقيادة المحمدية ، ويمنحون ولاهم من فورهم للمصيبة المسلمة . وكان الرجل حين يدخل في الاسلام يخلع على عتبه كل ماضية في الجاهلية ، ويبدأ عهداً جديداً ، منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية . انه يقف من كل ما عهدده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف .

هناك

١١ لقد كانت عزلة شعورية كاملة بين ما هي المسلم في جاهليته وحاضره في اسلامه ، ونشأت عن هذه العزلة ، عزلة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية ايضاً .

" انه قد انفصل نهائياً من بيئته الجاهلية ، واتصل نهائياً ببيئته الاسلامية ، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويمطى في عالم التجارة والتعامل اليومي . فالعزلة الشعورية شيء ، والتعامل اليومي شيء آخر .

١٢ وحين انخلع المسلم من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية الى تصور الاسلام فانه ايضاً كان ينسلخ من القيادة الجاهلية ، وينزع ولاه من الاسرة والمشيرة والقبيلة ، ويترجم ذلك الى واقع وحقيقة يقوم عليها الاسلام . وهذا هو الذي أزعج الملاء من قريش !

" أزعجهم زحف الاسلام ، وازعجهم القرآن ، ولم يزعجهم من قبل أن (الحنفاء) اعتزلوا معتقدات المشركين وعباداتهم ، واعتقدوا بالوهمية الله وحده ، وقد مواله الشعائر وحده فهذا لا يهيم الطاغوت ، كما يفهم بعض الطيبين الخيرين اليوم الذين لا يدركون ولا يعرفون حقيقة الاسلام .

" انما الاسلام هو تلك الحركة المصاحبة للنطق بالشهادتين

ثم الانحلال من المجتمع الجاهلي وتصوراته وقيمه وقيادته وسلطانه وشرائعه .
والولاة لقيادة الدعوة الاسلامية التي تريد أن تحقق الاسلام في عالم الواقع ،
ولذلك قاوم " الملاءة " من قريش هذه الدعوة بشتى الاساليب " (١) والتقى
المؤمنون على حب الله ورسوله ، فكان لقاء عميقاً لان كلا منهم جاء الى الله
ورسوله يتلقى منه ، ويهتدى بهديه ، ويتوجه اليه ، وأحس كل منهم نحو
أخيه برباط من نوع جديد ، يربطه باخوته في الله ، انه يحب نفسه مع
أنه ليس من قبيلته ولا بينهما آصرة دم . (٢)

وأخذ القرآن الكريم ينزل حسب التوازن والحوادث على ما يشاء الله
سبحانه وتعالى لتربية الامة على أسس العقيدة فكان الولاة والبراءة يزيد كلما
أزدادت التكاليف وكان من الطرق التي سلكها القرآن في عرض هذه العقيدة
ضرب المثل ، لأنه كما يقال : بالمثل يتضح المقال . ومعلوم ان كلام الله
واضح ولكن سياق المثل يستثير في الانسان نوعاً من التفكير وتدبير العبارة
والعظة لتغيير المسار الخاطيء والاتجاه في الطريق الصحيح .

ومن هذه الامثلة في موضوعنا قوله تعالى " مثل الذين اتخذوا من
دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون " (١) العنكبوت .

ويتقرير هذه الحقيقة الضخمة في النفوس ، كان المؤمنون أقوى
من جميع القوى التي وقفت في طريقهم ، وداسوا بها على كبرياء الجبابرة

(١) بتصرف : في ظلال القرآن ٣ / ١٥٠٣ ومعال في الطريق ص ١٧ ، ٥٠٤

(٢) انظر منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٢ / ٣٨ - ٤٠

فى الارض ، ودكوا بها المعازل والحصون . . ان قوة الله وحدها هي القوة ، وولاية الله وحدها هي الولاية وماعداها فهو واهن ضئيل عزيز ، مهما علا واستطال ، ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البهش والطفيان والتتكيل . (١)

ومكث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى دعوته للناس بالسر ثلاث سنوات ، كما قال ذلك علماء السير والمغازى . (٢)

وبعد أن فشا ذكر الاسلام فى مكة ، وتحدث الناس به أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وان ييادى* الناس بامرهم ، وان يدعو اليه ونزل قوله تعالى " فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " ٩٤ الحجر . وقال الله له " وانذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " (٣) ٢١٤ - ٢١٥ الشعراء .

وهنا بدأ الابتلاء للمسلمين ، وهذا الابتلاء الذى ظاهره الشدة هو فى حقيقته نعمة ، لانه يتضح من خلاله الصادق من الكاذب ، والخبيث من الطيب . قال تعالى : " ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذى صدقوا وليعلمن الكاذبين " ١ - ٣ العنكبوت وحدثت اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الابتلاء والشدة الشئ الكثير ، وحتى/ كانوا يذهبون

(١) انظر فى ظلال القرآن ٢٧٣٧/٥

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٨٠/١

(٣) السيرة لابن هشام ٢٨٠/١ .

للشعاب يستخفون بصلاتهم عن قومهم . (١)

ردود الفعل

=====

ماذا فعل المؤمنون تجاه العذاب الذي صبه عليهم اعداء الله ؟
ما هو رد فعل المسلمين تجاه ما فعل بهم عامة وما فعل ببلال وآل ياسر
وغيرهم من المستضعفين خاصة ؟

انه الصبر على الازى والهجر الجميل . قال تعالى " واصبر
على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم
قليلا " ١٠ - ١١ المزل وصبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وكانت
تربيته الريانية كفيلة بتطهير نفوس المؤمنين معه فكانوا كل يوم يزدادون من
سمو الروح ونقاؤ القلب ونظافة الخلق والتحرر من سلطان الماديات والشهوات
شيئا كثيرا .

(كان صلى الله عليه وسلم يأخذهم بالصبر على الازى والصفح
الجميل ، وقهر النفس مع أنهم قوم قد رضعوا حب الحرب ، وكانهم ولدوا
مع السيف ، وهم أمه من أيامها حرب البسوس وواحد الفبراء . وما يوم
الفجار ببعيد !!

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قهر طبيعتهم الحربية ، وكبح نخوتهم العنصرية وقال لهم " كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة " ٧٧ النساء .
فانقهروا لأمره ، وكفوا أيديهم وتحملوا من قريش ما تسيل منه النفوس ، ففى غير جبن وفي غير عجز (١) هذا بالنسبة لموقف المسلمين من أعدائهم .
أما ولاؤهم فيما بينهم ، فتقول : ان المصطفى صلى الله عليه وسلم

قله حرص على غرس ركيزتين أساسيتين فى نفوسهم هما :

(١) الايمان بالله ، ذلك الايمان المنبثق من معرفته سبحانه ، وتعقل

صفاته فى الضمائر ، وتقواه ، ومراقبته ، مع اليقظة والحساسية

التي بلغت فى نفوسهم **حداً** غير معهود الا فى النادر من الاحوال .

(٢) الحب الفياض ، والتكافل الجاد العميق ، حيث بلغت فيه الجماعة

المسلمة مبلغاً لولا أنه وقع بالفعل لعد من أحلام الحالمين . (٢)

ان نقطة الحب فى الله التى التقى عليها هؤلاء المؤمنون ، كانت

ايضاً لقاءً على ما يتبع هذه الدعوة من جهد أو غم ، وما يستتبع ذلك من

ألم أو سرور وجعل الماطفة الانسانية تحب وتبغض تبعاً لما يصيب الاسلام

من خير أو شر . (٣)

ولكى يكون لهذا الكلام ما يدعمه من دليل ، وحتى نعلم ما هى نتائج

تربية " دار الأرقم " أن كرم موقفاً واحداً لصديق هذه الامة ، أبى بكر

الصديق رضى الله عنه .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لآبى الحسن الندوى ص ٩٧

(٢) انظر طريق الدعوة فى ظلال القرآن ١ / ١٨٨

(٣) انظر هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي ص ١٧٨

وطى أبو بكر رضى الله عنه فى مكة يوماً بعد ما أسلم ، وضرب ضرباً شديداً ،
ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ، ويحرفهما لوجهه ،
ثم نزل على بطن أبى بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملت بنو تيم أبابكر
فى ثوب حتى ادخلوه منزله ، ولا يشكون فى موته ، فتكلم آخر النهار فقال :
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فسوا منه بالسنتهم وعذلوه ، ثم
قاموا ، وقالوا لأمه أم الخير : انظرى ان تطعميه شيئاً او تسقيه اياه ، فلما
خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
فقال : والله مالي علم بصاحبك فقال : ان هبى الى أم جميل بنت الخطاب
فأسألها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : ان ابابكر يسألك
عن محمد بن عبد الله قالت : ما أعرف ابابكر ولا محمد بن عبد الله
وان كنت تحبين أن أذهب معك الى ابنك ذهبت قالت : نعم فمضت
معها حتى وجدت ابابكر صريماً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت
والله ان قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر ، وانى لأرجو ان ينتقم الله لك
منهم ، قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه
لكم تسمع يا قال : فلاشى عليك منها ، قالت : سالم صالح ، قال :
أين هو ؟ قالت : فى دار ابن الأرقم ، قال : فان لله على أن لا أذوق
طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأهلتنا
حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكى عليهما حتى ادخلتناه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٣٠ وانظر ماذا خسر المالم

حذرك
القصه
المدام

يا لله ! رجل مضروب ، مشخن بالجراح لا يتناول حتى شربة الماء وهو
أشد ما يكون حاجة اليها حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!
حقاً إنها تربية دونها كل تربية . . . وحقاً نقول إن ذلك الجيل الذى
رباه المصطفى صلى الله عليه وسلم جيل فريد على غير مثال مسبق ولا ملحق
كما يذكر ذلك استاذنا الشيخ محمد قطب .

سمات العلاقة بين المسلمين واعدائهم فى العهد المكى

ان المرحلة المكية كانت تقتضى أن تكون العلاقة بين المسلمين والمشركيين علاقة غير قتالية ، علاقة بيان للحق ، وصبر على الأذى فيه ، واحتساب لكل ما عرفته رباع مكة ورمضاؤها والطائف وفجاجها من أذى للمصطفى صلى الله عليه وسلم وعذاب واضطهاد لبلال وعمار وخباب وآل ياسر وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

ذلك أن ظروف تلك المرحلة كانت تقتضى اتخاذاً لاساليب السلبية ، وعرض الحقائق الايمانية عرضاً مؤثراً ، عليه يكون فى هذا وفيما ابداه المؤمنون الصابرون من تحمل وصبر ، ما يرجع لاهل اللب صوابهم ، وما أجدد ذلك باستجابة القوم لولا اتباع الهوى وسلطان المصالح الزائلة من زعامة ووجهة ومكاسب مادية ، وما الى ذلك . (١)

والتربية النبوية فى هذا العهد ذات شأن عظيم ذلك أنها كانت تربية تقوم على ضبط النفس ، والصبر على الأذى ، واعداد العدة مع حبس دواعى الانطلاق ، وكف حدة الاقدام ، واحتمال جهل الجاهلين ونفسي الطاغين . وكل ذلك من غير نل ولا استخذاء ، ولا يأس ولا وهن ، بل أن عيونهم قريبة وقلوبهم مطمئنة الى نصر الله ونفوسهم مستعلية على شرك المشركين وضلالهم وفتنتهم . (٢)

(١) انظر : علاقة الامة المسلمة بالامم الاخرى للاستاذ احمد محمود الأحمد ٨-٩

(٢) سبيل الدعوة الاسلامية . د . محمد امين المصرى ص ١١١ ، ١١٣ بتصرف

ومن المهم في هذا الموضوع ان نلاحظ الحكمة الربانية في عدم فرضية القتال في مكة فانه انما شرع في العهد المدني أما (لما كان المسلمون ففسى مكة فقد كان المشركون اكثر عدداً . فلو أمر المسلمون وهم أقل من المشركين بقتال الباقيين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا نيفاً وثمانين قالوا : يا رسول الله ألا نعمل على أهل الوادي = يعمنون أهل منى - ليألى منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اني لم أومر بهذا " (١)

ونحن حين نلتص الحكمة في هذه الحالة وفي غيرها من التكاليف الشرعية كما يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله - لانجزم بما نتوصل اليه ، لأننا حينئذ ننألى على الله مالم يبين لنا من حكمة . ونفرض أسباباً وطلائق لا تكون هي الاسباب والعلل الحقيقية ، أو قد تكون ،

ذلك أن شأن المؤمن امام أى تكليف ، أو أي حكم من أحكام الشريعة هو التسليم الطلق لأن الله سبحانه هو المعلم الخبير ، وانما نقول هذه الحكمة والاسباب من باب الاجتهاد وعلى أنه مجرد احتمال لانه لا يملك الحقيقة الا الله ، ولم يحددها هولنا ويطلعنا عليها بنص صريح " (٢)

وهذه الاسباب والعلل ذكرها الاستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه القيمين : " في ظلال القرآن " عند تفسير سورة النساء ، وفي " معالم

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣١/٥ والحديث في سند احمد ٤٦٢/٣ فسي سنده " معبد بن كعب بن مالك ، قال عنه ابن حجر في التقریب مقبول ، وذكر في التهذيب ان له حديثاً واحداً في صحيح البخاري واخرج له مسلم . وثقه ابن حبان .
(٢) انظر الظلال ٧١٤/٢ .

في الطريق (١) * فصل الجهاد في سبيل الله وسأوجزها فيما يلي :

(١) ان الكف عن القتال في مكة ربما كان لان الفترة المكية كانت فترة تربية واعداد ، في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة ؛ واهداف التربية في مثل هذه البيئة ؛ تربية الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم حين يقع عليه أو على من يلونون به : ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، فلا يندفع لأول مؤثر ، ولا يهتاج لأول مهيج ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته . ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد والتقيد بأوامر القيادة الجديدة ، حيث لا يتصرف الا وفق ماأمره - مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعاداته - وقد كان هذا هو حجر الاساس في اعداد شخصية العربي المسلم لانشاء " المجتمع المسلم "

(٢) وربما كان ذلك أيضا لان الدعوة السلمية أشد أثراً وانفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف ، والتي قد يدفعها القتال معها - في مثل هذه الفترة - الى زيادة العناد ونشأة ثارات دموية جديدة كثرات المصوب المعروفة أمثال داحس والضبراء وهربال بسوس ، وحينئذ يتحول الاسلام من دعوة الى ثارات تنسي معها فكرته الاساسية .

(٣) وربما كان ذلك أيضا اجتناباً لانشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت ، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين ، وانما كان ذلك موكولاً الى أولياء كل فرد وممنوع الاذن بالقتال - في مثل هذه البيئة - أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال : هذا هو الاسلام !! ولقد قيلت حتى

والاسلام يأمر بالكف عن القتل ! فقد كانت دعاية قريش في المواسم ، ان
محمدًا يفرق بين الوالد وولده فوق تفرقة لقومه وعشيرته ! فكيف لـ
كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتل الولي ؟

(٤) وربما كان ذلك أيضا لما يعلمه الله من أن كثيرين من المماندين
الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم هم بأنفسهم سيكونون من
جند الاسلام المخلص ، بل من قادته . ألم يكن عمر بن الخطاب من بيوت
هو لا ؟

(٥) وربما كان ذلك أيضا لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عادتها
أن تشور للمظلوم الذي يهتلم الاذى ، ولا يتراجع وبخاصة اذا كان الاذى
واقعا على كرام الناس فيهم . وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظوة
في هذه البيئة - فابن الدغنة (١) لم يرع ان يترك ابابكر - وهو رجل
كريم - يهاجر ويخرج من مكة ، ورأى في ذلك عارا على العرب ! وعرض
عليه جواره وحمايته . . وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم
في شعب أبي طالب .

(٦) وربما كان ذلك أيضا لقلّة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكة
حيث لم تبلغ الدعوة الى بقية الجزيرة ، أو بلغت ولكن بصورة متناثرة ، حيث
كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض ابنائها ،
لترى ماذا يكون مصير الموقف . ففي مثل هذه الحالة قد تنتهي المعركة

(١) ابن الدغنة رجل جاهلي اجار ابابكر عندما أخرجه قومه وأراد الهجرة
للحبشة . انظر الاصابة ٢ / ٣٤٤ .

المحدودة الى قتل المجموعة المسلمة القليلة - حتى ولو قتلوا هم أضعاف
من سيقتل منهم - ويبقى الشرك ، ولا يقوم للاسلام فى الارض نظام ، ولا يوجد
له كيان واقمى ، وهو دين جاء ليكون منهج حياة ونظام دنيا وآخرة .

(٧) انه لم تكن هناك ضرورة قاهرة ملحة ، لتجاوز هذه الاعتبارات كلها ،
والا مريبلقتال ، و دفع الأذى ، لأن الأمر الاساسى فى هذه الدعوة كان قائماً
ومحققاً وهو " وجود الدعوة " ووجودها فى شخص الداعية محمد صلى الله
عليه وسلم ، وشخصه فى حماية سيوف بنى هاشم ، فلا تمتد اليه يد الا وهى
مهتدة بالقطع . ولذلك لا يجروا احد على منعه من ابلاغ الدعوة واعلانها
فى ندوات قريش حول الكعبة ، ومن فوق جبل الصفا ، وفى الاجتماعات العامة
ولا يجروا احد على سجنه أو قتله ، أو أن يفرض عليه كلاماً بعينه يقوله ، بل انهم
حين طلبوا اليه ان يكف عن سب آلهم وعيبتها لم يكف ، وحين طلبوا اليه
ان يسكن عن سب دين آباءهم واجدادهم لم يسكت ، وحين طلبوا اليه أن
يدهن فيدهنوا ، أى يجاملهم فيجاملوه ، بأن يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا
بعض عبادته لم يدهن .

ان هذه الاعتبارات كلها - فيما نحسب - كانت بعض ما اقتضت حكمته
الله - معه - أن يأمر المسلمين بكف ايديهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، لتتم
تربيتهم ، واعدادهم ، وليقف المسلمون فى انتظار أمر القيادة ، فى الوقت
المناسب ، وليخرجوا أنفسهم من المسألة كلها ، فلا يكون لذواتهم فيهم
حظ . . لتكون خالصة لله ، وفى سبيل الله . (انتهى ملخصاً من الظلال) .
والناظر فى الفترة المكية والتي كانت ثلاثة عشر عاماً كلها تربية واعداد
وغرس لمفاهيم لا اله الا الله يدرك مالاهمية هذه العقيدة من شأن فى عدم

الاستعجال واستباق الزمن فالمقيدة بحاجة الى غرس يتعهد بالرعاية والعناية
والمداومة بحيث لا يكون للمجلة والفوضى فيها نصيب . وما أجدر الدعاء
الى الله أن يقفوا امام تربية المصطفى صلى الله عليه وسلم لاصحابه على هذه
المقيدة وقفه طويلة ، فيأخذوا منها المبرة والاسوة ، لأنه لا يقف في وجهه
الجاهلية - أيا كانت قديمة أم حديثة أم مستقبلة - الا رجال اختطت قلوبهم
ببشاشة المقيدة الربانية ، وعمقت جذور شجرة لا اله الا الله في نفوسهم ،
فيصدق عليهم حينئذ أنهم " رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه " ٢٣ الاحزاب ،
لا تهمهم قوة عدو ، ولا تنقصهم عزيمة باسل لان الله هو وليهم وناصرهم ،
ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوى عزيز " . ٤ الحج .

قال ابن اسحاق (لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب
اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من اللهم من عمه أى طالب ،
وانه لا يقدر على ان يمنهم ما هم فيه من البلاء قال لهم : " لو خرجتم الى
أرض الحبشة ، فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق ، حتى يجمل
الله لكم فرجاً ما انتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً الى الله بدينهم
فكانت أول هجرة في الاسلام) (١)

ثم ان لطف الله ورحمته غمرت المؤمنين المستضعفين وذلك باسلام عمرو
ابن الخطاب رضى الله عنه ، حيث أعز الله به الاسلام ، ولذلك قال عبد الله
بن مسعود رضى الله عنه " ان اسلام عمر كان فتحاً ، وان هجرته كانت نصراً ،

(١) السيرة لابن هشام ٣٤٤/١

وإن أمارته كانت رحمة ، ولقد كنا مانصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر ؛ فلعلنا
اسلم قاعل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه * (١) إنها نعمة كبرى
تجلت في اسلام عمر ، الذي منح ولاه وفنصرته للمسلمين ، وصبر بخضه وعداوته
وبراءه للكافرين ، كيف لا وهو الذي اشمتك مع القوم بعد اسلامه ثم قال :
« افعلوا ما بدا لكم فوالله لو أن قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها - أي مكة -
لكم أو تركتموها لنا * (٢)

وسمع المؤمنون باسلام عمر رضى الله عنه وهم في الحبشة ففرحوا بذلك
ورجع منهم من رجع الى مكة - ولكن قريشاً صبت عليهم الواناً من العذاب والاضهاد
فلم يزد هم ذلك الا صلابة في العود وثباتاً على الحق وأملاً في فرج
من الله قريب .

ثم تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه لدرس آخر من
دروس الابتلاء التي هي من سنن الدعوة الى الله : ذلك الدرس هو موت
أبي طالب عم رسول الله الذي كان مناصراً له وحامياً . وموت زوجة رسول الله
خديجة رضى الله عنها أول امرأة اسلمت وكانت مثلاً للمرأة المسلمة الصالحة
وهنا يطوع اعداء الله في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله اكبر
من كل شيء ثم رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يتجه الى غير قريش
عسى أن يجد مجيباً وناصراً فخرج الى الطائف ، ولكن ثقيفاً خيبت أمه وآذنته
وسخرت منه ، فاتجه الى ربه قائلاً * اللهم اليك اشكو ضعف قوتي ، وقلة

(١) السيرة لابن هشام ٣٦٧/١

(٢) " " " " ٣٧٤/١

هيلتى ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين
وانت ربي الى من تكلمنى ، الى بعيد يتجهمني ؟ أو الى عدو طمكته أمرى ،
ان لم يكن بلغ غضب عليّ فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى . اوسع لى ، أعوذ
بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ،
ان يحل على غضبك أو ان ينزل بى سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ولا حول
ولا قوة الا بك . (١) ثم رجع الى مكة وعلى الدعاة ان يقفوا طويلا عند قول
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، " ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالى " فان
هم الداعية المسلم هو رضا الله . وكفى ثم بعد ذلك ليكن ما يكون من أمر
الناس فان ذلك ليس له كبير حساب طالما ان الغاية هى رضا الله .

(١) ابن هشام ٦٠/٢ والحديث أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٥/٦
ونسبه للطبرانى وقال : (فيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله
ثقات) وحكم عليه الالبانى فى تخريج فقه السيره للفضالى ع ١٣٢ بالضمف .
ولكن الفاظ الحديث ينقدح منها نور مشكاة النبوة .

بر الأقارب المشركين

ومن خلال تتبع القرآن المكي نجد انه رغم قطع الولاء سوا في الحسب أو النصرة بين المسلم وأقاربه الكفار فان القرآن أمر بعدم قطع صلتهم وبرهم والاحسان اليهم ومع ذلك فلا ولا بينهم قال تعالى " ووصينا الانسان بوالديه احساناً وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فانبيئكم بما كنتم تعملون " ٨ العنكبوت .

قال البغوي : ان هذه الاية وآية ١٥ من سورة لقمان وهي قوله تعالى " وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصا حبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من اتاب الي ثم الي مرجعكم فانبيئكم بما كنتم تعملون " نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه واه حمنة بنت أبي سفيان ، فقد كان سعد من السابقين الاولين للاسلام ، وكان باراً بأمه .

قالت له أمه : ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الي ما كنت عليه ، أو أموت فتعبر بذلك ابد الدهر ، يقال : يا قاتل امه ! ثم انها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل ، فاصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد اليها وقال : يا أمه : لو كانت لك مائة نفس فنجرت نفساً نفساً ما تركت ديني ، فكسبي وان شئت فلا تأكلي ، فلما أيسست منه اكلت وشربت ، فأنزل الله هذه الاية وامره بالبر بوالديه ، والاحسان اليهما ، وعدم طاعتهم في الشرك لأنفسه

(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١)

لذلك فالولاء لله ودينه والمؤمنين شيء لا طاعة لمخلوق في مخالفتهم ،
وبر القريب المشرك شيء . قد يكون من باب تأليفه وترغيبه في الاسلام .

(١) تفسير البغوي ١٨٨/٥ وانظر اسباب النزول للواحدى ، ص ١٩٥
فقد ذكر نحو هذا والحديث : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق //
حديث صحيح انظر مشكاة المصابيح ١٠٩٢/٢ ح ٣٦٩٦ .

كيف كانت صورة البراءة في العهد المكي

- (١) ان المسلم من حين أن يشهد أن لا اله الا الله محمد رسول الله وهو يحس بأنه قد دخل في دين جديد غير دين آباءه واجداده . انه يشعر في اللحظة التي يجيب فيها الى الاسلام انه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية . وكان يقصف من كل ماعده في جاهليته موقفاً المستريب الشاك الحذر المتخوف الذي يحس ان كل هذا رجس لا يصلح للاسلام . وبهذا الاحساس كان يتلقى هدي الاسلام الجديد . . ويمكننا أن نسمي هذا بـ " المعزلة الشمورية " فالمسلم قد انخلع من البيئة الجاهلية ، وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها . وانخلع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية الى تصور الاسلام عن الحياة والوجود ، وانضم الى التجمع الاسلامي الجديد بقيادته الجديدة . ومنح هذا التجمع وهذه القيادة كل ولائه وطاعته وحبه وتبعية (١)
- (٢) بعد ذلك جاء الامر بالاعراض عن الكفار " فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم أن ربك هو اعلم بمن نزل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى " النجم ٢٩-٣٠ .
- (٣) وجاء الامر ايضا بالصبر والهجر الجميل قال تعالى " واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً " ١٠ المزمل . " فاصبر ان وعد الله حقيق

(١) معالم في الطريق ١٦-١٧ بتصرف بسيط .

ولا يستغفرك الذين لا يؤمنون * ٦٠ الروم .

ثم يذكر الله سبحانه المؤمنين بفعل ابيهم ابراهيم عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة واتم التسليم ليأخذوا منه أسوة وقدوة فيقول سبحانه * وان قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون *

٢٦ - ٢٨ الزخرف والى جانب هذا التذكير الربانى . يضرب ايضا المثل المحسوس والملوس فى حياة الناس لمن يوزع ولاه بين ارباب متفرقة ، ومن يكون ولاؤه لرب واحد ، واتجاه واحد . قال

تعالى * ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون * ٢٩ الزمر .

فقد وضع الله فى هذا المثال القرآنى حال المشرك الذى لا يؤمن بالله ولا يكون ولاؤه وحبه لله وفى الله بحال العبد الذى تملكه جماعة مشتركين فيخدمته لهم لا يمكنه ارضاؤهم اجمعين وحال الموحد الذى يعبد الله وحده ويؤالى فى الله وحده مثله كمثل عبد لمالك واحمد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق الى رضاه فهو فى راحة مسرور تشاحن الخطأ فيه بل هو سالم لمالكة من غير منازع فيه ، مع رافسة مالكة به ورحمته له وشفقته عليه واحسانه اليه وتوليته بمصالحه ، فهبيل يستوى هذان العبدان ؟ لا . انهما لا يستويان * الحمد لله بسلا اكثرهم لا يعلمون * (١)

(١) امثال القرآن لابن القيم ص ٥٣ بتصرف بسيط . ط ١٤٠٠ / ١ هـ تحقيق الدكتور ناصر الرشيد . الناشر دار مكة .

وعلى طريقة القرآن في اهتمامه بقضية اليوم الاخر لئلا يها من أشـ
عظيم في قضية الايمان ؛ نجد القرآن الكريم يسوق مشهداً من مشاهد
يوم القيامة لمن يكون ولاؤه لغير الله ، وكيف انقلب هذا السـ
الى عداوة وبغضاء . ثم كيف اصبحت الخلة عداوة وشحناء . قال تعالى
" وقال الذين كفروا ربنا ارننا الذين اضلانا من الجن والانـ
فجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين " ٢٩ فصلت

وقال " الاغلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين " ٦٧ الزخرف .
وقال " ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مـ
الرسول سبيلا ، يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد اضلني
عن الذكر بعد ان جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً " ٢٢-٢٩
الفرقان .

(٤) ثم جاء التصريح الكامل لاعداء الله بأن دينكم باطل لاندخل فيه ،
وديننا هو الحق الذي ندين الله به ، فلانعبد ماتعبدون ، ولا أنتم
عابدون مانعبد .

لكم دينكم ولي دين

ولما رأى المشركون صلابة المسلمين واستعلائهم بدينهم ، ورفعوا نفوسهم فوق كل باطل ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أعلامهم ورجوعهم الحقاء ،

فقد دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة اوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله سورة الكافرون * (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين | ١ - ٦ الكافرون (١)

ومثل هذه السورة آيات أخرى تشابهها في اعلان البراءة من الكفر وأهله مثل قوله تعالى * وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (١) يونس . وقوله تعالى * قل اني نهيت ان أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين . قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين * ٥٦ - ٥٧ الانعام .

وقوله تعالى * يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين ، وان اقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين * ١٠٤ - ١٠٥ يونس .
بهذه النصاعة وهذا الوضوح جاءت هذه الايات الكريمت لترسم معالم

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٧/٨ .

الطريق بين الصف الاسلامي والصف الكافر المشرك الذي لا يؤمن بالله
ورسوله . ومع هذا الوضوح القرآني نجد أن بعض المنتسبين للعلم قد فهم
من هذه الايات - وخاصة سورة الكافرون - انها اقرار من رسول الله صلى
الله عليه وسلم للكفار على دينهم الباطل وهذا زعم باطل . مخالف لحقيقة
الاسلام ، ودعوة رسول الاسلام . ومضاد لدعوة الرسل جميعاً . يقول العلامة
ابن القيم رحمه الله . ان هذه السورة - سورة الكافرون - تشتمل على
النفي المحض وهذه خاصية هذه السورة ، فانها سورة براءة من الشرك كما
جاء في وصفها * (١)

والمقصود بها الأعظم البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتت
بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة . مع تضمنها للاشياء
له محبوباً يحبده وانتم بريئون من عبادته ، وهذا يطابق قول امام الحنفية
انني براء ما تعبدون الا الذي فطرني * ٢٦ - ٢٧ الزخرف فانتظمت حقيقة
لا اله الا الله .

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرنها بسورة الاخلاص في سنة
الفجر وسنة المغرب ^(٢) وحين أخبر الله أن لهم دينهم وله دينه : هل هو اقوار
فيكون منسوخاً أو مخصوصاً ؟ أولا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

هذه مسألة شريفة من أهم المسائل ، وقد غلط في السورة خلاصاً ،
وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم ^{هذه} أن الآية اقتضت التقرير لهم

(١) سنن ابي داود / الادب / ٥ / ٣٠٣ ح ٥٠٥٥ والترمذي في الدعوات

ج ١١٠ / ٩ ح ٣٤٠٠ وسند الاطام احمد ٤٥٦ / ٥ والدارمي

في فضائل القرآن ٤٥٨ / ٢ قال الالباني : حديث حسن . انظر

صحيح الجامع الصغير ١ / ١٤٠ ح ٢٨٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٥ / ٦ والمسند طبع الساعاتي ٤ / ٢٢٥ .

(٣) مشكاة المصابيح ١ / ٢٦٨ ، وانظر بدائع الفوائد ١ / ١٣٨ .

على دينهم ! وذن آخرون : انها مخصوصة بمن يقرؤن على دينهم
وهم أهل الكتاب !

وكلا القولين غلط معض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة
وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فان احكام التوحيد
التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه .

« وهذه السورة اخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى ايضاً سورة الاخلاص .

ومشأ الغلط : ظنهم أن الآية اقتضت اقرارهم على دينهم . ثم رأوا أن

هذا الاقرار زال بالسيف فقالوا : منسوخة !!

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار وهم من لا كتاب لهم فقالوا هذا مخصوص !

ومعنا ان الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو اقراراً على دينهم ابدأً . بل

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الأمر وأشد عليه وعلى أصحاب

أشد على الانكار عليهم ، وعيب دينهم وتقيحه ، والنهي عنه ، والتهديد

والتوعيد في كل وقت وفي كل ناد . فكيف يقال إن الآية ، اقتضت تقريراً لهم ؟

معاذ الله من هذا ^{الزعم} الباطل .

وانما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم ، وأن ما أنتم عليه من الدين

لا نوافقكم عليه أبداً ، فانه دين باطل فهو مختص بكم لان شريككم فيه . ولا أنتم

تشركوننا في ديننا الحق .

١١) فهذه غاية البراءة والتبطل من موافقتهم في دينهم ، فأين الاقرار حتى

يدعى النسخ أو التخصيص ؟ !

أفتري اذا جوهوا بالسيف كما جوهوا بالحجة لا يضح أن يقال : لكم دينكم

ولي دين ؟

بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين الى أن يظهر الله منهم

عباده وبلاده . وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به ، الداعين الى غيبر سنته اذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته لكم دينكم ولنا ديننا لا يقتضى هذا اقرارهم على بدعتهم ، بل يقولون لهم هذه براءة منها . وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان . (١)

وزاد هذا الأمر ايضاحاً وبياناً : شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : " قوله تعالى " لكم دينكم ولي دين " اللام فى لغة العرب يدل على الاختصاص فانتم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه ، وانا مختص بدينى لا تشركونى فيه كما قال تعالى " لى على ولكم عطكم انتم بريئون مما أعمل وأنا بوى مما تعملون " (١) يونس وليس فى هذه الاية أنه رضى بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب ، كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين ، وجعلوها منسوخة . بل فيها براءته من دينهم ، وبراءتهم من دينه ، وأنه لا تضره أفعالهم ، ولا يجوزون بعمله ولا ينفعهم . وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ ، ولم يرض الرسول بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط .

« ومن زعم أنه رضى بدين الكفار ، واحتج بقوله تعالى : " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين " فظن هذا الملحدين أن قوله " لكم دينكم ولي دين " معناه أنه رضى بدين الكفار ، ثم قال هذه الآية

منسوخة فيكون قد رضى بدين الكفار ، فهذا ^{من} /أبين الكذب والافتراء على محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يرض قط الا بدين الله الذى أرسل به /، وأنزل به كتبه . . . وتظير هذه الآية قوله تعالى " وان كذبوك فقل لي عملى ولكم علمكم ، انت بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون " ٤١ يونس وقوله تعالى " فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آنتت بما أنزل الله مسن كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم " ١٥ الشورى . . . واذا كان الله سبحانه قد قال : " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون " ٢١٥ - ٢١٦ الشعراء . فبرأه من معصية من عصاه من اتباعه المؤمنين ، فكيف لا يبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة ؟ " (١)

ورحم الله عبد الله بن عباس حين قال في شأن هذه السورة " ليس فسى القرآن أشد غيظاً لا بليس منها ، لأنها توحيد وبرائة من الشرك " (٢) وقال الاصمعي : كان يقال لـ " قل يا أيها الكافرون " و " قل هو الله أحد " المقشقشان . أى أنهما تبرئان من النفاق . (٣)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/٣٠ - ٣٢

(٢) + (٣) تفسير القرطبي ٢٠/٢٢٥ .

فرج من الله قريب

قال ابن اسحاق : " فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانجاز مواعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون ألكمكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه ، فدعاهم^{إلى} الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . . فقال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه . فأجابوه فيما دعاهم اليه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام . وقالوا : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذي اجبتك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا ، فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١)

أجل : بعد كل ذلك العناء وتلك الصابرة يهبي " الله اللطيف الخبير

من ينصر هذا الدين ويحلي كلمته ، ويشهره في الأرض بعد أن آوى رسوله
الله وأصحابه الأواغل ، انه لشرف دوله كل شرف أن يُسموا " الانصار " انصار
الله ، انصار نبيه ، انصار دينه ، انصار عباده المؤمنين ، وليسوا انصار
الجاهلية وطواغيشها وجبابرتها الذين هم في الغين الناس كبار وهم في حقيقة
الأمر صفار وأقزام !!

ولما كان العام المقبل وهزل الى مكة من الانصار اثنا عشر رجلاً ،
فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة الاولى فبايعوه ، وكانست
البيعة على الاسلام وأرسل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن
عمير (١) رضي الله عنه يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فسي
الدين ، ويؤمهم في الصلاة . (٢)

وقدم مصعب رضي الله عنه ومعه وفد كريم من الانصار في موسم
الحج فكانت بيعة العقبة الكبرى " حيث تساءلوا وهم خارجون من المدينة :
حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف ؟

" لقد بلغ الايمان اوجه في هذه القلوب الفتية ، وأن لها أن تنفس
عن حماسها ، وأن تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية (٣)

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم نشأ في بيت ثري ، مدلاً غاية الدلال ، كان
يعرف بأنه اعطر أهل مكة ثم اسلم فانقلبت تلك النعومة الى خشونة ورجولة
كان من السابقين للاسلام ومن المهاجرين للحبشة في الهجرة الاولى ،
ثم هاجر للمدينة ، وشهد بدراً وحمل اللواء في أحد فاستشهد ، وفي
الصحيح أن مصعباً لم يترك الا ثوباً فكان اذا غطوا رأسه خرجت رجلاه ،
واذا غطوا رجله خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا
على رجله شيئاً من الأذخر ، انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز
١٤٢/٣ ح ١٢٧٦ والاستيعاب لابن عبد البر ج ٣/٦٨ ، والاصابه
لابن حجر ج ٣/٢١ ، ومصعب بن عمير للاستاذ محمد بريغش وغير ذلك
من كتب السيرة .

(٢) ابن هشام ٧٦/٢ (٣) فقه السيرة للشيخ محمد الفزالي ص ١٥٧

صيغة البيعة

تلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فثلا القرآن ، ودعا الى الله ،
ورغب في الاسلام ثم قال : "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم
وابنائكم" فأخذ البراء بن معرور (١) بيده ثم قال : نعم والذي بعثك
بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع منه أئزونا (٢) فبايعنا يارسول الله فنحن والله
ابناء الحروب ، وأهل الحلقة (٣) ، ورثناها كإبرا عن كإبر . فاعترض
أبو الهيثم بن الضيهان (٤) فقال : يارسول الله ان بيننا وبين الرجال
حبالا وانا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم
أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال : " بل الدم الدم والهدم الهدم انا منكم وانتم منى ،
أحارب من حاربتهم وأسالم من سالمتم" (٥)
قال ابن هشام : الهدم الهدم : يعنى الحرمة ، أى نمتى نمتكم وحمومتى
حرمتمكم . (٦)

-
- (١) هو البراء بن معرور الخزرجي الانصارى أول من بايع وأول من استقبل القبله
وأول من أوصى بثلك ماله ، و" احد النقباء من الاثنى عشر . انظر
الاصابه ج١/١٤٤ والاعلام للزركلى ٤٧/٤ ط ٠٤ والكبرى في المستد ج٢/٢٦١
- (٢) أي نساءنا .
(٣) أي السلاح .
(٤) ابو الهيثم بن الضيهان : مالك بن عنيك الانصارى الاوسى : احد
النقباء . أخى النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبين عثمان بن مظعون
وشهد المشاهد كلها وهو القاتل فى رثاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد جدعت آذاننا وانوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد توفى فسي
خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى المدينة سنة عشرين . انظر
الاستيعاب ٢٠٠/٤ الاصابه ٢١٢/٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧ تحقيق
ثروت عكاشه والاعلام للزركلى ٥/٢٥٨ .
(٥) (٦) السيرة لابن هشام : ٨٤-٨٥ / ٢ والكبرى فى المستد ج٢/ ٢٧٤ طبعة
الساعاتى مع الفتح الربانى .

ثم قام : اسعد بن زرارة (١) فقال : رويداً يا أهل يثرب ! فانا لسم
نضرب اليه أكبان الأبل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وان اخراجها اليوم
منا واة للعرب كافة ، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فاما انتم قسوم
لصبرون على ذلك فخذوه واجركم على الله ، واما انتم قوم تخافون من انفسكم
جبنة فبينوا ذلك ، فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا يا اسعد : أظننا
بيدك ، فوالله لانذر هذه البيعة ولا نستقبلها ، ثم قاموا اليه رجلاً رجلاً
فبايعوه . (٢)

أجل : (انه الايمان بالله والحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر
باسمه ، ذلك كله كان يتدافع في النفوس المجتمعة في ظلام الليل بجوار
مكة السادرة في غيها ، يتدافع ليعلم ان انصار الله سوف يحمون رسوله
كما يحمون اعراضهم ، وسوف يمنعونه بأرواحهم ، فلا يخلص اليه اذى وهم
أحياء) (٣)

تري : أى صورة اعظم من هذه الصورة لهذا الولاء الصادق ؟ لقد كانت
بيعة على دين الله ومرضاته . وانظر الى رد المصطفى صلى الله عليه
وسلم " بل الدم والهدم الهدم أنا منكم وانتم مني أحارب من حاربتهم
واسالم من سالمتم " هذه هي الصلة الحقيقية والشيجة الصادقة لعلاقة
المسلم بأخيه المسلم . لقد أصبح الدم واحداً . " أحارب من حاربتهم

(١) اسعد بن زرارة . أبو امامة الانصارى الخزرجى النجارى ، شهد
العقبين وكان نقيباً على قبيلته . ذكر الواقدي انه مات على رأس تسعة
أشهر من الهجرة . وقال البغوى : يلغنى انه اول من مات من
الصحابه بعد الهجرة وانه أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه
وسلم . قال ابن حجر : وقد اتفق اهل المغازى والتواريخ انه مات

في حياة النبي (ص) قبل بدر . الاصابة ٣٤ / ١ .
(٢) مسند أحمد ٣ / ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٩٤ ، والحاكم ٢ / ٦٢٤ - ٦٢٥ والبيهقى

في السنن الكبرى ٩ / ٩ .
(٣) فقه السيرة للشيخ الفزالى ص ١٦١ .

واسالم من سالمتم * وهكذا نقتطع علائق الدم الجاهلي والتناصر الجاهلي والولاء الجاهلي ليحل محلها الولاء الاسلامي والوقوف في الصف الاسلامي والبراءة من الكفر وأهله واعتناق الاخوة الجديدة التي امر الله بها . انهم البديل الصالح لتلك الوشائج الجاهلية كما قال صلى الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١)

وهكذا نصل الى معرفة ما فعل الله بنبيه ودعوته ومن معه ، وما هبوا لهم من النصر والمنعة والدار التي يقام فيها حكم الله وشريعته ومنهاجه فسي الارض . أرض الانصار . أرض الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فالى صورة جديدة مشرقة للولاء في العهد المدني .

(١) صحيح البخارى : كتاب الألب د ب ١٠ / ٤٤٢ ح ٦٠٢٦ وصحيح

مسلم كتاب البر والصلة ج ٤ / ١٩٩٩ ح ٢٥٨٥

الفصل السابع

الولاية والبراءة في العهد المدني

لما أراد الله اظهر دينه ، واعزاز عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه ، امره بالهجرة لتكون مبدأ فاصلا بين الحق والباطل ، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ؛ (١)

ولقد كانت الهجرة ايذانا من المولى جل وعلا بقرب وعده الذي وعد به المؤمنين وهو/ ^{وعد} دائم الى ان يرث الله الارض ومن عليها قال تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمننا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " ه ه النور .

ولقد وقع هذا التمكين الرباني بالفعل ولذلك نجد القرآن يذكرو المؤمنين بهذا التمكين والنصر فيقول " وانكروا انا انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون " ٢٦ الانفال .

(١) انظر زاد المعاد ٣ / ٤٣ تحقيق الارنؤوط .

نبذة تاريخية

لما أن الله بالهجرة ؛ خرج المسلمون الى المدينة زرافات ووحدانا ، ولم يبق بمكة منهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي حيث أقامنا بأمر منه صلى الله عليه وسلم والا من احتسبه المشركون كرها ، ولما رأى المشركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا ، وخرجوا وساقوا الذراري والاطفال والأموال الى المدينة ، وعرفوا أنها دار منعمة ، وأن أهلها أهل حلقة وشوكة وبأس ؛ فحاشوا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ولحقوه بهم حيث سيشتد امره وتقوى شوكته ؛ فلذلك اجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجاء منهم ليتشاوروا فسي أمره .

وخرجوا من ذلك الاجتماع برأى واحد : وهو أن يقوم من كل قبيلة شاب ثم يضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل . ولكن حماية الله ونصرتة لنبيه صلى الله عليه وسلم أكبر من مكر أولئك المجرمين ، فقد نزل جبريل عليه السلام على المصطفى صلى الله عليه وسلم يوماً مرة أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحبه الامين أبو بكر الصديق رضی الله عنه ، وبقي علي بن أبي طالب رضی الله عنه ، حيث نام تلك الليلة في فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم . وبنتهى الامر بخسارة وذلة (الملاء) من قريش (١) ووصل المصطفى صلى الله عليه وسلم الى دار الهجرة ، دار النصر

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ١٢٤ - ١٢٧ و زاد المصنف

والمنعة ، حيث وجد " أنصار الله " فكانت هذه الهجرة نصراً للمؤمنين المهاجرين الذين وجدوا من يؤويهم وينصرهم ويشاركهم الاموال والمساكن وحتى الا زواج !! وكانت نصراً ايضاً للانصار حيث قُضي على الأحن والأحقاد الجاهلية بين أوسهم وخنزرجهم ، وعلى كيد اليهود الذين كانوا يشيمون بينهم الفرقة والفتنة .

وكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة هو بناء المسجد . لينطلق منه النداء الرباني " الله اكبر الله اكبر " وليكون هذا المسجد الطاهر هو الملتقى التربوي للامة السطمة يتلقون فيه وحي الله عن رسول الله ، ويتعلمون أمور دينهم ، وهذا المسجد هو ايضاً مكان القيادة العسكرية الاسلامية التي انطلقت للجهاد في سبيل الله .

وبعد ذلك : " آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً ، ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوى الارحام الى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله عز وجل " وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله " ٦ الاحزاب ، رد التوارث الى الرحم دون عقد الأخوة " (١)

ان هذه الاخوة اليمانية هي الوشيحة العظمى ، والرابطة الفريدة في علاقات البشر بعضهم بعض ، فلقد أحس كل مؤمن - كما يقول الاستاذ محمد قطب - سواء كان مهاجراً أم انصارياً برباط جديد يربطه بأخوته في الله ، فكل واحد منهم يجب اخاه كحبه لنفسه ، مع أنه ليس من قبيلته ولا بينهما آصرة دم بل أن آصرة الدم - حين كانت في الجاهلية -

لم تكن للشئ في نفس أحدكم ذلك الحب الصافي العجيب الذي يحسسه
الآن لأخيه في العقيدة .

ترى ما الفرق بين لقاء الجاهلية ولقاء الاسلام ؟

لماذا لا توجد هذه المشاعر الا على العقيدة ؟

والجواب : أن الامر ليس سراً ، ولا سحراً ، ولكنه الاسلام يلتقي فيه الناس
على العقيدة في الله ، لأن كلا منهم يحب الله ورسوله ، فلا تكون ذواتهم
بارزة ولا متوفزة لاقتناهي المصلحة من الاخر كما هي الحال في العلاقات
الجاهلية ، وانما الجانب البارز هو الحب في الله . (١)

وقفة عند المواجهة بين المهاجرين والأنصار

ان هذه الاخوة جديرة بالدراسة والاعتبار . ذلك أن نتيجتها
أمور عظيمة في حياة المسلمين سواء على مستوى " الأمة والدولة " أم على
مستوى الافراد .

فأما ما يتعلق بهم أمة : فقد كانت هذه المواجهة هي الركيزة
الاساسية في تكوين مفهوم " الأمة المسلمة " أمة التقت على العقيدة في
الله ، وعاشت لاجل تلك العقيدة وليس لرابطة الدم أو النسب والنسب ،
أو الارض أو اللون أو اللغة ، أو الجنس فيها أي حساب يذكر إذاً **من مع العفة**
والله سبحانه وتعالى هو صاحب المنة والفضل في ذلك فهو القائل "

لا واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وانكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء .
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار
فناقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن

(١) بتصرف : منهج التربية الاسلامية : ٤٠ / ٣ - ٤١ +

منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم * ١٠٣ - ١٠٥ آل عمران .

لقد اصبح المؤمنون أولياء بعضهم لبعض ، كل منهم يحب أخاه كحبه لنفسه ، ويناصره ويجاهد من أجله ، ويؤثره على كل قريب وحبيب من ماله أو أهل أو عشيرة أو ولد * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم ٧١ التوبة .

واشتد كيانهم فكانوا كالجسد الواحد * المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك صلى الله عليه وسلم بين اصابعه * (١) وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * تـرى المؤمن في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى * (٢)

ولقد اثنى الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والانصار . فقال سبحانه عن المهاجرين * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * ٨ الحشر .

ثم يثنى سبحانه على الانصار بقوله : * والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك

(١) صحيح البخارى كتاب الادب ج ١ / ٤٥٠ ح ٦٠٢٦ وصحيح مسلم

كتاب الير ٤ / ١٩٩٩ ح ٢٥٨٥

(٢) صحيح البخارى كتاب الادب ١٠ / ٤٣٨ ح ٦٠١١ ومسلم كتاب

الير ٤ / ١٩٩٩ ح ٢٥٨٦ واللفظ للبخارى .

هم المفلحون " ٩ الحشر .

بل ان الأمر أصبح اكبر من ذلك . فهو لا " الانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن معه وآزروه ونصروه وبذلوا لهم النفس والنفيس ابتغاء رضوان الله قد أصبح حبهم من العقيدة التي يدّين بها المسلم ربه ، وبغضهم وكراهيتهم نفاق ففي الحديث الصحيح " آية لايمان حسب الانصار ، وآية النفاق بغض الانصار " (١)

وقال صلى الله عليه وسلم " الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله " (٢)

وبهذه الأخوة تكون " المجتمع الاسلامي " ذلك المجتمع الذي تظلمه راية لا اله الا الله وتحكمه الشريعة الربانية ، ويسوده الحب والتفاني ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ، الجهاد رهبانيته ، والدعوة الى الله سبيله ومنهاج حياته ، القوي فيه ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيه قوي حتى يأخذ حقه ، ولا وه لله ورسوله والمؤمنين وبغضه وكراهيته لا عداة الله ولو كانوا أقرب قريب ، وجدوا حلاوة الايمان وطعمه ، وعرفوا الكفر وأهله حتى ان أهدم يحب أن يلقي في النار ولا يعود الى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما قال صلى الله عليه وسلم - وهذا ما تحقق فيهم - " لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله ، وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر بعد أن انقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما " (٣)

(١) صحيح البخارى كتاب الايمان ١/٦٢٢ ح ١٧ وصحيح مسلم كتاب الايمان ١/٨٥ ح ٧٤ واللفظ للبخارى .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب ٧/١١٣ ح ٣٧٨٣ وصحيح مسلم كتاب الايمان ١/٨٥ ح ٧٥ واللفظ للبخارى .

(٣) صحيح البخارى كتاب الادب ١/٤٦٣ ح ٦٠٤١ وصحيح مسلم كتاب الايمان ١/٦٦ ح ٤٣ واللفظ للبخارى .

وبهذه المواقفة الایمانیة وجد " التكافل الاجتماعی " وبرزت فیہ صور

خالدة لم توجد قط الا فیہ وحده !!

ومنها مارواه البخاری انهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلی
الله علیه وسلم بین عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربیع ، فقال سعد لعبد
الرحمن : انی أكثر الانصار مالا ، فأقسم مالی نصفین ! ولی امرأتان
فانظر الی اعجبهما الیک فسمها لی أطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها !!
قال عبد الرحمن : بارک الله لك فی أهلك ومالك ، این سوقکم ؟ فدلسوه
على سوق بنی قینقاع فما انقلب الا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تطعم الفسد
حتى جاء یوما وبه أثر صفرة ، فقال النبی صلی الله علیه وسلم : " مهیم ؟
قال : تزوجت . قال : " کم سقت الیها " ؟ قال : نواة من ذهب (١)
(وان اعجاب المرء بسماحة سعد لا یعد له الا اعجاب بنیل عبد الرحمن السدی
زاحم اليهود فبی سوقهم ولاهم فی میدانهم ، واستطاع بعد ایام ان یکسب
ما یصف به نفسه ویحصن به فرجه ، ذلك ان علو الهمة من خلائق الایمان (٢)
وخلاصة القول : ان هذه المواقفة (كانت تدریباً عملياً على الاخوة الاسلامیة
التي تبعثها تلك العقیدة فی نفوس المؤمنین بها " انما المؤمنون اخوة"
١ . الحجرات ، وكان تدریباً ناجحاً (فی نجاحه ، فريداً فی التاريخ .

وكانت كذلك تدریباً عملياً على " التكافل " وهو معنى من المعانی العمیقة
فی بناء الجماعة الاسلامیة . القادرون یكفلون غیر القادرین على أساس الاخوة
فی الله من جانب وعلى أساس التصرف فی مال الله بما یرضی الله من جانب
آخر (٣)

(١) صحیح البخاری كتاب مناقب الانصار ١١٢/٧ ج ٣٧٨٠

(٢) فقه السیره للشیخ الفزالی ص ١٩٣ .

(٣) منهج التریبة الاسلامیة للاستاذ محمد قطب ٢/٩٦

سمات الولا والبراء في العهد المدني

لئن كانت سمات العهد المكي - كما سبق القول في ذلك - هسي :
بيان الحجة واقامتها . والسير على الأذى وكف الأيدي ، والهجر الجميل ،
فان ذلك كان لحكمة ربانية ، منها : أن ذلك كان لتربية الامة على هذا
الدين الحنيف ، وصقل النفوس على ضوء منهاجه ، والتقيد الكامل بأمر
الله ورسوله في الفعل والترك على حد سواء .

ولكن الأمر اخذ صورة اخرى في العهد المدني ، فمن الهجرة السى
المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، الى قيام الدولة المسلمة الى الجهاد
في سبيل الله وبعيضة الشريعة الاسلامية .

وأول ما نذكره في هذا العهد : هو الوثيقة التي كتبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار ، ومن تبعهم ، حيث وادع -
فيها اليهود ، وعاهد هم ، وتركهم على دينهم واموالهم وشرط لهم
واشترط عليهم . وقد أوردها ابن اسحاق دون سند (١) وأوردها الامام
احمد في مسنده (٢) ، وأوردها اصحاب السير والمغازى .

على أننى ساقترص على بعض فقراتها التي تخص موضوع الموالاة .
جاء في أولها : " بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي
صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٤٧ .

(٢) المسند بشرح البنا : ١٠/٢١ .

فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس " (١)
" . . . وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن من دونه ، وان المؤمنين المتقين
على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (٢) ظلم ، أو اثم أو عدوان ، أو -
فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعا . ولو كان ولد أحدهم ،
ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وان ذمة اللثة
واحدة ، يجير عليهم أديانهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى لبعض دون
الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلوميــــــــــــن
ولا متناصرين عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يساليم مؤمن دون
مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم
" وانه لا يحل لمؤمن أقربا في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر
ان ينصر محدثاً ولا يوءىه ، وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه
يوم القيامة ، ولا يوءخذ منه صرف ولا عدل . وأنكم مهما اختلفتم فيه من شئ
فان مرده الى الله عز وجل والى محمد صلى الله عليه وسلم وان اليهود ينفقون
مع المؤمنين ماداموا محاربين " (٣)

وهذه الوثيقة هي الصورة الصادقة لحقوق الانسان " حيث وردت بما
يجعل للمجتمع الاسلامي مجتمعا متلاحما متماسكا ، وكفلت - ايضا - حقوق
اهل الديانات الاخرى ماداموا يعيشون تحت مظلة الحكم الاسلامي .
وقد لخص الامام ابن القيم رحمه الله صورة المجتمع المدني آنذاك بقوله :
(لتماقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام :

(١) السيرة لابن هشام : ١٤٧/٢

(٢) الدسيعة : العظيمة .

(٣) السيرة لابن هشام ١٤٨/٢ - ١٤٩

قسم صالحهم ووادعهم على الا يحاربوه ، ولا يظاهروا عليه ، ولا يوالوا

عدوه وهم على كفرهم ، آمنون على دماءهم وأموالهم .

وقسم حا ربوه ونصبوا له العداوة .

وقسم تاركوه ، فلم يصالحوه ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤمرون اليه أمره

وأمر اعدائه ، ثم من هؤلاء * من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن ،

ومنهم من كان يحب ظهور عدوه عليه وانتصارهم ، ومنهم من دخل معه

في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن ، ليأمن الفريقين وهو * هم

المنافقون .

فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه تبارك وتعالى * (١)

وقد اتضح لي من خلال هذا البحث ان هناك ثلاثة امور هامة هي سمات هذا العهد :

(١) كيد أهل الكتاب للاسلام (ضم النهي والتحذير من مواليتهم

وطاعتهم) .

(٢) ظهور النفاق والمنافقين .

(٣) البراءة من هؤلاء * واولئك : اي المفاصلة التامة بين المسلمين

واعدائهم ولها صور ترد في موضعها .

أولا : كيد أهل الكتاب للاسلام وتحذير المسلمين من مولاتهم

تتفق نظرة المنصفين الباحثين في التاريخ اليهودي : أن اليهود
أمة حاقدة ، الخداع طبعها ، والفرد يد لها ، ومحادة الله ورسوله
خلقها ، ولحكمة الله يعلمها انتقلت الرسالة من بنى اسرائيل فكان خاتم
الانبياء هو محمد بن عبد الله الهاشمي ^{القرشي} العربي صلى الله عليه وسلم وقد
كان كيد اليهود - خاصة - قد بدأ منذ أن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مكة حيث كانت تعاون قريشاً في اسئلة العناد التي توجهه
للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وذلك مثل قولهم لقريش : إسألوه عن
الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وغير ذلك مما هو معلوم من سورة الكهف .
ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الى المدينة ،
قامت قيامة اليهود ، فلم يهدأ لهم بال ، ولم يهنأ لهم عيش . ذلك
أن قيام الدولة المسلمة في الارض له أثره الكبير عليهم ، فالاسلام هو
الذي يكسر شوكتهم ، ويفضح مكنوناتهم ، ويحرر الناس من شرورهم
ويمزق شملهم وسيطرتهم وجبروتهم . ومن هنا لم يفتأوا يكيدون للاسلام
ورسوله والمؤمنين ، وينصبون المراقيل في وجه من يريد الاسلام وولديه
النفاق والمنافقون في احضانهم ، وخانوا الله ورسوله فلم يتقيدوا بالوثيقة
الآتفة الذكر ، وقدروا بالمسلمين فوالوا المشركين والكفار ، وآذوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهموا بما لم ينالوا .

ولذلك عنى القرآن المدني وخاصة اكير سورة - وهي البقرة وآل عمران
والنساء والمائدة - بكشف سترهم وفضحهم ، وبيان كيدهم والآيات الكريمة
في هذا كثيرة جدا ولكنني أورد طرفا منها هنا . ليتضح (للمسلمين)
المخدوعين بهم اليوم ، الذين يوالونهم ويجلونهم بل يفتنون بهم .

ماعليه أعداء* الله الذين هم قتلة الاتميا* ودعاة الفساد فى الارض .
قال تعالى : " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا
حتى يأتى الله بأمره . ان الله على كل شىء قدير " ٦٩ م البقرة .
وفى سورة آل عمران " ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ،
وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون " ٦٩ .

" وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجاهه
النهار واكفروا اخره لعنهم يرجعون " ٧٢ آل عمران .
" وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين " ١٣٥ البقرة .

" ما يهود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خبير
من ربكم والله يختص برحمته من يشاء* والله ذو الفضل العظيم " ١٠٥ البقرة .
" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونهم لا يألونكم خبالاً ودواماً
عنه قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الايات
ان كنتم تعقلون " ١١٨ آل عمران .

فهذه الايات وغيرها مافى مثل معناها : تبين كيدهم وما يترصدون بكه
للاسلام واتباعه . وذلك جاءت آيات كثيرة فى تحذير المؤمنين ونهيههم
عن الاستماع للكفار عامة ولاهل الكتاب خاصة ، أو طاعتهم ، أو اتخاذهم
أولياء ، أو الركون اليهم . وسأقتصر هنا أيضا على بعض هذه الايات
لانه سيأتى مزيد من تفصيل هذا فى الفصل التالى ان شاء الله حول صور
الموالاته .

قال تعالى " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل
ان هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواهم بعدى الذى جاءك

من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " ١٢٠ البقرة .

" يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين " ١٤٩ - ١٥٠ آل عمران .

" يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم " ١٠٠ - ١٠١ آل عمران .

ورد في سبب نزول هاتين الايتين : ان شاس بن قيس اليهودي - وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد النضن على المسلمين ، شديد الحسد لهم - مر على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج ، في مجلس جمعهم ، يتحدثون فيه ، ففاظة مارأى من جماعتهم وألفتهم ، وضلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال : قد اجتمع ملائكة بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار! فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال : اعد اليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بعثت - أحد أيامهم في الجاهلية - وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ما كانوا يقولوا فيه من الاشعار ، ففعل . وتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين ، فتقاولا ، وقال احدهما لصاحبه : ان شئت ردتها جذعة! وغضب الفريقان جميعاً وقالوا : ارجعوا السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة - وهي الحرة ، فخرجوا اليها ، وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين ، حتى جاءهم فقال : (يا معشر المسلمين : الله الله أبعثوني الجاهلية وانا بين أظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام واكرمكم به ،

وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا !!) فعرف القوم انها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال من الاوس - والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله ، فأنزل الله - " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ز" الآية قال جابر بن عبد الله ، ما كان طالع أكره اليانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوماأ اليانا بيده ، فكففنا واصلح الله تعالى ما بيننا ، فما كان شخص أحب اليانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمارأيت يوماً اقبح ولا أوحش أولاً وأحسن آخرها من ذلك اليوم . (١)

ويوجه الله عباده المؤمنين ويرشد هم - بعد أن ذكر قصة بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام فى قصة ذبح البقرة - بقوله : " افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ، وانا لقاوا الذين آمنوا قالوا آمنا وانا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحد ثونهم بما فتح الله عليكم ليحاوكم به عند ربكم افلاتتعقلون ؟ أولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون " ٧٥ - ٧٧ البقرة .

ثم يأتى التحذير الاقوى فى سورة المائدة " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين " ٥١

(١) انظر : تفسير الطبرى ٢٣ / ٤ واسباب النزول للواحدى ص ٦٦
وأحكام القرآن للقرطبي ١٥٥ / ٤ . وتفسير البغوى ١ / ٣٨٩ .

" انھا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا
الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله
هم الخالبون . يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دینکم
هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله
ان كنتم مؤمنين " ٥٥ - ٥٧ المائدة .

ان هذه النصوص وغيرها : قد ربت المسلمين على معرفة كيد
أهل الكتاب للإسلام والمسلمين ، فقطعت ما في نفوس بعض المسلمين
من ود وولا لهؤلاء الأعداء ، من أجل أن يكون الولا لله ولرسوله
وللمؤمنين فقط .

ثانيا : النفاق والمنافقون

ان المؤمنين في العهد المكي كانوا مبتلين ، يعذبون ، ويضطهدون ومع ذلك صبروا واحتسبوا فلم يكن في مكة حينئذ الا فريقان : فريق المؤمنين الصابرين ، وفريق الكفار والمشركين الجابرة ولم يكن هناك " منافقون " لان النفاق طبيعته المراوغة والاحتياي وهذا الدين لم يكن يقدر عليه في مكة الا المؤمنون الصادقون .

أما في المدينة ، وبعد قيام دولة المسلمين وهيمنة حكم الله وشرعه فقد وجد المنافقون وهذا أمر معهود من أصحاب النفوس الضعيفة الجبانة ، التي تخاف السلطة الاسلامية فتظهر لها الاسلام ، وتجب الكفر وأهلها ولكنها لا تجرؤ على المصارحة به .

والمنافقون : (قوم أظهروا الاسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، فهم في الدرك الاسفل من النار كما قال تعالى " ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا " ١٤٥ النساء .

" فالكافرون المجاهرون أخف منهم ، وهم فوقهم في دركان النار ، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله ، وزاد عليهم المنافقون بالكذب والنفاق . وولية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم " هم العدو فأحذرهم " ، المنافقون . ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر . أى : لاعدوا لهم ، ولكن لم يرد لها هنا حصر العداوة فيهم ، وانهم لاعدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من اثبات الاولوية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وأنه لا يتوهم بانتسابهم الى المسلمين ظاهرا ، وموالاتهم لهم ومخالطتهم اياهم أنهم ليسوا باعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة من باينهم في الدار ، ونصب لهم

العداوة وجاهرهم بها .

" فان ضرر هؤلاء المخالطين المعاشرين لهم - وهم في الباطن على خلاف دينهم - أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة والزم وأدوم . لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياما ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر ، أما هؤلاء فمعهم في الديار والمنازل صباحا ومساء ، يدلون المد وعلى عوراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم . . صحبتهم توجب العار والشنار ، ومودتهم تحل غضب الجبار ، وتوجب دخول النار .

" من عقلت به كلابك كلبهم ومغالب رأيهم مزقت منه ثياب الدين والايमान وقطعت له مقطعات من البلاء والخذلان ، فهو يسحب من الحرمان والشقاوة أن يالا ، ويمشى على عقبه القهقري ؛ دباراً منه وهو يحسب ذلك اقبالاً (١)

وكان من نعمة الله سبحانه وتعالى على هذه الامم ان لا يتركها مختلطة بغير تمييز بين المؤمن والمنافق ، ذلك أن عدم التمييز يودي الى ضياع القدوة الحسنة في المجتمع الاسلامي ، ويودي ايضا الى ذيان الصورة الصادقة للمسلم الصادق .

" وفي المنتسبين للاسلام أناس " نفعيون " لاهم لهم الا الحصول على المال أو أي مأرب من مأربهم الدنيئة ، فاذا انتصر المؤمنون كانوا معهم ، واذا اصبوا كانوا عليهم ، ثم ان منهم اصحاب الاهداف الخبيثة والاغراض الهدامة ممن قد امتلاءت قلوبهم بالحقد والحسد ، فهم يتربصون

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٤٠٢ - ٤٠٨

الطبعة الاولى سنة ١٣٧٥هـ السلفيه بمصر .

بالمسلمين الدوائر ، ويتظاهرون لهم بأنهم معهم ، ولكنهم يخونونهم
في أخرج المواقف * (١)

ولما كان الامر كذلك ميز الله الصادق من الكاذب عن طريق الابتلاء
والامتحان قال تعالى " ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا
وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين " ١ - ٣ العنكبوت " ان يمسسكم فرح فقد من القوم
فرح مثلك ، وتلك الايام تداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ
منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحس
الكافرين " ١٤٠ - ١٤١ آل عمران .

" ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " .
١٧٩ آل عمران . أجل : انه لا بد من التمييز بين الخبيث والطيب ، فالابتلاء
سنة ربانية في تمحيص النفوس وصقلها على الحق ، ثم ان الله سبحانه يجب
من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حال الضافية والبلاء ،
فله سبحانه على العباد في كلتا الحالتين عبودية بمقتضى الحال . . لا تحصل
الا بها ، ولا يستقيم القلب بدونها ، كما لا تستقيم الابدان الا بالحر والبرد ،
والجوع والعطش ، والتعب والنصب ، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول
الكمال الانساني والاستقامة المطلوبة منه . (٢)

والحديث عن المنافقين طويل طويل وقد كتب فيه في القديم والحديث . (٣)

(١) المنافقون في القرآن الكريم للاستاذ عبدالعزيز الحميدى ص ١٦ رسالة
ماجستير بالدراسات العليا بمكة .

(٢) انظر : اغاثة اللفهان لابن القيم ٢ / ١٩٠ تحقيق الفقي .

(٣) هناك رسالة قيمة للاستاذ عبدالعزيز الحميدى بعنوان المنافقون في
القرآن لعلها من أحسن ما كتب في هذا الموضوع . وهي موجهة
بالدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة بمكة وانظر ايضا كتاب : النفاق
اثره وفهامه للشيخ عبدالرحمن الدوسرى رحمه الله .

وقد سبق لي في التمهيد أن تكلمت عن أنواع النفاق وأحكامه ، وتكلم هنا عن ابرز افعال وصفات المنافقين في كيدهم للدعوة الاسلامية .

(١) من أخطر ما ارتكبه المنافقون : موالاتة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر ، قال تعالى " ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ابداً ، وان قُوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون ، لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون " ١١ - ١٢

وقال تعالى " ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون " ١٤ المجادلة . ذكر السدي ومقاتل : انها نزلت في عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل المنافقين ، فقد كان احدهما يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه السي اليهود . (١) وهذه الاية كقوله تعالى " مذنبين بين ذلك لا السي هوءلاء ولا الى هوءلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا " ١٤٣ النساء ولقد نزلت سورة كاملة فيهم هي سورة " المنافقون " بين الله فيها انهم يظهرون مالا يبطنون ، وانهم يحرضون على اضعاف صف المسلمين (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون " ٧ . المنافقون . وفيها ايضا) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل ولله المزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون " ٨ المنافقون .

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٣٥ وتفسير القرطبي ١٧ / ٣٠٤

روى البخارى وسلم فى سبب نزولها عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم قال : * كفا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار ، فقال الانصارى : بالانصار ، وقال المهاجرى : بالمهاجرين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار ، فقال : * دعوها فانها مفتنة * فسمعها عبد الله بن ابي فقال : قد فعلوها ، والله لئن رجعتا الى المدينة لمخرجن الاعز منها الا نزل ، قال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق : / * ^{قال ابن السكيت} دعوه . لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه * (١)

قال محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة : أن عبد الله بن عبد الله بن ابي بلغه ما كان من ابيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرني به ، فأنا احمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أهر بوالديه منى ، أنسى اخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلاتدعنى نفسى أنظر الى قاتل عبد الله بن ابي يحشى قى الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * بل نتوفى به ونحن صحبتته ما بقسى معنا * (٢)

وذكر عكرمة وغيره : ان الناس لما قتلوا راجمين الى المدينة وقصف عبد الله بن عبد الله بن ابي على باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير ٨ / ٦٥٢ ح ٤٩٠٧ وصحيح مسلم كتاب

البر ٤ / ١٩٩٩ ح ٢٥٨٤ واللفظ له .

(٢) السيرة لابن هشام ٢ / ٢٩٢ وتفسير ابن كثير ٨ / ١٥٩ ولم يخرجوه

- فيما اطم - الا ابن اسحاق .

الناس يحرون عليه ، فلما جاء أبوه عبدالله بن أبي قال له ابنه : وراءك ، فقال : مالك وبلك ؟ قال : والله لا تجوز من هلهنا حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان انما يسير ساقية - (٢) فشكى اليه عبدالله بن أبي ابنه ، فقال الابن : والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اما ان^{أذن} لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز الآن . (٢)

وحقا انها صورة رائعة لصدق الايمان ان يقول الابن لرسول الله : ان كنت فاعلا فعزني به فانا احمل اليك رأسه !! انه ما حمل هذا الايمان على هذا الفعل الا قوة الايمان وعمق الولاء والبراء في نفسه .

(٢) من اقيح صفاتهم : رفض التحاكم الى شريعة الله ، والتحاكم الى الطواغيت التي تحقق رغباتهم ، قال تعالى " الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ، وانا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ، فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان أردنا الا إحساناً وتوفيقاً ، أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولاً بليغاً " ٦٠ - ٦٣ النساء . ورفضهم لحاكمية الله رفض للايمان كما قال تعالى " ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطمنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين ،

(١) من صفته صلى الله عليه وسلم انه يسوق اصحابه . اى يقدمهم ويمشى خلفهم تواضعا ولا يبدع احدا يمشى خلفه .

(٢) تفسير لبن كثير ١٥٩/٨

وانا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ، وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرضى ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون " ٤٨ - ٥٠ النور .
ثم يضع الله ميزاناً دقيقاً في هذه القضية بين المؤمن والمنافق !
فاما المؤمن الصادق فانه ينقاد الى حكم الله ويعرض به ويقول : ~~سلمت~~
واطمعت . (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا ، واولئك هم المفلحون " ٥١ النور . هذه هي صفة المؤمن ، اما المنافق فصفته الاعراض والاستكبار عن حكم الله .

(٣) من صفاتهم وافعالهم الدنيئة : التخذيل في صف المسلمين ، والتجسس للكفار وكشف عورات المسلمين لهم . قال الله عنهم " الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا ، قل فادبروا عن انفسكم الموت - ان كنتم صادقين " ١٦٨ آل عمران . ولقد أصيب المسلمون في غزوة أحد بالدهشة حين رجع ثلث الجيش بزعامة ابن أبي . وكذلك تمودهم عن غزوة تبوك وغيرها .

وفي موالاتهم للكفار يقول الله في شأنهم " بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيتفتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً " ١٣٨ - ١٣٩ النساء .
واخبرنا سبحانه انهم هم (الذين يترهبون بكم الدوائر فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم تكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ، قاله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ١٤١ النساء .

ولقد فضحتهم سورة التوبة خاصة فقد ورد فيها قوله تعالى " انما يستانك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فسي

ريهم يترددون ، ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انتماعهم
فثبطهم وقيل اقمدا مع القاعد بين ، لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيبالا
ولا وضموا لخالكم بينونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين .
لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله
وهم كارهون ، ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان
جهنم لمحيطه بالكافرين ، ان نصبك حسنة تسوءهم وان تصبك مصيبة يقولوا
قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٤٥ - ٥٠ التوبة ففي هذه
الايات بيان من الله للمؤمنين ان هو لا الصافقين لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خيبالا لانهم جبناء ، مخذلون ، ولا سعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء ،
والفتنة . (١) وقال الله فيهم ايضا (وانا انزلت سورة ان آمنوا بالله
وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولو الطول منهم ، وقالوا ذرنا نكن مع القاعد
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " ٨٦ - ٨٧ التوبة
ولهم مواقف اخرى كثيرة ، ولكنه سبحانه وتعالى حذر المؤمنين منهم وبين
لرسوله صلى الله عليه وسلم انه سبحانه وتعالى لو شاء لآراهم لرسول الله عيانا
ولكنهم يعرغون بلحن القول ، لا ولو تشاء لآريناكمهم فلمعرفتهم بسياهم
ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ، " ٣٠ محمد وسنعرفهم
قليل كيف كان البراء منهم ، وكيف كان هدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم معهم

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ / ١٠٠

ثالثاً : البراء في المعهد المدني

أبي : المفاصلة الثامة بين المسلمين وجميع اعدائهم

لئن كانت التربية في المعهد المكي تمتاز بضبط النفس ، والصبر على
الاذى ، وتبليغ الدعوة واعداد العدة مع حبس دواعي الانطلاق ، وكف
حدة الاقدام : فان التربية في المدينة مبنية على هذه الاسس ولكن فسي
شكل جديد ، حيث انطلق المؤمنون في سبيل الله لاعلاء كلمة الله ،
والضرب على يد اعداء الله بقوة لاتعرف الضعف ، وعزيمة لاتعرف الوهن (١)
من هنا كان الجهاد في سبيل الله هو أبرز سمات هذا المعهد الزاهر ،
وهو أول صورة من صور البراء والمفاصلة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
في المعهد المدني وبعد الهجرة النبوية والجهاد وجه جديد من وجوه
الثبات على العقيدة ، واحتمال المشقات والاذى في سبيل الذود عنها
من الأعداء . (٢)

والحديث عن الجهاد طويل طويل ، وآياته كثيرة وكذلك الأحاديث النبوية
فيه ، وفهم الناس لمقصده مختلف ، خاصة في العصور المتأخرة ، فقد
وجد من المسلمين أناس أصيبوا بالهزيمة النفسية أمام شبهات الكفار والملحد
والمستشرقين والمستغربين على حد سواء . !

ففي الوقت الذي يقول فيه أعداء الله . إن دين الاسلام انتشر بالسيف ،
وجد ممن ينتسبون للعلم والعلماء من يدافع - حسب زعمه - عن الاسلام ؟

(١) انظر : سبيل الدعوة الاسلامية . د . محمد امين المصري

ص ١١٣ ط ١ / سنة ١٤٠٠ هـ دار الارقم بالكويت .

(٢) انظر : منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٢٠ / ٢

على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد . وامر ان يقاتل من نقض عهده ، ولما نزلت سورة "براءة" نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها ، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الاسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان .

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم اليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام .

(١) قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم .

(٢) وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم الى مدتهم .

(٣) وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمره ان يوءجلهم أربعة أشهر فاذا انسلخت قاتلهم . وهي الأشهر الاربعه المذكورة في قوله " فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين " ه التوبة ، فالحرم ها هنا أشهر التسيير أولها يوم الأذان وهو اليوم العاشر من ذي الحجة ، وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك ، وآخرها العاشر من ربيع الآخر . وليست هي الاربعة المذكورة في قوله تعالى " ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم " ٣٦ التوبة . فان تلك : واحد فرد ، وثلاثة سرد . رجب وذي القعدة وذي الحجة والمحرم . ولم يسير المشركين في هذه الاربعة . فان هذا لا يمكن لأنها غير متواليه ، وهو انما أجلهم أربعة اشهر ، ثم أمره بعد انسلاخها ان يقاتلهم ،

فقتل الناقض لعهد ، وأجل من لا عهد له ، أوله عهد مطلق أربعة أشهره
وأمره أن يتم للموفاي بعهد^{عه}ه/الى موته فأسلم هو^{لا} كلهم ، ولم يقيموا على
كفرهم الى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية .

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول " براءة " على ثلاثة أقسام :

محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .

ثم آلت حال أهل العهد والصلح الى الاسلام فصاروا معه قسمين :

محاربين وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الارض معه

ثلاثة أقسام :

مسلم مؤمن به ومسالم آمن وخائف محارب . (١)

وقد ركز القرآن الكريم على أهداف الجهاد في غير ما آية . فمنها قوله

تعالى " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " ٣٨ الانفال .

قال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم : " ويكون الدين كله لله " : لا يكون مع

دينكم كفر . (٢)

وقال تعالى " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين

كله ولو كره المشركون " ٣٣ التوبة .

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر

فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ، الذي

ان مكاهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروفونوها عن

المنكر ولله عاقبة الأمور " ٤٠ - ٤١ الحج .

ان الجهاد في الاسلام : هدفه أن يعبد الله وحده في الأرض ، وأن تهيم

(١) زاد المعاد : ١٥٨/٣ - ١٦٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٩٧/٣ .

شريعته ، ويتحرر الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ومن
تأليه البشر الى الوهية الواحد الأحد (١) ومن هدف الجهاد ايضا
انقاذ المستضعفين في الارض * ومالكم تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً * ٧٥
النساء .

واليك تفصيل صور البراء من كل طائفة ، وكيفية جهاد المسلمين

لهم :

(١) انظر : * فصل الجهاد في سبيل الله في * معالم في الطريق

وطريق الدعوة في ظلال القرآن ١/٢٨٩ .

١ * صور البراءة من المشركين

=====

(١) بعد أن قامت الدولة المسلمة في المدينة ، كان لابد من اجتثاث شجرة الشرك في مكة وغيرها وقد نزلت سورة التوبة بقتل المشركين ، وتفصيل ذلك ورد في تلخيص ابن القيم الذي سبق ذكره . قال تعالى " براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسبحوا في الارض أربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله ، وان الله مخزي الكافرين ، وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب اليم ، الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ، فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ، وان اهدى المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ، كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولازمة يرضوكم بأقوالهم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون ، اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ، لا يرقبون في مؤمن الا ولازمة واولئك هم المعتدون ، فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ، وتفصل الآيات لقوم يعلمون ،

وأن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطمعوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم ينشؤون إلا تقاتلون قوماً فكثروا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة اتخشوهم ؟ قاله الحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم * ١- ١٥ التوبة .

(٢) منعهم من دخول المسجد الحرام قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفت عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم * ٢٨ التوبة . قال ابن كثير : كان نزول هذه الآية سنة تسع . ولهذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ ، وأمره أن ينادى في المشركين ، " أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان " (١) فأتى الله ذلك وحكم به شرعاً وقدره . (٢)

(٣) منع النكاح بالمشركات : ذكر ابن جرير - وهو يتحدث عن صلح الحديبية - أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بايمانهن فإن علمتهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ، لهن حل لهن ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا . ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن ، ولا تمسكوا بهن الكوافر " . ١٠ الممتحنة ، قال فطلق عمر رضي الله عنه

(١) صحيح البخارى : كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة ٨/٣١٧ ح ٤٦٥٥

(٢) تفسير ابن كثير ٧٣/٤

يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، (١)

(٤) منع إقامة المسلم في دار الشرك ، وذلك بعد أن أعز الله دينه وعبادته ، وقامت لهم دولة فحينئذ تحرم الإقامة بدار الشرك خشية على المسلم أن يفتن ، ولكي ينضم إلى جماعة المسلمين فهم اخوته وأولياؤه من دون الناس . قال صلى الله عليه وسلم " انا بؤى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين " قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال : لا تراءى ناراهما " (٢)

(١) تفسير الطبرى ١٠٠/٢٦ وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ٦٩/١

(٢) سنن ابى داود كتاب الجهاد ١٠٥/٣ ح ٢٦٤٥ والترمذى

فى السير ٥/٣٢٩ ح ١٦٠٤ قال الالبانى : هو حديث حسن .

انظر صحيح الجامع الصغير ١٧/٢ ح ١٤٧٤

"ب" البراء من أهل الكتاب

كما سبق أن قلنا : ان الجهاد هو اكبر مظاهر المفاصلة بين المسلمين وجميع اعدائهم - ومنهم أهل الكتاب - فانه لا بد أن نشير الى بعض منازل في مفاصلة أهل الكتاب اضافة الى مبدأ جهادهم .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران التي عنيت بهم كثيراً وكشفت مآلديهم " يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون " ٧٠ - ٧١ " قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعلمون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون " ٩٨ - ٩٩ .

وفي سورة المائدة قوله تعالى " قل يا أهل الكتاب هل تتقون منا الا أن آتانا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن اكرهكم فاسقون ، قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل " ٥٩ - ٦٠ . ففي هذه الآيات وغيرها نجد التقرير لاهل الكتاب والتديد بباطلهم ومخازيهم .

ثم يأتي النص القرآني للرسول صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين من ورائه - بأن يقولوا لاهل الكتاب انهم ليسوا على شيء حتى يقيموا شرع الله ويحكموا كتابه " قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين " ٦٨ التوبة .

وهذه الآية الكريمتمن أعظم ما بين صورة البراء من أهل الكتاب ولقد كان جهاد المصطفى صلى الله عليه وسلم واصحابه لاهل الكتاب - بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير - صورة واضحة بارزة في مفاصلتهم وجهادهم والبراءة منهم . وسيرد الحديث عن اجلائهم عن ارض الجزيرة في الفصل السادس من الباب الثاني .

جـ " البراءة من المنافقين "

مفصلة المنافقين والبراءة منهم تؤخذ من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم " (وأما سيرته صلى الله عليه وسلم في المنافقين : فانه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، وبكل سرائرهم الى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة . وأمره أن يعرض عنهم ، ويفلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ، ونهاه أن يصلح عليهم وان يقوم على قبورهم ، واخبر أنه ان استغفر لهم فلن يغفر الله لهم) (١)

وقد قلنا فيما سبق : ان من أبرز صفات المنافقين موالاة الكفار ، وكراهية دين الله والتخذييل في صف المسلمين .

وقد كان من حكمة الله ورحمته : تمييز المؤمن من المنافق ، ليصرف الخبيث من الطيب والابتلاء سنة من سنن الله في اظهار هذا التمييز وبيانه . ولذلك قال المولى عز وجل : " ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين " ١ - ٣ العنكبوت . وقال سبحانه " ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب " ١٧٩ آل عمران . " وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبان الله وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو تعلم قاتلا لا تبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان . يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون " ١٦٦ - ١٦٧ آل عمران . وغيرها من الآيات في هذا الشأن .

(١) زاد المعاد ١٦١/٣ .

ولما بين الله حالهم للمؤمنين : كان لا بد من مفاصلتهم والبراءة منهم
ونزل في ذلك آيات توضح صور هذه المفاصلة وذلك البراءة ومنها :
(١) الاعراض عنهم والغلظة عليهم : وقد جاء ذلك مقروناً بجهاد الكفار ،
فالغلظة على المنافق من انواع الجهاد قال تعالى " يا أيها النبي جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير " ٧٣ التوبة
(وهي نفس آية ٩ من سورة التحريم) وسورة التوبة فضحتهم فضحاً عظيماً
حتى انها سميت بـ " الفاضحة " ففي صحيح البخارى عن سميد بن جبيرة
قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة ،
ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم حتى ظنوا انها لم تبق أحداً منهم الا ذكروا
فيها " (١) وفي سورة النساء " ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك يومئذ
طائفة منهم غير الذى نقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلاً " ٨١ النساء .

(٢) النهي عن الصلاة عليهم أو القيام على قبورهم " ولا تصل على احد منهم
مات أبداً ولا تقم على قبره ، انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون "
٨٤ التوبة .

قال ابن كثير : وهذا حكم عام فى كل من عرف نفاقه ، وان كان سبب نزول
الاية فى عبدالله بن ابى سلول رأس المنافقين . (٢)

(٣) لإيقبل لهم عذر فى التخلف عن الجهاد ، ومن ثم عدم قبولهم فيسب
مرة اخرى . قال تعالى " فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنسوك
للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاطبوا معى عدواً انكم رضيتم بالقعود

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير ، تفسير سورة الحشر ج ٨ / ٢٢٩ ح ٤٨٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٢ / ٤ .

أول مرة فاقمدا مع الخالفين " ٨٣ التوبة .

" يمتدرون اليكم اذا رجعتم اليهم ، قل لا يُعتذروا لن نؤمن لكم قد بنانا
الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم ترون الى عالم الفيض
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم ، انهم رجس وماؤاهم جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون ، يحلفون لكم لتعرضوا عنهم فان تعرضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين " ٩٤ - ٩٦ التوبة .

(٤) عدم الاستغفار لهم . قال تعالى : " استغفر لهم أولا تستغفر
لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا
بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين " ٨٠ التوبة " وانا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون ،
سوا عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله
لا يهدي القوم الفاسقين " ٥ - ٦ المنافقون .

د * قطع ~~الكل~~ ^{الموازية} مع الاقارب اذا كانوا محادين لله ورسوله

قلنا في العهد المكي : ان المؤمن كان مأموراً بصلة والديمه الكافرين واحسان معاشرتهما وليس في ذلك ولا على أية حال . ولكن الصورة تختطف في العهد المدني بعد قيام الدولة المسلمة وجهاد الكفار والمشركين . ولذلك جاءت المفاصلة التامة بين المؤمن وقريبه المشرك أو الكافر أو المنافق ونزل في ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابنائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون * ٢٢ المجادلة .

قال أهل العلم في سبب نزولها : انها نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح حين قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للبارزة يوم بدر ، وفي عمر حيث قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، وفي علي وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (١) . وقيل غير ذلك من الاسباب (٢) .

وعنه الاية الكريمة تشير الى المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، وأن المؤمن يجب عليه ان ينحاز الى الصف المسلم متجرداً من كل عائق أو جاذب ومرتبطاً في الصروة الواحدة بالحبل الواحد . ومن ثم فلانسب

(١) اسباب النزول للواحد ص ٢٣٦ وتفسير ابن كثير ٧٩/٨

(٢) للاستزادة في هذا انظر احكام القرآن للقرطبي ٣٠٧/١٧

ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ولا عصبية ولا قومية ، وإنما هي العقيدة من وقف تحت رايتها فهو من حزب الله ، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة (١) وفي سورة التوبة يأتي الأمر الأخير بالمفصلة . وبيان أن القضية قضية إيمان أو كفر وليست قضية جزئية أو ثانوية . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها : أحب اليكم من ^{الله}رسوله وجهاد في سبيل فترصبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " ٢٣ - ٢٤ .

فهذا أمر من الله بمباينة الكفار وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهي عن موالاتهم إذا أختاروا الكفر على الإيمان . (٢)

قال القرطبي : وهذه الآية - آية ٢٣ - باقية الحكم إلى يوم القيامة ففي قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين (٣) . وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون " : هو مشرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك . (٤)

وهذا السياق القرآني الكريم قد استعرض ألوان الوشائج والمطامع والذائذ ليضعها في كفة ، ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى .

الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة (وشيعة الدم والنسب والقرابة والزواج) والأموال والتجارة (مطمع الفطرة ورغبتها) والمساكن المريحة

(١) انظر الظلال ٦/٣٥١٤ - ٣٥١٦

(٢) ابن كثير ٦٦/٤

(٣) ، (٤) أحكام القرآن للقرطبي ٨/٩٤

(متاع الحياة ولذتها) . . كل ذلك في كفة وفي الكفة الاخرى : حب الله
ورسوله وحب الجهاد في سبيله ، الجهاد بكل مقتضياته وبكل مشقاته وما يتبعه
من نصب وتعبد ، ومن تضيق وحرمان وألم وتضحية وجراح واستشهاد . الجهاد
المجرد من الصيت والذكر والظهور والمباهاة والفخر والرياء .

وما يكلف الله المؤمنين هذا التكليف الا وهو يعلم أن فطرتهم تطيق ذلك ،
فالله لا يكلف نفساً الا وسعها ، وانه لمن رحمة الله بعبادة أن أودع فطرتهم
هذه الطاقة المالية من التجرد والاحتمال ، وأودع فيها الشعور بلذة
الاتصال بالله التي لا تعدلها اى لذة . لذه الاستملاء على الضمف
والهبوط والخلاص من ثقله اللحم والدم ، والارتفاع الى الافق المشرق الوضي . (١)

خلاصة القول : ان الولا والبراء قد اكتملت صورته الحقيقية في العهد المدني
حيث قامت دولة الاسلام الراشدة واصبحت الاخوة اليمانية فيها على الرابطة
الحقيقية ، ودوتها تهدر كل رابطة . وشرع الجهاد للكفار والمشركين ومن
نقض عهده . وجاء الامر بالفلظة على المنافقين والاعراض عنهم . وحصلت
البراءة من كل قريب لا يؤمن بالله ورسوله ولا يدين دين الحق ولو كان أباً أو اخاً
او زوجاً أو غير ذلك مما تعارف الناس عليه انه رابطة !

ولقد تميز المسلمون واستملوا بدينهم ، وافتخروا بالانتماء الى هذا
الدين الذي هو سبب تلك العزة والرفعة والسيادة حين فتحوا الشرق والغرب .
ولن يكون للمسلمين اليوم أو غداً عز الا بالرجوع الى هذه العقيدة عن حسب
وولا . لدين الله والمؤمنين به ، وبراء من كل كافر ومشرک ومنافق ولو كان أقرب
قريب .

الفصل الثامن

صور الموالاة ومظاهرها

ان جمع صور الموالاة ومظاهرها في فصل مستقل أمر له اعميته في مثل هذا البحث ، وذلك حتى يكون القارىء علي بينة من الامور والقضايا التي تمسها قضية الولاة والبراءة .

وأحب أن أتبه في هذا المقام على اني لم ألزم نفسي بتتبع الحكم الشرعي في كل صورة من هذه الصور ، وذلك لصعوبة القطع بالحكم في كل قضية ، ثم انه - كما يقول أهل العلم - قد يكون القول أو الفعل كفرًا ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما يبين العبد وبين ربه ، ولكن على العموم فهذه الصور تتفاوت من كون فاعلها خارجا من الملة كمن يحب الكفار لأجل كفرهم الى الكبيرة من الكبائر كتمظيئهم والثناء عليهم (١) . ذلك ان (مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة كذهاب الاسلام بالكلية ، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات) (٢) وقد حرص الدين الاسلامي على اخلاص العبادة (وهي الطاعة والانقياد) لله وحده والبرائة من كل متبع أو مرغوب ، أو مرهوب ، وهملق القلب بربه في الخشية والخوف والرجاء والعون والنصرة ، لأن " كل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه : خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك . . ومعلوم أن أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من

(١) الدرر السنية ٢٠١/٧ والهدية الثمينة للشيخ عبد الله السليمان

بن حديد ص ١٧٠

(٢) الرسائل المقيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص ٤٣

استمباد البدن فان من أستعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي اذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطعنا ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص . أما اذا كان القلب متينا لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض (١) وخطورة موالاة الكفار تبرز في أن ضررها على المسلمين كافة أعظم من خطر من يكفر في نفسه فقط . ذلك ان (الاضرار بالمسلمين يزيد على تغيير الاعتقاد ، ويفعله من يظن سلامة الاعتقاد ، وهو كاذب عند الله ورسوله والمؤمنين في هذه الداعوى والظن ، ومعلوم أن المفسدة في هذا اعظم من المفسدة في مجرد تغيير الاعتقاد) (٢) واليك تفاصيل صور موالاة الكفار : (٣)

(١) الرضى بكفر الكافرين وعدم تفكيرهم أو الشك في كفرهم او تصحيح أى مذهب من مذاهيب الكافرة . (٤)

ويتضح هذا الامر في كونه ولا للكفار : انه يسرهم ويسعدهم ان يسروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهيبهم الاحادية . وقد سبق في التمهيد القول بأن من معتقد أهل السنة والجماعة : أن حب القلب وبغضه ~~القلب وبغضه~~ يجب أن يكون كاملا . فالذى يحب الكافر لأجل كفره هو كافر باجماع الأمة ، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (أما حب القلب وبغضه ، واراادته وكراحتته فينبغى أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك الا بنقص الايمان . وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته . وهتى كانت ارادة القلب وكراحتة كاملة

(١) رسالة العبودية لابن تيمية ٩٥ - ٩٦

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية : ٣٧١

(٣) من احسن من كتب في ذلك الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وابناؤه ،

لذالك لمعظم هذه الصور منقوله من كتبه .

(٤) انظر نواقض الاسلام في مجموعة التوحيد ص ٢٩ مطبعة الحكومة بحكة

تامة وفصل العبد معها بحسب قدرته فانه يعطى ثواب الفاعل الكامل ، ذلك ان من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكرهيته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله ، وهذا من نسوغ الهوى ، فان اتبعه الانسان فقد اتبع هواه * ومن أضل ممن اتبع حسواه بغير هدى من الله * ، هـ القصص (١)

اذن ؛ فالمحبة والرضى أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كفرة اذا كانا للكفار أو إيماناً اذا كانا للمؤمنين .

(٢) التولي العام واتخاذهم أعواناً وانصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال : * لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير * ٢٨ آل عمران .

قال ابن جرير في تفسيرها : من اتخذ الكفار أعواناً وانصاراً وظهوراً يواليهم علي دينهم ويظاهروهم على المسلمين فليس من الله في شيء . أي قد برى من الله وبرى الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر . إلا ان تتقوا منهم تقاة * أي الا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضروا العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل . (٢)

وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين *
٥١ المائدة .

(١) شذرات البلاتين ١ / ٣٥٤ * رسالة الامر بالمعروف

(٢) تفسير الطبري ٣ / ٢٢٨

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها : من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فانه منهم . أى من أهل دينهم وملتهم ، فانه لا يتولسى متول احدا الا وهويه وبدينه وما هو عليه راض ، واذا رضية ورضي دينه فقد عادى ماخالفة وسخطه وصار حكمه حكمه . (١)

وقال ابن حزم : صح أن قول الله تعالى " ومن يتولهم منكم فانه منهم " انما هو على ظاهره ؛ بأنه كافر من جملة الكفار ، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين . (٢)

وقال ابن تيمية : اخبر الله في هذه الاية : ان متولهم هو منهم وقال سبحانه " ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء " ٨١ المائدة فدل على أن الايمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الايمان واتخاذهم أولياء في القلب . فالقرآن يصدق ببعضه بعضا . (٣)

وقال ابن القيم : (ان الله قد حكم ولا أحسن من حكمه انه من تولى اليهود والنصارى ، فهو منهم " ومن يتولهم منكم فانه منهم " فاذا كان اولياؤهم منهم ينص القرآن كان لهم حكمهم . وهذا عام ، خص منه من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الاسلام فانه لا يقر ولا تقبل منه الجزية . بل اما الاسلام أو السيف . لانه مرتد بالنص والاجماع ، ولا يصح الحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الاسلام بمن دخل فيه من المسلمين لان من دان بدينهم من الكفار بعد نزول الفرقان فقد انتقل من دين

(١) المصدر السابق ٢٧٧/٦ .

(٢) المحلى : ٣٥ / ٤٣ تحقيق حسن زيدان سنة ١٣٩٢ هـ الناشر

مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

(٣) انظر الايمان لابن تيمية ص ١٤ طبع المكتب الاسلامي .

الى دين خير منه - وان كانا جميعا باطلين - وأما المسلم فانه قد انتقل
من دين الحق الى الدين الباطل بعد اقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما
انتقل اليه فلا يقر على ذلك (١)

على ان الاستاذ سيد قطب رحمه الله يخالف ما ذهب اليه الطبرى ، وغيره ،
فهو - أى سيد - يستبعد أن يكون بين المسلمين ، من يميل الى اتباع
اليهود والنصارى فى الدين ، وانما المراد ولا التحالف والتناصر بقول رحمه
الله ؛ ان الولاية الضمى عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم ، ولا
تتعلق بمعنى اتباعهم فى دينهم ، فبيد جداً أن يكون بين المسلمين
من يميل الى اتباع اليهود والنصارى فى الدين . انما هو ولا التحالف
والتناصر الذى كان يلتبس على المسلمين امره ، فيحسبون أنه جائز لهم
بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والاواصر ، ومن قيام هذا الولا بينهم
وبين جماعات من اليهود قبل الاسلام وفي اوائل العهد بقيام الاسلام فسبى
المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بابطاله ، يوضح ذلك قوله تعالى
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يؤجروا ،
بشأن المسلمين الذين لم يهاجروا / ٧٢ الانفال ، أى ولاية التناصر
والتعاون وليس ولاية الدين .

١١ نقول هذا : لان البعض يخلط بين دعوة الاسلام الى السماحة فى معاملة
أهل الكتاب والبر بهم فى المجتمع المسلم الذى يعيشون فيه وبين السولا
الذى لا يكون الا لله ورسوله ولجماعة المسلمة . ناسين ما يقره القرآن
الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعضهم فى حرب الجماعة المسلمة ،
وان هذا شأن ثابت لهم ، وأنهم لن يرضوا عن المسلم الا أن يترك دينه
ويتبع دينهم .

وسداجة أية سداجة ، وغفلة أية غفلة : أن نعلن أن لنا وياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين !! أمام الكفار والملحدين . فهم مع الكفار والملحدين اذا كانت الممركة ضد المسلمين .

فلندع من يخفل عن هذا ولتكن واعين للتوجيه القرآني * " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء " الآية . (١)
والذي يظهر لي أنه لا تعارض بين القولين لان كليهما صحيح سواء اجتمعا في فرد أو أمة أو احدهما .

(٣) الايمان ببعض ما هم عليه من الكفر ، أو التحاكم اليهم دون كتاب الله كما قال تعالى * " ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً " ٥١ النساء ونظير هذه الآية قوله تعالى عن بعض أهل الكتاب * " ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نذ قريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تلتوا الشياطين على ملك سليمان " ١٠١ - ١٠٢ البقرة . فأخبر سبحانه أنهم أتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين الى الاسلام . فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار : من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل واتباعهم في شئ * ممن هم بمخالفتهم ومخالفتهم الباطل : كان لهم الذم والعقاب والتفاق بحسب ذلك (٢) وان هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين الى الاسلام اليوم ، فالإيمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في (العالم الاسلامي) لا ينكسره

(١) في ظلال القرآن : بتصرف ٢ / ٩٠٩ - ٩١٠ وسير مزيداً من التفصيل

ان شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان !

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية ٢٨ / ١٩٩ - ٢٠١ .

الا مكابر جاهل . فهاهي البيخوات من ابناؤنا ومن ينطقون بالسنتنا
قد آمنت بالشيوعية مذهباً تارة وبلاشتراكيه تارة اخرى ، وبالديمقراطية
نظاماً ، فأخذت هذه المبادئ الكافرة وطبقتها في بلاد المسلمين ملزمة
الناس بعبادتها (في الطاعة والانقياد والتنفيذ) ونصبت العداء لكل
مسلم موحد ينادي في الامة ان تعود الى كتاب الله وسنة رسوله .
وقد تحدثت في التمهيد عن هذه القضية ما لا يجعلني أعيد الحديث
فيها هنا .

وهذه الردة الجديدة سيأتي تفصيل الحديث عنها ان شاء الله - فسي
الباب الاخير .

وان لم ايمان ببعض ما هم عليه : مسألة فصل الدين عن الدولة
وانه لا علاقة للاسلام بالسياسة فهذه أيضاً فرع للقضية السابقة لم توجد
الا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم . ولكن أين الاسلام
دين العدل ودين السياسة ودين القوة من (هرطقة) رجال الكنيسة
حتى يأتي بعض الاقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الاسلام قناعاً
مزيفاً فيقول: الاسلام علاقة بين العبد وربيه والسياسة لها رجالها ولها
قضاياها التي لاتمت الى الدين بصلة . (١)

(٤) مودتهم ومحبتهم . وقد نهى الله عنها بقوله * لاتجد قوماً يؤمنون

(١) هناك كتاب أجلاء أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم الاساتذة :

د . محمد البهي والاستان سيد قطب والاستان محمد قطبي
والاستان المودودي وغيرهم . ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه
بمراجعة رسالة العلمانية وآثارها في العالم الاسلامي للاخ الاستان
سفر بن عبدالرحمن (رسالة ماجستير بالدراسات العليا بمكة) .

بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . . الآية ٢٢ المجادلة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أخبر الله أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله فإن نفس الإيمان ينال في موادته كما ينفي أهد الضدين الأخرى ، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالة أعداء الله . فإذا كان الرجل يوالى أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب) . (١)

وقال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق " ١ المتحفة .

(٥) الركون اليهم : قال تعالى " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون " ١١٣ هود . قال القرطبي : الركون حقيقته : الاستناد والاعتماد ، والسكون الي الشيء والرضا به (٢) وقال قتادة معنى الآية : لا تودوهم ولا تطيعوهم . وقال ابن جريج : لا تميلوا اليهم .

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمصاحي من أهل البدع وغيرهم فان صحبتهم كفر أو معصية . ان الصحبة لا تكون الا عن مودة كما قيل . عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى (٣) وقال تعالى " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً إذا لا أدراك ضعف الحياة وضعف المطات ثم لا تجد لك علينا نصيراً " ٧٤ - ٧٥ الاسراء . وإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره (٤)

١٤٤٤ هـ : ١٣٣٠ م (٣) + (٣) تفسير القرطبي : ١٠٨ / ٩ وانظر البغوي والخازن ٢٥٦ / ٣

اما البين فهو لطرفة بن العبد .
(٤) مجموعة التوحيد ص ١١٧ ط دار الفكر .

(٦) مداهنتهم ومداراتهم ومجاالتهم على حساب الدين قال تعالى "ودوا لوندهن فيدهنون" ٩ القلم ، والمداهنة والمجاملة والمدارة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من (المسلمين) اليوم وهذه نتيجة طبيعية للانهمزام الداخلي في نفوسهم . حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم ، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة ! فأخذوا ينسخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار ولثلا يصمم أولئك الكفرة بأنهم "متعصبون" ! وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ان يقول في مثل هؤلاء (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم "

قلنا : يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن " (١) ان المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتتموحتى تؤدى بالعيان بالله - الى الخروج من الملة . وهذه احدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه ، وليعلم انه هو الأعز وهو الأقوى اذا امثل منهج الله وتقيده بشرعه ومقتضيات عقيدته . ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين : أن من اكبر العوامل في انتصارهم - بعد الايمان بالله ورسوله - الاعتزاز بالاسلام . يصدق ذلك هو يديه قول الفاروق رضى الله عنه : (انا كنا أنزل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب المعز بغير ما اعزنا الله به أنزلنا الله) (٢)

-
- (١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام ١٣/٣٠٠ ح ٧٣٢٠ وصحيح مسلم كتاب العلم ٤/٢٠٥٤ ح ٢٦٦٩ واللفظ للبخارى .
- (٢) اخرجه الحاكم في مستدركه ١/٦٢ كتاب الايمان . وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

(٧) اتخذهم بطانة من دون المؤمنين قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلئونكم بغيراً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، واطتخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون " ١١٨ آل عمران . نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يهاضمون المنافقين ، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقاة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مبايحتهم خوف الفتنة منهم عليهم (١) وبطانة الرجل : خاصته تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم . وقد بين الله العلة في النهي عن مبايحتهم فقال " لا يآلئونكم بغيراً " اي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد ، ثم انهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك .

والعداوة التي ظهرت منهم : شتم المسلمين والوقاحة فيهم ، وقيل : باطلاع المشركين على أسرار المسلمين . (٢) وفي سذن ابي داود قوله صلى الله عليه وسلم : " الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " (٣)

(٨) طاعتهم فيما يأمرن ويشيرون به (٤) . قال تعالى ناهياً عن ذلك : " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً " ٢٨ الكهف وقال " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين " ١٤٩ آل عمران .

(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٦٨
(٣) انظر تفسير البغوى ١/٤٠٩ وابن كثير ٢/٨٩ .
(٣) كتاب الادب ٥/١٦٨ ح ٤٨٣٣ وفي المسند ١٦/١٧٨ ح ٨٣٩٨ ط : شاكر
والترمذى فى الزهد ٧/١١١ ح ٢٣٧٩ وقال هذا حديث حسن غريب
(٤) مجموعة التوحيد ص ١١٧ .

وقال * وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادنكم وان اطعتوهم انكم لمشركون * (٢١ الانعام . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية * وان اطعتوهم انكم لمشركون * حيث علمتم عن امر الله لكم وشرعه الى قول غيره * فقد علمت عليه غيره فهذا هو الشرك ، كما قال تعالى * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا بسا من دون الله * (٣١ التوبة) (١)

(٩) مجالستهم ، والدخول عليهم ^{وقت الصلاة} قال تعالى في النهي عن مجالستهم * وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم * (١٤٠ النساء .

قال ابن جرير : قوله * انكم اذا مثلهم * اي انكم اذا جالستم من يكفرو بآيات الله ويستهزئ بها وانتم تسمعون فانتم مثلهم ان لم تقوموا عنهم فسي تلك الحال ، لانكم قد عصيت الله بجلوسكم معهم وانتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها .

وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم . (٢)

وفي الحديث * لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم * (٣)

(١) . توليتهم امراً من امور المسلمين . كالمارة والكتابة وغيرها (التولية شقيقة

(١) التفسير ٣/٣٢٢ .

(٢) تفسير الطبري ٥/٣٣٠ .

(٣) رواه احمد ح ٨٠/٨٠ ح ٥٧٠٥ بتحقيق احمد شاكر وصحيح البخاري

كتاب المفازي ٨/١٢٥ ح ٤٤١٩ وصحيح مسلم كتاب الزهد ٤/٢٢٨٥

الولاية لذلك فتوليتهم نوعاً من توليتهم . وقد حكم الله أن من تولاهم فانه منهم ، ولا يتم الايمان الا بالبراءة منهم . والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً ،

١١ والولاية اعزاز فلا تجتمع هي وانزال الكفر أبداً ، والولاية صلة فلا تجتمع معادة الكافر أبداً ، ولو علم طوك الاسلام بخيانه النصراني الكتاب مثلاً ، ومكاثبتهم الفرنج اعداء الاسلام ، وتمنيهم ان يستأصلوا الاسلام وأهله ، وسعيهم في ذلك بجهد الامكان : لثناهم ذلك عن تقريبيهم وتقليدهم الاعمال . فهذا الملك (الصالح) كان في دولته نصراني يسمى : محاضر الدولة أبا الفضل بن دغان ولم يكن في المباشرين أمكن منه . كان قنادة في عين الاسلام ، وبثرة في وجه الدين . بلغ من أمره انه وقع لرجل نصراني اسلم برده الى دين النصرانية وخروجه من الملة الاسلامية ، ولم يزل يكتب الفرنج بأخبار المسلمين ، وأعمالهم ، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها .

وكان مجلسه معموراً برسول الفرنج والنصارى وهم مكرمون لديه ، وحوادثهم مقضية عنده ، ويحمل لهم الادرار والضيافات ، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم ، وانا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام . وحدث أن اجتمع في مجلس "الصالح" أكابر الناس من الكتاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر افضى به الى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والاخلاق . وقال من جطة كلامه : ان النصارى لا يعرفون الحساب ، ولا يدرونه على الحقيقة لانهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . والله تعالى يقول : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة " ٧٣ المائدة . وأول أمانتهم وعقد دينهم : " بسم الآب والابن وروح القدس اله واحد " فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له :

كيف يدري الحساب من جعل الواحد رب الورى تعالى ثلاثة

ثم قال : كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده ، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة ؟ وكما استخرج ثلاثة دنانير دفع السي السلطان ديناراً واخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قرية وديانة ؟ وانصرف القوم واتفق ان كبت بالنصراني بطنته ، وظهرت خيانتة فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه . (١)

(١١) استئمانهم وقد خونهم الله : قال تعالى " ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأئمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعطمون " ٧٥ آل عمران .

(١٢) الرضى بأفعالهم والتشبه بهم ، والتزيي بزيمهم . (٤٢)

(١٣) البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم واكرامهم وتقريبهم . (٣)

(١٤) معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم ويضرب القرآن لذلك مثالين هما : امرأة

لوط التي كانت رداء لقومها ، حيث كانت على طريقتهم ، راضية بأفعالهم

القبيحة ، قول قومها على ضيوف لوط . وكذلك فعل امرأة نوح . (٤)

(١٥) مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم (٥) وهذه الصورة ظهرت

واضحة في المصوّر الاخيرة فقد رأينا " افراخ المستشرقين " - مثلاً - ينشرون

فضائلهم وأنهم اصحاب المنهج العلمي السديد و . . و . الخ . كذلك

(١) احكام أهل الذمة لابن القيم ٢٤٢ / ١ - ٢٤٤ بتصرف بسيط .

(٢) + (٣) مجموعة التوحيد ص ١١٧ .

(٤) تفسير ابن كثير : ٢١٠ / ٦ وقد سبهم الكريهة عندهما

(٥) مجموعة التوحيد ص ١١٧ ورسائل سعد بن عتيق ص ١٠١

جاء من يشر " فضائل " الغرب أو الشرق مضافاً عليها القاب التقدم والحضارة والرقي ، وواصلاً الاسلام والمنتسبين اليه بالرجعية والجهسود والتأخر عن مسايرة الركب الحضارى والامم المتقدمة

(١٦) تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم مثل : السادة والحكام ومباداتهم بالسلام " وما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذ ألقى أحدهم عدواً لله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه . أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن منزلته عنده على الرأس وهذا الفعل المحرم يخشى على فاعله أن يكون مرتداً عن الاسلام لان هذا من أبلغ الموالاة والمواداة والتعظيم لاعداء الله " (١)

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتان على المؤمن . أما الكافر فله الاهانة والذلة وقد ورد في الحديث الصحيح النهي مباداتهم بالسلام فقال صلى الله عليه وسلم " لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى اضيقه " (٢) وسيأتي تفصيل هذه القضية في الباب الثاني .

(٢٧) السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم (٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله " (٤) وقال (لا تساكنا المشركين ولا تجمعوهم فمن ساكنهم أو جمعهم فليس منا " (٥) وسوف يأتي - بمشيئة الله - في الباب الثاني تفصيل لهذه المسألة اذا كانت

(١) تحفة الاخوان للشيخ حمود التويجري، ص ١٩ الطبعة الاولى / مؤسسة النور بالرياض .

(٢) صحيح مسلم : كتاب السلام ١٧٠٧/٤ ح ٢١٦٧

(٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف - بن الرحمن آل الشيخ ص ٦٤

(٤) ابى داود كتاب الجهاد ٢٢٤/٣ ح ٢٧٨٧ قال الالبانى : حديث حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير ٢٧٩/٦ ح ٦٠٦٢

(٥) الحاكم فى المستدرک ١٤١/٢ وقال صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى

هناك ضرورة لهذه المساكنة .

(١٨) التآمر معهم ، وتنفيذ مخططاتهم والدخول في احلافهم وتنظيماتهم والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم/والقتال في صفهم (١) وهذه الصورة من أخطر ما أبتليت به امتنا في هذا العصر . ذلك ان وجود ما يسمى في المصطلح الحديث (الطابور الخامس) قد افسد اجيال الاممة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشئون الحكم أم في الادب والاخلاق أم في الدين والدنيا معاً . وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنها استاذنا الفاضل الشيخ محمد قطب انه قال حين خرج الاستعمار الانجليزي من مصر : (خرج الانجليز الحمر وبقي الانجليز السمراء) - نعم ان داءنا هم الانجليز السمراء .

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة (دنلوب) في التربية والتعليم ؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة : فرويد وماركس وبيروكايم في اخطارهم الخبيثة ؟ (٢) انهم المستفربون من أبناء هذه الامة الذين حققوا لاعداء الله ما لا يحلمون به . ولكن هيهات لهم فان الله يقول : " ولقد سبقت لكمنا لعبادنا المرسلين . انهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون " ١٧١ - ١٧٣ الصافات .

(١٩) من هرب من دار الاسلام الى دار الحرب بغضاً للمسلمين وهيباً للكافرين . (٣)

(٢٠) من انخرط في الاحزاب العلمانية او الاحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة . (٤)

(١) الايمان . حقيقته . اركانه . نواقضه للدكتور محمد نصيم ياسين ص ١٤٧

(٢) براجع كتاب الاستاذ محمد قطب في التطور والثبات في حياة البشرية

فصل : اليهود الثلاثة ص ٣٥ وكتاب هل نحن مسلمون ص ١٣٣ .

(٣) الردة بين الامس واليوم ص ٣٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٠ .

ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور

قد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح ، ولا يعثرها الله عذراً لهم فيعذرهم من أجلها . لأنها جميعاً من تزيين الشيطان وتسويله ، وحسب الدنيا والطمع في زينتها .

والله سبحانه وتعالى لم يقبل عذراً لأحد في اظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم الا عذراً واحداً هو : الاكراه . قال تعالى " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وان الله لا يهدي القوم الكافرين " ١٠٦ - ١٠٧ النحل وقال سبحانه " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفصل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة " ٢٨ آل عمران . والاكراه لا ينفع احداً فيما يتعلق بالرضى القلبي ، والسيل الباطني الى الكفار لأنه غير مأذون فيه على أية حال لقوله تعالى " وقلبه مطمئن بالايمان " ولأن - الاكراه لا سلطان له على القلوب . فانه لا يعلم ما في القلب الا الله .

فمن والى الكفار بقلبه ومال اليهم فهو كافر على كل حال . فان اظهر موالاته بلسانه او بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار ، وان لم يظهرها بفعله ولا قول وعمل بالاسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو منافق في

الدرك الاسفل من النار . (٢)

(١) المصدر السابق ص ٤٠

(٢) انظر الايمان للدكتور محمد نعيم ياسين من ١٤٧ - ١٤٨

موقف المسلم تجاه هذه المقيدة

الولاية والبراءة هو الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذا المقيدة وهو مفهوم ضخم في حرس المسلم بمقدار ضخامة وعظمة هذه المقيدة . والله سبحانه وتعالى يقول * قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * ٢٥٦ البقرة . والله جل جلاله أراد للمسلم - بل للإنسان - الكرامة في هذه الأرض ولقد كرمنا بني آدم * ٧٠ الاسراء فحين يكون ولاية المسلم لله ولدينه وحزبه المؤمنين فهو بهذا يقدر هذا التكريم حق قدره ، ويعبد الله حق عبادته ، لأنه تخلى بل وعادى كل عبودية تريد انهضاعه لسلطانها من دون الله .

اما حين ينتكس فيعبد غير الله - سواء بالشعائر أم بالشرائع أم بالطاعة والامقياد - فانه بهذا يهبط من تلك المكانة والكرامة الى عبودية أهواه شتى ، وآراء ومذاهب تعزق عليه حياته وتضع عليه آخرته ، فيعيش شقيقا - وان زعم انه سعيد - ذلك أن مقياس السعادة والشقاوة ، في التصور الاسلامي نابع من عبادة الله وحده وتحكيم شرعه والخلوص له . او عكس ذلك : عبادة الطاغوت والهوى والشهوة وطك هي دركات الشقاء التي يعيش فيها كل من أعرض عن هدى الله ودينه .

وموالاته غير المؤمنين - فضلا عن انه ردة وعسيان لله سبحانه - هي مصدر التذبذب والفصام النكد في حياة فاعلها ، لأنه لا الى هو ولا الى هو . وفي هذا العصر الذي اختلطت فيه المفاهيم ، واضطربت فيه الآراء ، وغلط

الحق بالمبطل بل أقصي الحق ورفعت شارة الباطل : اين يقف المسلم ؟

اين يكون ولا وهه ولمن يكون وهو يورى الكفر الصريح معلنا ومنقذ في حياة

الناس ثم يوضع لذلك لافتة بسيطة * أن هذا لا يتعارض مع الاسلام ؟

وطال لذلك من يدعي بالاشتراكية أو الديمقراطية أو العلمانية أو القومية أو الشيوعية ثم يقال : هذا لا يعارض الإسلام لأنه علاقة بين العبد وربّه ، لمن يكون ولاه المسلم وهو يوى شرع الله مبعداً من الأرض ومحارباً ، ثم يستورد القانون البشرى ليكون هو دستور الناس في حياتهم ومنهج سيرتهم ويقال : ان هذا لا يعارض الإسلام لان التشريع الاسلامي - سواء قيلت بلسان الحال أو المقال - لم يعد سايراً لركب الحضارة والتطور ؟ ! لمن يكون ولاه المسلم وهو يوى المنافقين يتمسحون باسم الإسلام وهم فسي الحقيقة أخطر على الدين من أعدائه الصرحاء ؟

هذه اسئلة وأسئلة غيرها كثيرة . . والاجابة عليها تكمن في الحقيقة التاليه : انه لا يمكن للمسلم أن يكون ولاؤه لله ولدينه وللمؤمنين خالصاً الا اذا كان مدركاً لحقيقة التوحيد " لا اله الا الله محمد رسول الله " ممثلاً لها ، مدركاً مدلولها ومعناها عارفاً بمقتضياتها ولوازمها .

ثم علمه بالجاهلية والشرك والكفر والردة والنفاق حتى لا يكون مصيدة

للوقوع في هذا الشر . لانه لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية .

ثم علمه بحقيقة الولاة والبراءة في المفهوم الاسلامي الصحيح وهو : أن الولاة

والحب والنصرة للمؤمنين من اي جنس كانوا وبأى لغة تطقوا وفي أى مكان

حلوا ، لأنه لا يؤمن بما تؤمن به الجاهليات من لوثة الدم وبتن العرق -

وخسة التراب .

فهو مع اخوانه المؤمنين بقلبه ولسانه وماله ودمه ، يألم لألمهم ويفرح لفرحهم

ويغضه وبراءة لجميع اعداء الله سواء كانوا كفاراً أصليين أم مرتدين أم منافقين

وموقفه منهم : الجهاد بالنفس والمال والقلم واللسان وكل ما أوتي من طاقة

وعلى حسب جهده وطاقته .

ان هذه الحقيقة هي التي - اذا ادركها المسلم وعمل بها يستطيع

بها أن يحدد موقفه من كل صورة من الصور السابقة وغيرها ، فيعرف من يوالي ومن يعادي ، وماذا يريد الاسلام منه وماذا يواد للاسلام من أعدائه .

وهو بهذا يكون مسلماً واعياً عزيزاً بعزة الله غير واهن ولا هزين لأن الله معه وهو القائل " ولا تهتوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلن ان كنتم مؤمنين " (١)

١٣٩ آل عمران ومن كان الله معه فلن تضيره ان تجتمع البشرية بكاملها لان تضره فهي بمجموعها لا تستطيع ذلك الا اذا كان الله يريد له ذلك والا فهي اعجز من ان تتال منه شيئاً بسيطاً بغير قدر الله وارادته .

(١) هذا مراجعة كتاب " هل نحن مسلمون " ص ٤٧

الفصل التاسع

الرد على الخوارج والرافضة في عقيدة الولاية والبسراء

قد يقول بعض من لا يدرك حقيقة العقيدة ، ولا يعي مفاهيمها لا الله إلا الله . : ان مصطلح الولاية والبراء من مصطلحات الخوارج والشيعة فكيف يدرج في معتقد السلف الذين هم أهل السنة والجماعة ؟
والجواب على هذا الاعتراض : من عدة وجوه :-

(١) نحن مطالبون بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهما عقيدتنا وشريعتنا ونظام حياتنا ، وأحسب أني قد ذكرت عبادا كبيرا جدا من عشرات - بل مئات - الايات في التوراة والبراء وعشرات الاحاديث النبوية الصحيحة في هذه القضية .

(٢) من منطلق عقيدة سلفنا الصالح نقول : لسنا مستعدين للتنازل عن أي امر من امور ديننا الصغيرة - فضلا عن امور العقيدة الكبرى لاجل ان ناعفأ اخذ بعض مصطلحاتنا وبنى عليها مفاهيم البدعية المنكرة .

(٣) هل يستطيع مسلم يومئذ من بكتاب الله وسنة رسوله ان يقول ان ابراهيم عليه السلام - وهو القدوة الاولى في الولاية والبراء - كما ذكرنا - استخدم مصطلحات الخوارج والرافضة الذين جاءوا بعده بالاف السنين ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

(٤) ان قضية الولاية والبراء كمبدأ عقدي : مبدأ صحيح لاخبار عليه ورد به كتاب الله وسنة نبي الله ولكن الخطأ كل الخطأ والبدعة

وغيرهم . كل هؤلاء خوارج ، فساق مخالفون للسنة ، خارجون من
الامة ، أهل بدعة وضلالة (١) ، وفرقة الخوارج قد انحرفت في مفهوم
الولاة والبراء فهي لا تتولى الا من يدين بنحلثها القائمة على تكفير وتكسب
الذنوب وخاصة الكبائر ، وموقفهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنهم يتولون أبا بكر وعمر ويتبرؤون من عثمان وعلى . (٢)
وخلاصة القول في الرد عليهم : ان اهل السنة والجماعة يتبرأون منهم
بسبب بدعتهم الضالة . ولا يتولونهم في شيء .
اما الولاة والبراء بمفهومه الصحيح فهو ما عليه اهل السنة والجماعة ،
ولا يضيرهم ان الخوارج قالوا بقضيه الولاة والبراء . لان العبرة ليست في
العناوين والشعارات بل في المفاهيم والتصورات التي توافي الكتاب والسنة
أو تناقضها ومن هنا فان الولاة الخوارج وبراءهم الذي يعتقدونه : انما هو
بحسب اهوائهم وليس متفقا مع نصوص الكتاب والسنة .

(١) كتاب السنة للإمام احمد ص ٨٣ - ٨٥ تصحيح اسماعيل الانصاري

(بتصرف بسيط) .

(٢) التنبيه والرد للملطي ص ٥٣ .

معتقد الرافضة في الولاة والبراءة

وأهل الرافضة : فهم الذين يتبرؤن من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسبونهم وينتقصونهم ، ويكفرون الائمة الاربعة : علي ، وعمارة ، والمقداد ، وسلمان . (١)

وقال الاشعري : انما سماوا رافضة لرفضهم امامة ابي بكر وعمر . (٢)
ولئن كان الخوارج قد انحرفوا في الامور التي ذكرناها اتفا عنهم : فان الرافضة ايضا لا يقلون جرماً عنهم حيث وقفوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً مشيناً ، ولعبت بهم الأيدي اليهودية الممثلة فسي شخصية عبد الله بن سبا التي اخذت تنصب خيالات من الحب الكاذب لآل البيت وتبرأ من بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحاد بهم مع أن آل البيت في حل مما ألصقه بهم هؤلاء الرافضة .

قال ابن كثير : ان الطائفة المخذلة - الرافضة - يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياناً بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الايمان بالقرآن ، ان يسبون من رضى الله عنهم . (٣) أما أهل السنة فانهم يترضون عن رضى الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالى الله ويعادون من يعادى الله . وهم متبعون لا مبتدعون . (٤)

(١) السنة للإمام احمد ص ٨٢

(٢) مقالات الاسلاميين ١/٨٩

(٣) يشير الى قوله تعالى " والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) . . . التوبة

(٤) التفسير ١٤٢/٤ .

والرافضة تقول : لا ولا الا ببراء : اى لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ

من أبي بكر وعمر . رضى الله عنهما . ! (١)

ترى أى ثقة أو أمانة أو دين تبقى في أناس يطعنون في أفضل شخصيتين

اسلاميتين في الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ولكن لاغرابة في ذلك من زمرة قضائجا في الكتب مسطورة فقد كانت الرافضة

على طول تاريخها حرباً على أهل الاسلام ، يوالون اعداء المسلمين ممن

تتار وصليبين وغيرهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الرافضة توالسي

من حارب أهل السنة والجماعة ، فهم يوالون التتار ويوالون النصارى .

وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة ، حتى صارت الرافضة

تحمل الى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم ، وغلما ن السلطان ، وغيرهم

من الجند والصبيان . واذا انتصر المسلمون على التتار اقاموا المآتم

والحزن ، واذا انتصر التتار على المسلمين اقاموا الفرح والسرور . وهم

الذين اشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد .

ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضى هو الذى خامر على المسلمين

وكاتب التتار ، حتى ادخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة ، ونهسى

الناس عن قتالهم .

وقد عرف العارفون بالاسلام : أن الرافضة تميل مع اعداء الدين ، ولما

كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهودياً ، ومرة نصرانياً أرمينياً ، وقويت

النصارى بسبب ذلك النصرانى الأرمينى ، ونوا كنائس كثيرة بأرض مصر

في دولة أولئك الرافضة المنافقين وكانوا ينادون بين القصرين : من

لعن وسب قله دينار وارب .

وفى أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحه نور الدين
وصلاح الدين (١) وأخفادهم فى الوقت الحاضر النصرانية الكافرة التى
ابتلى بها المسلمون ، ذلك أن كفرها أشبه من كفر اليهود والنصارى
كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره . وهم الذين كانوا اداة طيعة
للاستعمار الفرنسى فى غزوه للبلاد الشام .

ويعد : فان أهل السنة والجماعة هم الذين يحبون أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا يفرطون فى حب أحد منهم ، ويتولونهم جميعاً
ولا يتبذرون من أحد منهم ، ويبغضون من يبغضهم ويرون أن حبهم دين
وايمان واحسان وبغضهم كفر ونفاق وطفيان . (٢)
وهم برآء من الخوارج والرافضة ومن كل الفرق الضالة .

(١) الفتاوى ج ٢٨ / ٦٣٦ - ٦٣٧

(٢) انظر الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث

الولاء والبراء من مقتضيات الحب والبغض

الفصل الاول

الحب في الله والبغض في الله مع بيان حق المسلم على المسلم

والولاء والبراء من مقتضيات الحب والبغض .

والبغض في الله سبق القول في أول البحث : أن الولاء أصله الحب ، والبراء أصله : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال الجوارح ما يؤيد صدق ذلك الحب أو يكذبه وما يؤيد ذلك البراءة أو ما يبطل زعمه .

والحب عنصر أصيل في التصور الاسلامي دليل ذلك قول المولى جل وعلا : " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سنجعل لهم الرحمن وداً " ٩٦ مريم وقوله " ان ربي رحيم ودود " ٩٠ هود وقوله " وهو الغفور الودود " ١٤ البروج وقوله " والذين آمنوا اشد حبا لله " ١٦٥ البقرة وقوله " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " ٣١ آل عمران .

ذلك أن نضاعة التصور الاسلامي في الفصل بين حقيقة اللوهمية وحقيقة العبودية لا تجفف ذلك النداء الحبيب بين الله وعباده ، فهناك علاقة الرحمة والعدل والود وليست كما يدعى أعداء الله : أن العلاقة بين العبد وربّه علاقة جافة وعنيفة ، علاقة قهر وقسر ، وعذاب وعقاب ، وجفوة وانقطاع ! " كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا " ه الكهف وحب الله لعبد من عبده أمر لا يقدر على ادراك قيمته الا من عرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله ، والا من وجد ايقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك الا من ذاقها ، وانا كان
حب الله لعبد من عبده أمراً هائلاً عظيماً ، وفضلاً غامراً جزيلاً ، فلان
انعام الله على العبد بهدايته لربه ، وتمريغه هذا المذاق الجميل هو
انعام هائل عظيم ، (١)

ومن نعمة الله على عباده المؤمنين أن جعل المحبة فيه هي الوشيجة العظمى
بينهم ، وهي المورد العذب الذي ينهلون منه جميعاً ، ثم جعل سبحانه
وجود المحبة للقوم ولما يلحق بهم المحب سبيلاً للحاق بهم يؤيد ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم " المرء مع من أحب " (٢) وقال عبدالله بن مسعود
رضي الله عنه : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول
الله : كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم " المرء مع من أحب " (٣)

وعن أنس أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة يارسول الله ؟
قال ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا هوم ولا صدقة
ولكني أحب الله ورسوله قال " أنت مع من أحببت " (٤)

على أنه من الواجب ذكره هنا : أن هذا الحب ليس مجرد أماني باطلية
أو أحلام تناقضها الافعال القبيحة . أو " هرطقة " رقعاء الصوفية
أو . . . الخ وانما هو حب بالقلب وعمل بالجوارح قال الله تعالى
" ليس يأمنكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزيه ولا يجد له من

(١) بتصرف . الظلال ٢/٩١٨ - ٩١٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الادب باب علامة الحب فى الله . ١٠/٥٥٢ ح ٦١٦٨

(٣) صحيح البخارى كتاب الادب باب علامة الحب فى الله . ١٠/٥٥٢ ح

٦١٦٩ وصحيح مسلم كتاب البر ٤/٢٠٣٤ ح ٢٦٤٠

(٤) صحيح البخارى كتاب الادب باب علامة الحب فى الله . ١٠/٥٥٢ ح

٦١٧١ وصحيح مسلم كتاب البر ٤/٢٠٣٢ ح ٢٦٣٩

دون الله ولياً ولا نصيراً * ١٢٣ النساء وقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * ٣١ آل عمران .
قال الحسن : لا تفتربقولك ؛ المرء مع من أحب / قوماً أتبع آثارهم فزولسن
تلحق الابرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتتقدي بسنتهم ،
وتسي وتصبح وأنت على منهاجهم ، حريصاً أن تكون منهم ، وتسلك سبيلهم
وتأخذ طريقهم وان كنت مقصراً في العمل فان ملاك الأمر أن تكون علي
استقامة ، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء الردية يحبون أنبياءهم
وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلوكوا غير طريقتهم
فصار مورد النار؟ (١)

والمحبة تنقسم الى أربعة أقسام : (٢)

- (١) محبة شركية : وأصحابها هم الذين قال الله فيهم : * ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله .
ان يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . ان تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقسال
الذين اتبعوا لو أن لناكرة ففتبراً منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم
حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار * ١٦٥ - ١٦٧ البقرة .
- (٢) حب الباطل وأهله ، وبنفس الحق وأهله وهذه صفة الصافقين .
- (٣) محبة طبيعية : وهي محبة المال والولد اذا لم تشغل عن طاعة الله

(١) الحكم الجديدة بالاذاعة من قول النبي * بعثت بالسيف بين يدي الساعة

لابن رجب ص ١٣٣ تحقيق محمد حامد الفقي .

(٢) ذكر ذلك الامام محمد بن عبد الوهاب : مجموعة التوحيد ص ١٧ ط دار الفكر

ولا تعين على محارم الله فهي مباحة .

(٤) حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك : وهي أوثق عرى الإيمان ،
وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

ومادامت المحبة في الله هي أوثق عرى الإيمان كما ورد في الحديث
أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (١) فان الطريق
الموصل إليها والتي مولاة الله عز وجل هو : اتباع شرعه الذي جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم ، وبغير هذا الطريق تكون دعوى الولاية كاذبة كما
كان المشركون يتقربون الى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه كما
قال الله عنهم " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " ٣ الزمر . وكما
حكى عن اليهود والنصارى انهم قالوا : نحن ابناء الله وأحباؤه " ١٨ المائدة
مع اصرارهم على تكذيب رسوله وارتكاب ^{مناهي} ~~مناهي~~ وترك فرائضه . (٢)
ومتى امتلاء القلب بمحبة الله تعالى ^{محا} ذلك من القلب كل ما سواه ،
ولم يبق للعبير شيء من نفسه وهواه وارادته الا لما يريد منه مولاة ، فانها
تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير الله ، ولا كراهة لغير
ما يكره الله ، ومن كان كذلك لم تتبعه جوارحه الا بطاعة الله ، وانما
تتشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله ، أو كراهة ما يحبه الله وذلك ينشأ من
تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته . (٣)

ويصور شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عظمة محبة الله ولذتها فيقول :

" ان في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل ^{جنة} الآخرة " . وقال بعضهم :

(١) سبق تخريجه في التمهيد : ٤١

(٢) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣١٦ .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ص ٣٢٠

وما أطيب ما نبي؟ قال:

مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وماذا قوا أطيب ما فيها . قالوا: محبة الله ، والانس به ، والشوق الى لقاءه ، والاقبال عليه ، والاعراض عما سواه . (١)

أما البغض في الله فهو أمر ملازم للحب في الله لا ينفصل عنه ، لان - المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض محبوبه ، ويوالي من يوالي محبوبه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضاه ، ويبغض لبغضه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهى عما نهى عنه فهو موافق له في ذلك .

ومعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى " ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص " (٢) ٤ الصف .

وقد وصف النبي سبحانه وتعالى عباده الذين يحبهم ويحبونه فقال " أنذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " ٥٤ المائدة أي انهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين ويخفف الجراح ، يعاملون الكافرين بالعزة والشدّة عليهم ، والغلظة لهم . فهم يحبون من أحبه الله فيعاملونه بالمحبة والرأفة واللين ، ويبغضون أعداء الله الذين يعادونه فيعاملونهم بالشدّة والغلظة كما قال تعالى " أشداء على الكفار رحماء بينهم " ٢٩ الفتح " يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (٣) ٥٤ المائدة .

واعداء الله لهم البغض ولهم من المؤمنين الجهاد " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويغزتهم ^{ويغزتهم} ويضربكم عليهم " ١٤ التوبة .

(١) مدارج السالكين ١/٥٤٤

(٢) انظر التحفة العراقية ٦٤ - ٦٥

(٣) انظر جامع العلوم والحكم ص ٣١٧

حق المسلم على المسلم

قلنا : ان المحبة في الله هي الوشيجة العظمى التي التقى عليها المؤمنون ، ويلتقون عليها الى أن يرث الله الارض ومن عليها . وعلى هذه الوشيجة تنبني حقوق المسلم على المسلم ، وهي كثيرة جدا: النصره ، والمودة ، والزيارة ، والاكرام ، والسلام ، وحماية العرض ، والمواساة وغير ذلك مما هو منصوص عليه في الكتاب والسنة .

ولكن الحقوق التي اتحدث عنها هي ما يتعلق بموضوع البحث . ومن هذه الحقوق :

(١) المودة : وهذه للمؤمنين من بعضهم البعض ، فليس للكافر ولا للفاسق ولا للمبتدع فيها نصيب ، ومن هذه المودة حب المسلم لاختيه المسلم ما يجب لنفسه كما قال صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن من أحدكم حتى يحب لاختيه ما يحب لنفسه " متفق عليه . (١)

(٢) النصره : وهذه واجب اخوى ايماني علي كل مسلم لاختيه المسلم من أى جنس كان وفي أى ارض حل ، وبأى لون كان ، ينصره بنفسه ويماله وبالذبح عن عرضه ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . قال صلى الله عليه وسلم " ما من امرى يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه الاخذ له الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرى ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهدك فيه من حرمة الا نصره الله في موطن يحب نصرته " (٢)

(١) صحيح البخارى كتاب الايمان ١ / ٥٧ ح ١٣ وصحيح مسلم كتاب الايمان ١ / ٦٧ ح ٤٥

(٢) ابو داود في كتاب الادب ٥ / ١٩٧ ح ٨٨٤ والسند ٤ / ٣٠ قال

الالباني : حديث حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير ٥ / ١٦٠ ح

وقد امتدح سبحانه وتمالى الانصار رضوان الله عليهم فى نصرتهم لاخوانهم المهاجرين فقال سبحانه " والذين آووا ونصروا أولئك المؤمنون حقا " ٧٤ الانفال . ومن الأوامر النبوية فى شأن النصرة قوله صلى الله عليه وسلم " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " (١) ونصرته اذا كان مظلوما ظاهرة اما نصرته اذا كان ظالما فبرده عن الظلم ومنعه عنه . وقال صلى الله عليه وسلم " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله عز وجل فى حاجته ، / ^{وسد فرج عن مسلم كريمة} فوج الله عنه بها كريمة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " متفق عليه (٢) .

والمسلم داخل المجتمع الاسلامى ما هو الا عضو عامل كأي عضو من أعضاء الجسد فاذا حصل لهذا العضو مرض أو اختل عمله تأثر لذلك بقية الجسد ، ويصور ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله الكريم . " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (٣) وقوله " ترى المؤمنى فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٤) وقال ايضا : المؤمن من مائة أخيه ، والمؤمن من أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه " (٥) .

ولو أردنا تتبع كل النصوص فى هذا الشأن لطال الحديث أكثر من هذا . وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وخير القرون بعده والذين سلكوا سبيله واهتدوا بهديه على مدار التاريخ الاسلامى : تؤكد

-
- (١) صحيح البخارى : كتاب المظالم ٩٨/٥ ح ٢٤٤٣
(٢) صحيح البخارى كتاب المظالم ج ٩٧/٥ ح ٢٤٤٢ ومسلم كتاب البر والصلة ١٩٩٦/٤ ح ٢٥٨٠
(٣) + (٤) سبق تخريجهما . ١٨٢ (١٧٨٠)
(٥) الادب المفرد للبخارى ص ٧٠ وأبى داود فى كتاب الادب ٢١٧/٥ ح ٤٩١٨ والحديث حسن . انظر صحيح الجامع الصغير ٦/٦ ح

هذه الحقيقة الهامة .

ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه مثالا فريدا فسي
تاريخ التلاحم والتواصل والتناصر سواء على مستوى الأمة أم الأفراد ، حيث
حققوا الموالاة والمحاداة على أوضح صورهما .

ولن ينتصر المسلمون الا اذا تحقق فيهم - بعد صفاء العقيدة ووضوحها -
حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه ، وشعوره بالام أخيه كشعوره بما يصيبه
هو ، وحب نصرته كما يحب ان ينصره هو ، والله ينصر من ينصره ان الله
لقوى عزيز .

الفصل الثاني : الهجرة وتفاصيل أحكامها

هذا الفصل له أهمية خاصة ، ذلك أن الهجرة مرتبطة بالولاة والبسراء ، بل هي من أهم تكاليفهما . والحديث فيها متشعب لذلك سبها قسمه إلى الفقرات التالية :

أ - الإقامة في دار الكفر وحكم ذلك .

ب - التقية والاكراه

ج - الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام

أ - الإقامة في دار الكفر

لا بد لنا أولاً أن نعرف دار الكفر ودار الاسلام . فقد قال أهل العلم رحمهم الله :

ان دار الكفر : هي التي يحكمها الكفار ، وتجري فيها أحكام الكفر ، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي على نوعين : (١) بلاد كفار حربيين (٢) بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة . فتصير اذا كانت الاحكام للكفار : دار كفر ، ولو كان بها كثير من المسلمين (١) .

ودار الاسلام : هي التي يحكمها المسلمون ، وتجري فيها الاحكام الاسلامية ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً . (٢)

ولما كان الاسلام هو دين العزة ودين القوة ؛ فانه قد أبى على معتقيه أن يستذلوا للكفار ، ولذلك جاء المنع من الإقامة بين ظهرائي غير المسلمين ،

(١) الفتاوى السعدية للشيخ عبدالرحمن بن سعدى ١ / ٩٢ ط الاولى سنة

١٣٨٨ هـ دار الحياة بدمشق .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٩٢

لان اقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستغناء والاستكانة ، وقد تدعوه الى المحاسنة ثم المتابعة . والاسلام يورد للمسلم ان يمثل " قوة وعزة " وأن يكون متبوعاً لا تابعاً ، وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه الا سلطان الله لذلك حرم الاسلام على المسلم ان يقيم في بلد لا سلطان للاسلام فيه الا اذا استطاع ان يظهر اسلامه ويعمل طبقاً لعقيدته دون ان يخشى الفتنة على نفسه ، والا فعليه ان يهجر هذا البلد الى بلد يعلو فيه سلطان الاسلام فان لم يفعل فالاسلام بهي منه مادام قادراً على الهجرة وفي ذلك كله يقول المولى سبحانه " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جنهم وساءت مصيراً . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً " ٩٧ - ٩٩ النساء وقال صلى الله عليه وسلم " أنا بى من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين " قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : لا تراى ناراهما " (١) وقال " من جامع المشرك وسكن معه فابته مثله " (٢) ويقول " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " (٣) (٤)

وقال الحسن بن صالح : من أقام فى أرض العدو - وان انتحل الاسلام-

(١) سبق تخريجه : ٢٠٩

(٢) سبق تخريجه : ٤٢

(٣) المسند ٩٩/٤ وأبى داود كتاب الجهاد ٣/٧٢٧ ح ٢٤٧٩ والدارمي

كتاب السير ٢/٢٣٩ وقال الالباني : صحيح . انظر صحيح الجامع

الصفير ٦/١٨٦ ح ٧٣٤٦٠

(٤) انظر : الاسلام واطرافنا القانونية للاستاذ عبد القادر عود ص ٨١

وهو يقدر على التحويل الى المسلمين فأحكامه أحكام المشركين ، وإذا أسلم
الحربي فأقام ببلادهم وهو يقدر على الخروج فليس بمسلم ، يحكم فيه بما يحكم
على أهل الحرب في ماله ونفسه ، (١)

وقال الحسن : إذا لحق الرجل بدار الحرب ولم يوتد عن الاسلام فهو
مرتد بتركه لدار الاسلام . (٢)

وقال ابن حزم : من لحق بدار الكفر والحرب، مختاراً محارباً لمن يليه من
المسلمين : فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها : من وجوب
القتل عليه متى قدر عليه ، ومن اباحه ماله وانفساخ نكاحه وغير ذلك .
" وأما من فر الى أرض الحرب لظلم خافه ، ولم يحارب المسلمين ، ولا أعان
عليهم ، ولم يجد في المسلمين من يجبره ، فهذا لا شيء عليه ، لأنه فظطر
مكروه .

" أما من كان محارباً للمسلمين معيناً للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر .
" وان كان إنما يقيم هنالك لدنيا يصيبها وهو كالذي لهم ، وهو قادر على
اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم فطبيعد عن الكفر ، وما نرى له عذراً ،
ونسأل الله العافيه .

" وأما من سكن في أرض القرامطة مختاراً فكافر بلاشك لأنهم معلنون بالكفر
وترك الاسلام . وأما من سكن في بلد تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة
الى الكفر فهو ليس بكافر لأن اسم الاسلام هو الظاهر هنالك على كل حال
من التوحيد والاقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين
غير الاسلام واقامة الصلاة وصيام رمضان وسائر الشرائع التي هي الاسلام
والايمان .

" وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا بريء من كل مسلم أقام بين أظهر
المشركين " يبين ما قلناه ، وأنه عليه السلام ، انما عنى بذلك دار الحرب،

والا فقد استعمل عليه السلام عماله على خير وهم كلهم يهود .
*) ولو أن كافر مجاهداً غلب على دار من دور الاسلام ، وأقر المسلمين بها
على حالهم الا انه هو المالك لها ، المنفرد بنفسه في ضبطها وهو معلن
بدين غير الاسلام : لكفر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه وان ادعى
أنه مسلم - لما ذكرنا * (١)

وللشيخ حمد بن عتيق (٢) رحمه الله رسالة قيمة حول هذا الموضوع (٣)
فقد قسم المقيمين في بلاد الحرب الى ثلاثة أقسام .

أحدهم : ان يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم ، فيرضى ما هم عليه
من الدين أو يمدحه ، أو يرضيهم بعيب المسلمين ، أو يعاونهم على
المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه : فهذا كافر عدو لله ولرسوله لقوله
تعالى " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل
ذلك فليس من الله في شيء " ٢٨ آل عمران قال ابن جرير : قد بسوى

(١) المحلي لابن حزم : ١٣٩ / ١٣ - ١٤٠

(٢) هو الشيخ المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق ولد سنة ١٢٢٢ هـ
بالزلفي وحفظ القرآن ، وكانت له همة وعلو نفس سمت به الى معالي
الامور . تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب
كتاب فتح المجيد ولازمه . ولازم ايضاً غيره من العلماء . ووجد
واجتهد حتى صار من كبار العلماء . عين قاضياً في الخرج ثم الافلاج
ومن مؤلفاته إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد . والنجاة والفكاك
والدفاع عن أهل السنة والاتباع والفرق المبين بين السلف والابن
سبعين وغير ذلك وتوفي سنة ١٣٠١ هـ عن عمر يناهز السبعين
ورثاه تلميذه سليمان بن سحمان بقصيده منها :

يمر علينا ان نرى اليوم مثله لحل عويص المشكلات البوار

انظر ترجمته في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ج ١ / ٢٢٩

(٣) اسمها : الدفاع عن أهل السنة والاتباع : نشرها حفيده اسماعيل

بن سعد بن عتيق بدون تاريخ .

*) هكذا بالاصل والذي يظهر لي ان السواب : مجاهرا لان الكافر
لا يسمى مجاهداً .

من الله وبرىء الله منه لا ارتداده عن دينه ودخوله في الكفر . وقال تعالى
" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض
ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ٥١ المائدة وقال صلى الله عليه وسلم
" من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله " (١)

وصح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال : من بنى بأرض المشركين
فكسح نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم
يوم القيامة . (٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وظاهر هذا انه جعله كافرا بمشاركتهم فسي
مجموع هذه الامور . وقال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :
لما ذكر الانواع التي يكفر بها الرجل : قال النوع الرابع : من سلم من
هذا كله ولكن أهل بلده يصرون على عداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وهو
يعتذر أن ترك وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد
بماله ونفسه فهذا أيضا كافر ، فإنه لو يأمرونه بتزوج امرأه أبيه ولا يمكنه
ترك ذلك الا بمخالفتهم فعل . وموافقته لهم مع الجهاد معهم بنفسه
وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا
ايضا كافر وهو ممن قال الله فيهم " ستجدون آخرين أن يأمنوكم ويأمنوا
قومهم ، كلما ردا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يمتزلوكم ويلقوا اليكم
السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم وأولئك هم جملنا لكم
جملنا عليهم سلطانا مبينا " (٣) ٩١ النساء .

(١) الدفاع لابن عتيق ١٠ - ١٢ والحديث سبق تخريجه . ٢٤

(٢) قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٠ اسناده صحيح .

(٣) الدفاع ١ - ١٤

القسم الثاني : ان يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ، ولا يعينهم على المسلمين بثفس ولا مال ولا لسان ، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه ، فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس ، ولكن يقولون انه قد عصي الله ورسوله بترك الهجرة ، وان كان مع ذلك يبغضهم في الباطن لقول الله تعالى " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض ، قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا " ٩٧ النساء .

قال ابن كثير : " ظالمي أنفسهم " اي بترك الهجرة ، ثم قال : فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهري المشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من اقامة الدين فهو مرتكب حراماً بالاجماع وينص هذه الآية . (١)

قلت : وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ان ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سوا المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يذسب فيقتل فأنزل الله هذه الآية " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم (٢) وقد سد الله باب الاعزاز الواهية في قوله تعالى " قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترغتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " ٢٤ التوبة . وما من أحد يترك الهجرة الا وهو يعتذر بشيء من هذه الثمانية وقد سد

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣٤٣/٢ . حواله ضاع للشيخ . ١٣

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير ٢٦٢/٨ ح ٤٥٩٦ .

الله على الناس باب الاعتذار بها وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يحصل محبتها عذراً فكيف يغيرها من البلدان؟ (١)

القسم الثالث : من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم وهو نوعان :

(١) ان يكون مظهراً دينه فيتبرأ منهم وما هم عليه ، ويصرح لهم ببراءته منهم وانهم ليسوا على حق ، بل انهم على باطل وهذا هو اظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة كما قال تعالى " قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد " الى آخر السورة . فأمره ان يخاطبهم بأنهم كافرون ، وأنه لا يعبد معبوداتهم ، وأنهم بريئون من عبادة الله أي انهم على الشرك وليسوا على التوحيد ، وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه ويرى من دينهم الذي هم عليه كما قال تعالى " قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين " ١٠٤ - ١٠٥ يونس فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة .

وليس المراد باظهار الدين : أن يترك الانسان يصلي ولا يقال له أعبد الأوثان ! فان اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ولا يكرهون الناس على أن يعبدوا الأوثان ؟ بل المقصود : أن اظهار الدين هو : التصريح للكفار بالعداوة كما احتج خالد بن الوليد على مجاعة (٢) بأنه (١) الدفاع لابن عتيق ص ١٣-١٤ وانظر: بيان النجا قوالفكاك/ايضا من ٧٠-٧٢

(٢) هو مجاعة بن سوار بن سلمى الحنفي اليمامي . كان من رؤساء بني حنيفة وكان ممن اسر يوم اليمامة . وكان بليفاً حكيماً . ومن حكمه انه قال لابي بكر الصديق : اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يقاتل به ، والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور

سكت ولم يظهر البراءة كما أظهرها (١) ثمامة والبشكري . والقصة معروفة في السير ، فهالم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة ^{منهم} فمن دينهم لم يكن اظهار الدين حاصلًا . (٢)

(٢) ان يقيم عندهم مستضعفاً وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال : " الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً " ٩٨ النساء وهذا الاستثناء بعد ما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن " ما واهم جهنم وساوس مصيروا " ٩٧ النساء فاستثنى من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلاً . قال ابن كثير : لا يقدر على

(١) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة الحنفي أبو أمانة اليمامي ، حديثه في البخاري حين أسر ثم أسلم . قال ابن اسحاق ان ثمامة مثبت على اسلامه لما ارتد أهل اليمامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين الاصابة ٣٠٣ / ١

(٢) الدفاع ص ١٦ والقصة المذكورة هنا أوردها المؤلف في كتابه " النجاة والفكك " حيث قال : لما سار خالد الى اليمامة لقتال المرتدين بميث قبله ما عتي فارس ، وقال من أصبتم من الناس فخذوه فأخذوا " مجاعة " في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه فلما وصلوا الى خالد قال له : يا خالد : لقد علمت أنني قدمت على رسول الله صلي الله عليه وسلم في حياته فبايعته على الاسلام وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان بك كاذباً قد خرج فينا فان الله يقول : " ولا تزر وازرة وزر اخرى " فقال خالد :

يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وانت فميت تكلم ؟ فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم بالبشكري . فان ^{عن أهل اليمامة - وقد بلغت سيرتي - إقراراً له وبرضاء مجامعاً به من أهل البيت عزراً} تكلمت قلت : أخاف قومي . فهل أعمدت الي أو بعثت الي رسولاً ؟ فقال : ان رأيت يا بن المضيرو ان تعفون هذا كله ؟ فقال خالد : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك . ١ هـ

التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق . (١)
وقال تعالى " وما لكم لا تقاؤون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال
والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها
واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً " ٢٥ النساء .
فذكر في الآية الاولى : حالهم وهو العجز عن الخروج وعدم دلالة
الطريق ،

وذكر في الآية الثانية : مقالهم وهو أنهم يسألون الله أن يخرجهم من بلاد
الشرك الظالم أهلها وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصرًا ينصرهم ، فمن كانت
تلك حالة وهذا مقالة " فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم ، وكان الله عفواً
غفورا " (٢) ٩٩ النساء

وقد ذكر البغوي : أن الأسير المسلم عند الكفار اذا استطاع الخلاص والانقلاط
منهم لم يحل له المقام بينهم ، فان حلفوه أنهم ان خلوه لا يخرج فحلف
فخلوه ، وجب عليه الخروج ويمينه يمين مكره لا كفارة عليه فيها ، وان حلف
استطابة لنفوسهم من غير أن يهلفوه فعليه الخروج الى دار الاسلام ويلزمه
كفارة اليمين . (٣)

أما حكم السفر الى بلاد الكفار الحربية لأجل التجارة ففي ذلك تفصيل : فان
كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالي المشركين جازله ذلك فقد سافر بمحض
الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره الى بلدان المشركين

(١) ابن كثير ٢ / ٣٤٣

(٢) الدفاع ص ١٦ وما ذكره الشيخ حمد هنا موافق تماماً لأجابة الشيخين
حسين وعبدالله ابني محمد بن عبد الوهاب . من سئلا في هذا الموضوع
انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجديه ١ / ٣٩ ، ولو طرقت الاولي

سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بمصر .

(٣) شرح السنة للبغوي : ١٠ / ٢٤٦

لاجل التجارة ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد فسي
سنده (١) وغيره .

وان كان لا يقدر على اظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر اليه
ديارهم كما نص على ذلك العلماء وعليه تحمل الاحاديث التي تدل على النهي
عن ذلك . ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد ، وفسخ
عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسببا الى اسقاط ذلك لم يجزه . (٢)
وبعد هذه النصوص الكثيرة الصريحة علينا ان ندرك مدى الهوة التي وصل
اليها " المسلمون " اليوم ، ومدى موالاتهم لاعداء الله وإقامة بارضهم
وابتعاث ابنائهم الى ديارهم لتحضير الشهادات العليا في الشريعة واللغة
العربية !

انها مهزلة مبكية ووصمة عار سيسجلها التاريخ : ان يذهب ابنا المسلمين
لاخذ الشهادات في العلوم الشرعية واللغة العربية من بلاد الكفار !
وقد كتب علماء أفاضل في خطورة هذه المسألة ، وبينوا مخاطر الابتعاث ،
وأهداف الكفار من غسل أدمغة ابنا المسلمين ومسخهم من اسلامهم ،
فلتراجع في مظانها . (٣)

(١) هكذا في النص الذي في الجامع الفريد ولكنني بحثت عنه في السند
فلم أجده .

(٢) الجامع الفريد ص ٣٨٢ ط الثانية .

(٣) من هو "الكتاب : الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتبه
القيمة "الاتجاهات الوطنية " و "الاسلام والحضارة العربية" و
حصوننا مهددة من داخلها " وهناك بحث قيم للشيخ محمد لطفي
الصباغ بعنوان "الابتعاث ومخاطره " نشره المكتب الاسلامي
فلتراجع امثال هذه المؤلفات بخصوص ما ذكرنا .

ب - التقية والاكسراه

هنا سالتان هامتان يجب توضيحهما حتى لا تختلط الفاهيم والقضايا . وهما :

(١) مسألة اظهار العداوة .

(٢) مسألة وجود العداوة .

فالا ولى يعذر فيها مع الخوف والمجز لقله تعالى " الا ان تتقوا منهم تقاة " ٢٨ آل عمران . والثانيه لا بد منها ، لأنها تدخل فسي الكفر بالطاغوت ومعلوم ان بين الكفر بالطاغوت وبين حب الله ورسوله تلازما كليا لا ينفك عن المؤمن .

فمن عصي الله بترك اظهار العداوة فهو عاص لله . فاذا كان أصل العداوة في قلبه فلم يحكم امثاله من العصاة ، فاذا انضاف الى ذلك ترك الهجرة فله نصيب من قوله تعالى " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم " الايه ، لكنه لا يكفر ، لأن الايه فيها الوعيد لا التكمير ، وأما الذي لا يوجد في قلبه شيء من العداوة للكفار فهذا هو الامر العظيم ، والذنب الجسيم ، وأي خير يبقى مع عدم عداوة المشركين ؟ (١)

والتقية ليست هي الأصل في السلوك انما هي رخصة رخصها الله لعباده في موقف له ظروفه وشروطه التي سنتحدث عنها الان .

على أنه معلوم أن التقية عند الشيعة دين يقيمون حياتهم عليه ولست بمسدود الرد عليهم لأن الاشارة اليهم بهذا تفنى عن كثير من العبارات . انما الذي يعنيني ما عليه سلف الأمة .

(١) انظر الرسائل المفيدة للشيخ عبداللطيف آل الشيخ ص ٣٢١

تعريف التقيه :

عرفها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما روى عنه

أنه قال : التقاة : التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان . (١)

وقال ابو العالية : التقية باللسان وليس بالعمل . (٢)

وقال ابن حجر العسقلاني : التقية الحذر من اظهار ما في النفس من معتقد

وغيره للغير . (٣)

وقال الاستاذ سيد قطب : التقية : تقية اللسان : لإولاء القلب ، ولإولاء

ولاء العمل وليس من التقية المرخص بها أن تقوم المودة بين المؤمن وبين

الكافر ، كما أنه ليس من التقية أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة

من الصور باسم التقية فط يجوز هذا الخداع على الله . (٤)

متى تكون التقية ؟

قال تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم

الله نفسه والى الله المصير " ٢٨ آل عمران .

قال البغوي : نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومبايعتهم

إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمنون في قوم كفار يخافهم

فيداربهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحصل

دماً حراماً أو مالاً حراماً ، أو يظهر الكفار على عفة المسلمين والتقية

(١) + (٢) تفسير الطبري : ٢٢٨ / ٣ ، ٢٢٩ ،

(٣) فتح الباري : ٣١٤ / ١٢

(٤) انظر الظلال : ٣٨٦ / ١

لا تكون الا مع خوف القتل وسلامة النية قال تعالى " الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمن " ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله اجر عظيم . (١)
وقال ابن القيم : معلوم أن الثقة ليست بموالة ، ولكن لما نهاهم عن موالة
الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ، ومجاهرتهم بالمداون فسي
كل حال الا اذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية وليست التقية موالة لهم (٢)
(ولان باب الثقة باب يمكن أن ينفذ منه الشيطان بسهولة يزين للضعفاء
ومرضى القلوب ان يركنوا الى أعداء الله ^{قال} بمدحها مباشرة : " ويحذركم الله
نفسه والى الله المصير " يحذركم في الدنيا ان تتخذوا هذا الباب تكاة ،
وتستسهلوا هذه الكبيرة - وهي موالة أعداء الله - ويحذركم أن اليه المصير
فيجازيكم على ما فعلتم في الدنيا ، فلا تحسبوا ان ترتكبوا هذه الكبيرة فسي
الرضى - مخادعين انفسكم او مخادعين الناس - ثم تتجوا من عذاب الله
في الآخرة . (٣)

(١) تفسير البغوى ٣٣٦/١ وانظر احكام القرآن للجصاص ٢٨٩/٤

(٢) بدائع القوائد ٦٩/٣

(٣) دراسات قرآنية ٣٢٦ - ٣٢٧

الأكبر

قال تعالى " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين " ١٠٦ - ١٠٧ النحل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت الآية - الاولى - في عمار بن ياسر ، وذلك ان المشركين اخذوه وأباه واه سمية وصهبيا وبلالا وخبابا وسالمًا . فأما سمية فانها ربطت بين يميني ووجي ، قبلها بحرية فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين قتلوا في الاسلام وأما عمار فانه اعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عماراً كفر ، فقال : " كلا : ان عماراً ملئ ايماناً من قرنه الى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه " (١) فأتي عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال : " ان عادوا لئنك فعد لهم بما قلت " (٢) فأنزل الله هذه الآية . (٣)

(١) هذا اللفظ ضعيف وانما اللفظ الصحيح هو ما رواه الحاكم في مستدرکه ٣/٣٩٢ - ٣٩٣ وكذلك النسائي في كتاب الايمان ١١١/٨ هكذا : (ملئ ايماناً الى مشا شه) وهو حديث صحيح كما قال الالباني . انظر صحيح الجامع الصغير ٥/٢١١ ح

٥٧٦٤ وسلسلة الاحاديث الصحيحة ٢/٦٦٦ ح ٨٠٧ .
(٢) حديث مرسل ورجاله ثقات . انظر فتح الباري ١٢/٣١٢ .
(٣) اسباب النزول للواحدى ١٦٢ وانظر تفسير الطبرى ١٤/١٨٢

وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٥

قال الطبري في معنى الآية : من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختراره واثره على الايمان ، وباح به طائعا : فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . (١)

وسبب ذلك : انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فاقدموا على ما اقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا . (٢)

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٥ .

شروط الاكراه

قال ابن حجر : شروط الاكراه أربعة :

(١) ان يكون فاعله قادراً على ايقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

(٢) ان يغلب على ظنه انه اذا امتنع أوقع به ذلك .

(٣) ان يكون ما هدد به فورياً ، فلو قال : ان لم تفعل كذا ضربتك فداً ، لا يعد مكرهاً . ويستثنى ما اذا ذكر زمناً قريباً جداً ، أو جرت العادة بأنّه لا يخلف .

(٤) ان لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره .

ولا فرق بين الاكراه على القول والفعل عند الجمهور ، ويستثنى من الفعل

ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حق . (١)

قال الخازن : قال العلماء : يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له ان

يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بمذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل

والضرب الشديد ، والايالات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه . (٢)

واجمعوا أيضاً : على أن من اكراه على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة

تصريحاً ، بل يأتي بالمعاريض وما يوهم أنه كفر ، فلو اكراه على التصريح

بياح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان ، غير معتقد ما يقوله من

كلمة الكفر ، ولو صبر حتى قتل كان أفضل لفعل ياسر وسمية وصهر بلال علي

المذاب . (٣)

(١) فتح الباري ٣١١/١٢ - ٣١٢ .

(٢)، (٣) تفسير الخازن : ١١٧/٤ .

لقد كان بلال رضى الله عنه تفعل به الافاعيل حتى انهم ليضعفون الصخرة
العظيمة على صدره فى شدة الحر ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ويقول :
أحد . واحد . ويقول - والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها . (١)
وكذلك حبيب بن زيد الانصارى (٢) لما قال له مسيلمة الكذاب : أشهد
أن محمداً رسول الله ؟

قال : نعم . فيقول أشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع فلم
يزل يقطعه ارباً ارباً وهو ثابت على ذلك . (٣)

وكما فعل الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي : (٤) فانه لما أسرته
الروم جاءوا به الى ملكهم فقال له : تنصر وأنا أشرك في طكي وأزوجك
ابنتي ، فقال له : لو أعطيتني جميع ماتلك وجميع ماتلكا لعرب على
ان أترجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت . فقال : انا أقطك قال : أنت
وذاك ، فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو
يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فانزل ، ثم أمر بقدره ، وفي
رواية ببقرة من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظرو ،

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤

(٢) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الانصارى أخو عبدالله بن زيد نكوه
ابن اسحاق فيمن شهد العقبة من الانصار وقال هو الذي أخذ مسيلمة فقتله . قال ابن سعد شهد حبيب أحداً والخندق والمشاهد
الاصابة ٣٠٧/١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .

(٤) هو عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشي السهمي
وامه آمنه بنت حرثان من بنى العارث ، وهو من السابقين الأولين ،
يقال انه شهد بدرأ ، ولم يذكره موسى بن عقبه ولا ابن اسحاق ولا
غيرهما من اصحاب المغازي . وقصته مع ملك الروم ذكرت سابقا
انظر ترجمته فى الاصابة ٢٦٦/٢ وتهذيب التهذيب ٥/١٨٥ .

فانما هو عظيم تلوح ، وعرض عليه فلبي ، فأمر به أن يلقي فيها ، فرفع فسي
البكره ليلقي فيها ، فبكي فطمع فيه ودعاه فقال له : اني ^{انما} بكيت لان نفسي
انما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله ، فاحببت ان يكون
لي بعدد كل شفرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله . !
وفي بعض الروايات : انه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب اياما ثم ارسل اليه
بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك ان تأكل ؟ قال :
أما انه قد حل لي ولكن لم أكن لا شهوتك في ، فقال له الملك : فقبل
رأسي وأنا اطلقك ، فقال : وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ، فقال :
نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما
رجع قال عمر بن الخطاب : حق على كل مسلم ان يقبل رأس عبد الله
بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقام فقبل رأسه . (١)

أنواع الاكراه

- (١) الاجاء جـ حيث ينعدم الرضا والاختيار ، وتنتفي الارادة والقصد ، وذلك بالوقوع تحت التعذيب الشديد أو نحو ذلك ، وهذه الحالة هي التي نزلت فيها آية النحل " من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان " (١) ١٠٦ .
- (٢) التهديد : حيث ينعدم الرضا ، ولا يتعدم الاختيار تماماً وهذه في مثل الحالة التي يختار فيها الانسان أخف الضررين مثل هلال شعيب عليه السلام مع قومه ان خيروه بين العوده الى الكفر والخروج من قريتهم (قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن في ملتنا قال أولئكنا كارهين قد افترينا على الله كذباً ان عدنا في ملتكم بعد ان نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شي * علماً على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين " ٨٨ - ٨٩ الاعراف .
- فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الاكراه لهذا النص ولقوله تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله بأعظم بما في صدور العالمين " (٢) ١٠ العنكبوت .

(١) و (٢) كتاب : هد الاسلام وحقيقة الايمان للاستاذان عبدالمجيد الشاذلي ص ٥٢٣ مكتوب بالالة الكاتبة .

(٣) الاستصاف : وهنا لا فعد يهب ولا شهيد يد ولكن المستضعف داخل تحت
تحت وضع مفروض عليه من غيره كالمقيم في مكة بعد هجرة المسلمين عنها ،
فإذا كان دخوله تحت هذا الوضع لمجزه عن دفعه وعن الخروج منه ،
ولو أمكنه ذلك لفعل مهبطا كانت تضحيات وثكاليفه فهذا قد حفتسما
الله عنه^(١) ، أما إذا كان قادراً على الدفع أو الخروج ولم يفعل ذلك
ايثاراً للمعاقبة فقد سبق كلام الشيخ ابن عتيق وغيره في ذلك ،
قال ابن تيمية : تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف الكراه عليه
فليس الاكراه المحض في كلمة الكفر كالاكراه المعتبر في المبهمة ونحوها ، فان
احمد قد نص في غير موضع ، ان الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتمذيب
من ضرب وقيد ، ولا يكون الكلام اكرها . (٢)

كلمة أخيره حول الاكسراه

انه من المهم والواجب التفريق بين الاكراه وبين مشاعر الخوف السبتي
تتزوج مع مشاعر الرجاء والتعظيم فان هذه مشاعر عبادة ،
كما أنه يجب أن نفرق بين الاستصاف وبين الهزيمة الداخلية ، والاستكانة
للمعدو والركون اليه وفقدان الثقة في الله وترك التوكل عليه .
ذلك أن الانسان يطك في أحلك الظروف قوة عظيمة - هي قوة الرفض
بقلبه - وهذه القوة سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاداً فسي
قوله " . . . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان
حبة خردل " (٣)

(١) المصدر - الج ٦ ص ٥٢٦

(٢) نقلا عن الدفاع لابن عتيق ص ٣٠

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ١/٧٠ ح ٥٠

فلا نهزام امام الباطل والمولاة التي يحتاجها الباطل حتى وهو قوى لا يند من الامتاع عنها وهذا هو جهاد القلب ، والله سبحانه يقول للمؤمنين بعد وقعة أحد (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ، يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * ١٤٦ - ١٥٠

ال عمران وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود : " بحسب امرئ يسرى منكرا لا يستطيع ان يغيروه ان يعلم الله من قلبه انه له كاره * ودلالة الكره : الا اعتزال وعدم المشايعة بالعمل .

ان استعلاء القلب على الهزيمة الداخلية ، وبقاء قوة رفضه للباطل مهبطا استطال وانتعش وقوة ضبطه للسلوك لتأكيد الاعتزال وعدم المشايعة بالعمل لهو جهاد القلب وانه لجهاد له أثره الواقع في حياة الناس . (١)

ج : الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام

أصل المهاجرة : المجافاة والترك .

وفي الاصطلاح الشرعي : الانتقال من بلد الكفر والشرك الى دار الاسلام .
ومن المعلوم : ان من كان دينه الاسلام المبنى على **حرف** جميع العبادات لله وحده ونفي الشرك وبغضه وبغض أهله ومعاداتهم ومقاطعتهم فانه لا يتركه أهل الكفر على دينه مع القدرة عليه كما اخبر عن ذلك المولى عز وجل بقوله : ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " ٢١٧ البقرة وكما اخبر الله عن أصحاب الكهف " انهم ان يظهروا عليكم يرموكم ا ويحميدوكم في ملتهم ولن تغلحوا اذاً أبداً " ٢٠ الكهف واخبر سبحانه بذلك عن جميع الكفار حيث قال : " وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجنكم من أرضنا أو لتمودن في ملتنا فأوهي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين " ١٣ ابراهيم وكذلك قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم : ياليتني أكون جذعا ان يخرجك قومك قال : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، فلذلك أخرجوه من مكة الى الطائف ثم هاجر الى المدينة بعد ما هاجر طائفة من أصحابه الى الحبشة مرتين . (٢)

والهجرة شأنها عظيم ، وأمرها كبير ان هي فرع الولاة والبراء ، بل انها من أبرز تكاليف الولاة والبراء ، وما كانت الجماعة المسلمة لتترك أرضها وقومها وتتكدب مشاق الغربة ووعشاء السفر لولا أن ذلك تكليف رباني لمن لا يستطيع ان يقيم دينه ، ويظهر اسلامه في أرضه . وقد وعد الله عباده المؤمنين المهاجرين بـ " الحسنات " في الدنيا والآخرة فقال " والذين هاجروا من بعد ما ظلموا لنبوئتهم في الدنيا حسنة ولا أجر الآخرة اكبر لو كانوا يحلمون

(١) انظر فتح الباري ١٦/١

(٢) انظر الدفاع لابن عتيق ١٨ - ١٩ وقصة ورقة مرسل الله صلى الله

الذين صبروا على ربهم يتوكلون " ٤١ ، ٤٢ النحل .
وللهجرة مفهوم شامل في التصور الاسلامي ليس مقتصرًا على الانتقال من بلد
الكفر الى بلد الاسلام فحسب ولكنه كما يقول ابن القيم : الهجرة هجرتان
هجرة بالجسم من بلد الى بلد وهذه احكامها معلومه . والهجرة الثانية :
الهجرة الى الله ورسوله فهذه هي الهجرة الحقيقية ، وهجرة الجسد تابعة
لها وهي هجرة تتضمن " من " و " الى " فيهاجر بقلبه من محبة غير الله
الى محبة ، ومن عبودية غيره الى عبوديته ، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل
عليه الى خوف الله ورجائه والتوكل عليه . ومن دعاء غيره وسوءه والخضوع
لله والذل : . والاستكانة له . وهذا يعينه معنى الفرار الى الله كما قال
تعالى " ففروا الى الله " . ه الذاريات . والتوحيد المطلوب من العبد
هو القرار من الله اليه .

والهجرة الى الله تتضمن : هجران ما يكرهه ، واتيان ما يحبه وبوضاه .
وأصلها : الحب والبغض ، فان المهاجر من شيء الى شيء لا بد ان يكون
ما يهاجر اليه احب مما يهاجر منه ، فيؤثر احب الامرين اليه على الآخر .
وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب داعي المحبة في قلب العبد ، فان
كان الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل ، وانا ضعفت الداعي
ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علمًا ولا يتحرك لها ارادة . (١)
أما الهجرة التي هي الانتقال من بلد الكفر الى بلد الاسلام فاليك تفصيل -
أحكامها :

(١) الرسالة النبوية لابن القيم ١٤ - ١٨ ط الثانية سنة ١٣٩٤ هـ

السلفية بمصر .

قال الخطابي: (١) كانت الهجرة في أول الاسلام مندوباً اليها غير مفروضة وذلك في قوله تعالى " ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراعماً كثيراً وسعة " . . . النساء فقد نزلت حين اشتد اذى المشركين على المسلمين عند انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة . ثم أمروا بالانتقال الى حضرته ليكونوا معه ، فيتعاونوا ويتظاهروا ان هزمهم أمر ، وليتعلموا منه أمر دينهم ، ويتفقهوا . فيه . وكان أعظم الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكة ، فلما فتحت مكة ونخعت بالطاعة زال ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها الى الندب والاستحباب فهما هجرتان : فالمنقطعة منهما هي الفرض ، والباقيسة هي الندب . وبهذا يظهر الجمع بين حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقطع الهجرة حتى تقطع التوبة ، ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " (٢) وبين حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة " لا هجرة ولكن جهاد ونهضة ، واذا استغفرتم فانفروا " (٣) على أن بين الاسنادين ما بينهما فاسناد حديث ابن عباس متصل صحيح واسناد حديث معاوية فيه مقال . (٤)

(١) هو الامام حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب من ولد زيد بن الخطاب . يكنى ابو سليمان . كان محدثاً فقيهاً واديباً شاعراً لغوياً ومن تلاميذه الحاكم النيسابوري . ولد سنة ٣١٩ هـ في بلدة بسط من بلاد كابل وتوفي فيها سنة ٣٨٨ هـ انظر مقدمة معالم السنن المطبوع مع سنن ابى داود ١١/١ والاعلام للزركلى ٢/٢٧٣ ط ٤

(٢) سبق تخريجه في أول هذا الفصل : ٢٥٨

(٣) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب وجوب التغير ٦/٣٧٧ ح ٢٨٢٥

(٤) معالم السنن للخطابي : ٣/٣٥٢ تحقيق احمد شاكر ومحمد حامد

الفتى وانظر الناسخ والمنسوخ للحازمي ص ٢٠٧

ولأهمية موضوع الهجرة - خاصة في أول الاسلام - فقد قطع الله ولايته
التناصر بين المسلمين المهاجرين في المدينة وبين المسلمين الذين لهم
يهاجروا ويقوا في مكة . قال تعالى " ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم
أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء - حستي
يهاجروا ، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق والله بما تعلمون بصير " ٧٢ الانفال

ثم يأتي الثناء على المهاجرين والانصار في قوله تعالى " والذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقاً لهم مغفرة ورزق كريم " ٧٤ الانفال والكلام على المهاجرين والانصار
قد سبق فيه الحديث . أما الصنف الذي نريد أن نتحدث عنه هنا
فهم المؤمنون الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في مكة فهو لا هم الذين
قال الله فيهم " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم
قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله ان يعفو
عنهم وكان الله عفواً غفوراً " ٩٧ - ٩٩ النساء .

فقد روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان ناساً من المسلمين
كانوا مع المشركين ، يكفرون سواهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يأتي السهم فيرمى به ، فيصيب احدهم فيقتله ، أو يضرب عنقه فيقتل
فأنزل الله " ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم " (١)
ولذلك فالذين آمنوا ولم يهاجروا ، بل أقاموا في بواديهم ليس لهم في

المقاتم نصيب ولا في خصمها الا ما حضروا فيه القتال كما قال الامام احمد (١) يدل على ذلك الحديث المروى في المسند وصحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان امة الله صلى الله عليه وسلم اذا امرت على جيش أو سرية أو صاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً واذ لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال (أو خلال) فإيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين واخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم مال المهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا ان يتحولوا منها فاخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الفتيمة والفيء شيء الا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستمن بالله وقيامتهم (٢) . . الحديث

ونستطيع ان نلخص انواع الهجرة - سواء ما بقى منها مفروضاً أو مانسوخ ، وما هو غير ذلك - في النقاط التالية :

- (١) الهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام ، وكانت فرضاً في ايام النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة باقية مفروضة الى يوم القيامة ، والتي انقطعت بالفتح هي القصد الى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان . فمن اسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج الى دار الاسلام . (٢)

(١) تفسير ابن كثير ٤٠/٤

(٢) الحديث في مسند احمد ٣٥٢/٥ وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد

١٣٥٧/٣ ح ١٧٣١

(٣) احكام القرآن لابن العربي ١/٤٨٤ وانظر شرح النووي على مسلم ١٣/٨

وتفسير القرطبي ٣٠٨/٥

ويروى عن ذلك حديث مجاشع بن مسعود (١) حين جاء بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هذا مجالد يبأيحك على الهجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبأيسه على الاسلام " (٢) وعلى ذلك فان النصوص الواردة في وجوب الهجرة باقية في حال المسلم المقيم بدار الحرب وقد ذكرتها في الاقامة في دار الكفار (٢) الخروج من ارض البدعة . قال الامام مالك : لا يحل لاحد ان يقيم ببلد سب فيها السلف (٣) .

(٣) الخروج عن ارض غلب عليها الحرام . فان طلب الحلال فـرض على كل مسلم . (٤)

وفي هذا الشأن يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : أحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً ، وتارة كافراً ، وتارة مؤمناً ، وتارة منافقاً ، وتارة براً تقياً ، وتارة فاجراً شقيماً . وهكذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الانسان من مكان الكفر والمعاصي الى مكان الايمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية الى الايمان والطاعة ، وهذا أمر باق الى يوم القيامة . (٥)

(٤) الفرار من الأذية في البدن ، وذلك فضل من الله عز وجل أرخص فيه ، فاذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له فـي

(١) هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي . قال البخاري وغيره له ضحبة ، روى عنه ابو عثمان النهدي وغيره . قتل يوم الجمل . الاصابة ٣٦٢/٣ والمعارف لابن قتيبة ٣٣١ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب لا هجرة بعد الفتح ١٨٩/٦ ح ٣٠٧٩ وصحيح مسلم كتاب الاطارة ٤٨٨/٣ ح ١٨٦٤ .

(٣) و (٤) احكام القرآن لابن العربي ٤٨٥/١

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨٤/١٨

الخروج عنه ، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور ، ولأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال " اني مهاجر الى ربي " ٢٦ العنكبوت وقال " اني ذاهب الى ربي سيهدين " ٩٩ الصافات ، وموسى عليه السلام قال الله فيه " فخرج منها خائفا يترقب ، قال ربي نجني من القسوم الظالمين " (١) ٢١ القصص .

(٥) خوف المرض في البلاد الوخمة ، والخروج منها الى الارض الكريمة وقد اذن النبي صلى الله عليه وسلم للمرينين في ذلك حين استوخموا المدينة ان يخرجوا الى المرج ، فيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون كما قرر ذلك الحديث الصحيح . (٢)

(٦) الفرار خوف الأذية في المسال ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله أو أكثر . (٣)

وبعد : فان الهجرة وغيرها من الاعمال والاقوال - مبنية على النية كما قال صلى الله عليه وسلم " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدينا يصبئها او امرأة يفتنها فهجرته الى ما هاجر اليه . (٤)

(١) احكام القرآن لابن العربي ٤٨٥/١

(٢) المصدر السابق ٤٨٥/١ وحديث العرنين في صحيح البخارى كتاب

الطب ١٠/١٤٢ ح ٥٦٨٦ وصحيح مسلم كتاب القسامة ٣/١٢٩٦ ح

١٦٧١ أما حديث الطاعون ففي البخارى كتاب الطب. ١/١٧٩ ح ٥٧٢٨

وصحيح مسلم كتاب السلام ٤/١٧٤١ ح ٢٢١٩ ونصه " انا سمعتكم

بالطاعون في ارض فلاتدخلوها وانا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا

منها؟

(٣) المصدر السابق ٤٨٦/١

(٤) صحيح البخارى كتاب بدء الوحي ١/٩ ح ١ وصحيح مسلم كتاب الامارة

الفصل الثالث

الجهاد في سبيل الله

الجهاد : - بكسر الجيم - لفة : المشقة ، يقال : جهدت جهادا :
بلغت المشقة .

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار . (١)

ويطلق أيضا : علي مجاهدة النفس والشيطان والفساق .
فأما مجاهدة النفس : فملى تتعلم أمور الدين ، ثم على العمل بها ^{ثم على} تعليمها
وأما مجاهدة الشيطان : فملى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من
الشهوات .

وأما مجاهدة الكفار : فتقع باليد والمال واللسان والقلب .

وأما مجاهدة الفساق : فياليد ثم اللسان ثم القلب . (٢)

وقد سبق القول في الفصل الثالث من الباب الأول (أولياء الرحمن وأولياء
الشيطان وطبيعة العداوة بينهما) : أن العداوة بين الفريقين شيء متأصل
وسمى الى أن يرك الله الأرض ومن عليها ، وذلك لأن المنهجين مختلفان ،
ويستحيل الالتقاء بينهما لأن حزب الله يريدون إقامة كلمة الحق في الأرض وهيمنة
الشريعة الاسلامية على كل وضع . وحزب الشيطان يهفيظه هذا المنهج فيسمى
جاهداً في سحقه وأبادته ما استطاع الى ذلك سبيلا .

وتحدثنا عن البراء وقلنا : ان أبرز صورته هو الجهاد لأنه هو السبيل الوحيد
للمفاصلة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان .

واذا رجعنا الى سيوة المصطفى صلى الله عليه وسلم : لوجدنا ان الجهاد
هو الخطوة التالية للهجرة النبوية . مما يدل على أهميته في إقامة هذا

الدين ، وبيع المنهج في سبيل الله تلبية لنداء الجهاد في سبيل الله .

ومن المعلوم : أن هذا الدين الحنيف يأمر بدعوة الناس الى توحيد الله وافراده بالعبادة والألوهية فاذا لبوا هذا النداء فهذا هو المراد من بعثة الرسل ، وانزال الكتب وان انتكصوا على أعقابهم فلا بد من جهادهم (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ١٩١ البقرة وقد سبق معنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (. . . فاذا لقيت عدوك من المشركين فابيعهم الى ثلاث خصال فأيتهم ما أهابوك فأقبل منهم وكف عنهم) (١)

فالدين الاسلامي يبدأ بدعوة الناس الى الخير وجدالهم بالتي هي أحسن فاذا قامت عليهم الحجة ثم أعرضوا وجب قتالهم . واذا كان هناك سلطان وطواغيت ترفض أن يستمع الناس للاسلام فانه يجب بتر هذه الطواغيت من أساسها لتبلغ كلمة الاسلام للناس ثم يأتي هنا مبدأ (لا اكراه في الدين) أى اذا سيطرت الشريعة الاسلامية على منطقة ما فان اهلها لا يجبرون على الاسلام ، ولكن يجب أن يخضعوا لسلطان الاسلام ، فمان اسلموا فلهم ما للمسلمين وان طلبوا البقاء على ديانتهم فعليهم دفع الجزية للمسلمين والا فالسيف بينهم وبين المسلمين . (٢)

ومن هنا : فان اهداف الجهاد فى الاسلام أهداف سامية عالية فهو :

- ١ يقاتل الكفار لتقرير حرية العقيدة .
- ٢ ويجاهد ثانيا لتقرير حرية الدعوة .
- ٣ ويجاهد ثالثا : لاقامة نظام الاسلام فى الارض . وتحقيق حرية الانسان ، حينئذ يقرر ان هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ، ويلغى من الارض عبودية البشر للبشر فى جميع أشكالها وصورها .

(١) سبق تخريجه ٥٧٥

(٢) انظر تفسير " لا اكراه فى الدين " فى ابن كثير ١ / ٤٥٩ وانظر

فصل الجهاد فى معالم فى الطريق ص ٥٧٤ .

فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الاحكام للناس ، وتستتر لهم
عن طريق التشريع ، وانما هناك رب واحد للناس جميعا هو الذي يشريع لهم
وصولهم يتوجهون اليه وحده بالطاعة والخضوع كما يتوجهون اليه بالايان والعبادة
على السواء . (١)

وعبودية الجهاد من أشرف وأحب انواع العبودية لله سبحانه وتعالى
لانه " لو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها . ممن
الموالاتة فيه سبحانه ، والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه ، وبذل النفس
له في محاربة عدوة ، وعبودية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية
الصبر ومخالفة الهوى ، وايثار محاب الرب على محاب النفس " (٢)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : انه " لم يرد في ثواب الاعمال وفضلها
مثل ماورد فيه . . لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ،
وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، ففيه من محبة
الله ، والاخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد
وذكر الله وسائر انواع الاعمال ما لا يشتمل عليه عمل آخر ، والقائم به من
الشخص والأمة بين احدى الحسنين دائما : اما النصر والظفر وامساك
الشهادة والجنة " (٣)

وقد وردت نصوص كثيرة جدا في فضيلة الجهاد نذكر طرفا منها :
قال تعالى في بيان منزلة الشهيد وانه حي عند ربه " ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم

(١) انظر طريق الدعوة ١ / ٢٨٨ - ٢٨٩

(٢) مدارج السالكين ٢ / ١٩٦

(٣) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ص ١١٨ طبع الجامعة

الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ .

الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم
ولا هم يحزنون " ١٦٩ - ١٧٠ آل عمران .

" انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون " ١٥ الحجرات .

والجهاد هو التجارة الرابعة مع الله كما قال سبحانه " يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تتجكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك
الفوز العظيم ، واخرى تجهونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين "

١٠ - ١٣ الصف .

أما السنة النبوية فقد ورد فيها احاديث كثيرة في فضيلة الجهاد . نذكر منها
قوله صلى الله عليه وسلم " ان في الجنة مائة درجة اعد لها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض . (١)

وقال ايضا " ما اغبرتنا قدما عبد في سبيل الله فتسه النار " (٢)

وفي الصحيح : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لا أجده . قال : هل تستطيع
ان اخرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تقطر؟ فقال
ومن يستطيع ذلك؟^(٣)

وفي السنن انه صلى الله عليه وسلم قال " ان سياحة امتي الجهاد في سبيل
الله تعالى " (٤)

(١) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله

٢٧٩٠ ح ١١/٦

(٢) صحيح البخارى كتاب الجهاد ٢٩/٦ ح ٢٨١١

(٣) " " " " " " ٤/٦ ح ٢٧٨٥

(٤) سنن ابى داود كتاب الجهاد ١٢/٣ ح ٢٤٨٦ ومستدرک الحاكم ٢/٢٣
وسنده حسن . انظر مشكاة المصابيح ١/٢٢٥ ح ٢٢٤

والجهاد ذروة سنام الاسلام كما جاء ذلك في الحديث " رأس الامور الاسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد " (١) وقال أيضا " لخدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها " رواه البخاري ^(٢) ومسلم وفي مقابل هذا الثناء الجميل : ورد الذم للتاركين للجهاد ، بل ان الله وصفهم بالنفاق ومرض القلوب فقال تعالى " قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " ٢٤ التوبة .

وقال سبحانه " فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المنفشي عليه من الموت فأولي لهم . طاعة وقول معروف ، فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ، فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم " أولئك الذين لمنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم " ٢٠ - ٢٣ محمد .

والجهاد ضرورة للدعوة وسنة ربانية في الابتلاء والتمحيص . قال تعالى " أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " ١٤٢ آل عمران .

" أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا ممن دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون " ١٦ التوبة " ان الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة الي الله ، والجهاد ليس

(١) سنن الترمذي : أبواب الايمان ٢٨١/٧ ح ٢٦١٩ وابن ماجه

١٣١٤/٢ ح ٣٩٧٤ وقال الالباني : حديث صحيح . انظر صحيح

الجامع ٣٠/٥ ح ٥٠١٢

(٢) كتاب الجهاد ^{النزاهة} ١٣/٦ ح ٢٧٩٢ وصحيح مسلم كتاب الاطارة ٣/٤٩٩

ملايسة طارئة من ملايسات فترة الدعوة الاولى ، انما هو ضرورة صاحبة
لركب هذه الدعوة ، ولو كان الجهاد ملايسة طارئة في حياة الامة المسلمة
ما استغرق كل هذه الفصول الواسعة من صلب كتاب الله ولما استغرق فصولاً
طويلة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والله يعلم أن هذا المنهج الالهي تكرهه الطواغيت ، ويعلم انه لا بد
لاصحاب السلطان ان يقاوموه لانه/غير طريقهم^{طريقهم} ، ومنهج غير منهجهم ، ليس
بالامس فقط ولكن اليوم وغداً ، وفي كل أرض وفي كل جبل ، وان الله سبحانه
يعلم أن الشر متجرح ولا يمكن ان يكون منصفاً ، ولا يمكن ان يدع الخيسر
ينمو مهما يسلك هذا الخير من طرق سلمية موادعة فان مجرد نمو الخير يحصل
الخطورة على الشر ، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل ولا بد
ان يجنح الشر الى العداون ، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولته

قتل الحق وخنقه بالقوة هذه فطرة وليست حالة طارئة . . ومن ثم لا بد من
الجهاد . . لا بد منه في كل صورة ، /ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخيسر
المسلح ، ولا بد من لقاء الباطل المتترس بالعدد بالحق المتوشح بالصدمة .
والا كان الامر هزلاً لا يليق بالمؤمنين . . ولا بد من بذل الاموال والانفس
كما طلب الله من المؤمنين * (١)

ويوم أن أدرك المسلمون معنى قوله تعالى " فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف
نؤتيه أجراً عظيماً " ٧٤ النساء انطلقت كتاب الفتح الاسلامي في الارض تتشر
الخير ، وتلقن الايمان ، وتكسر شوكة الطاغوت من أجل أن يعبد الله وحده
في الارض .

ووجد في ذلك التاريخ المشرق نماذج رفيعة اجادت - بحق - صناعة الصوت لأنها تريد الحياة الكريمة سواء كانت هذه الحياة على هذه الارض بالنصبر واعلا كلمة الله . ام بالحياة عند الله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون " ١٦٩ آل عمران .

لقد كانت هذه النماذج الايمانية تستبطن أن تحيل بينها وبين الجنة ثمرات كما في قصة الصحابي الجليل عمير بن الحمام الانصاري : (١) حين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في غزوة بدر " قوموا الى جنة عرضها السموات والارض " قال : يارسول الله : جنة عرضها السموات والارض ! قال : نعم قال : بخ بخ قال رسول الله : وما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يارسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فانك من أهلها ثم اخرج ثمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن انا هببت حتى اكل ثمراتي هذه انها لحياة طويلة . فرمي بها ثم قاتلهم وهو يقول :

ركضاً الى الله بغيروزاد الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفساد

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يقاتل حتى قتل . (٢)

وهذا غسيل الملائكة الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر يخرج من

(١) هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن هرام بن كعب بن سلمة الانصاري السلمي . ذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد بدرا . وهو أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب انظر ترجمته في الاصابة ٣ / ٣١
(٢) مسند احمد ٣ / ١٣٧ بدون ذكر الابيات وصحيح مسلم كتاب الامسار ٣ / ١٥٠٩ ح ١٨٩٩ وانظر فقه السيرة للشيخ الفزالي ص ٢٤٤ .

بيته حين سمع نداء الحرب في معركة أحد وكان حديث عهد بحرس لم يكن ليتأخر حتى يفتسل من جنايته ، بل هرع إلى ساحة الوفي حتى لا يفوته الجهاد فلما قتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان صاحبكم تفلسه الملائكة فاسألوا صاحبته ، فقالت : خرج وهو جنب لما سمع الهيمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك تفلسه الملائكة " (١)

هذا غيض من قبض ، ونقطة من بحر ، من تلك البطولات التي بحث الأيمان فيها شجاعة خارقة للعادة وحنيناً إلى الجنة واستهانة نادرة بالحياة ، تغلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين ، فطاروا إليها طيران حطام الزاغل لا يلوى على شيء . (٢)

هذا هو مفهوم الجهاد ، وهو "المؤمنون هم أصحاب الجهاد ، ويلحق بهم من سار على نهجهم لأنهم يقاتلون في سبيل الله أما غيرهم فيقاتلون في سبيل الطاغوت : "الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت " النساء : ٧٦ وليس ما يقوله المنهزمون اليوم هو الجهاد ، بل انه من الوجهة الصحيحة فساد . انهم يدعون إلى عدم مقاتلة أولياء الشيطان ، ويدعون إلى موالاتهم وإلى موادتهم وإلى الاستكانة اليهم وإلى تميم نصوص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مقابل شبهات الملاحدة انهزموا وذلوا واستكانوا لأنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يمثلونه الا اسماً بدون مسمي ، همهم التقليد الأعمى ، ودينتهم الركض خلف كل ناعق ولو كان الأمر هكذا لهان الخطب لانه عبرة بهم ففي أرض الله من يقوم بين اللسنة والله متكفل بذلك . ولكن ان يمتد حينهم وذلتهم إلى الالتواء على النصوص

(١) الاصابة لابن حجر ٣٦٠ / ١ وانظر فقه السيرة للقرظي ٢٧٢

(٢) انظر مزيداً من تلك البطولات في ماذا خسر العالم للندوي ص ١٠٤-١٠٨

فيقال : اسم الجبل ذو يوم يسوم صعولاً ناع فقط

القرآنية والسنة النبوية فهذا ما يجب أن نعريه ، ولا نسكت عنه ، مهما كانت العقابهم ومهما كانت شهرتهم ، فان دين الله هو الحق ، والحق أحق أن يتبع ولست بحاجة الى الاطالة في هذا فقد ذكرت في الفصول السابقة مجموعة من العلماء الفضلاء في القديم والحديث تولوا تعرية هذا الفكر الفريب على التصور الاسلامي . فلتراجع في مظاتها .

وعودا على بدء نقول : انه لاحياة شريفه في ظل هذا الدين الحنيف الا بالعودة الى ينابيه الصافيه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم العقيدة الصحيحة وسيرة سلف الامة وادراك معنى لاله الا الله ومصنى العبادة ومعنى الدين ، ومعنى الجهاد في سبيل الله . وليس في سبيل الأرض أو الوطن أو الجنس أو اللون أو الشخص أو . . . أو . . الخ .

وعلى المسلمين اليوم ادراك هذه المعاني والاستعلاء بأنفسهم وعقيدتهم من تمييع المائمين وكيد الكائددين ، وأن يواجهوا كل موقف بما يطيعه عليهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وليعلموا انهم مفتقرون الى معية الله وولايته لهم وان كيد الشيطان كان ضعيفاً .

حكم التجسس على المسلمين

جرت عادة المصنفين من العلماء ان يدرجوا الحديث عن الجاسوس في باب الجهاد . وذلك لحكمة هامة وهي ان التجسس أبرز ما يكون في موضوع كشف عورات المسلمين لاعدائهم خاصة وقت نشوب الحرب ، فلذلك يأتيون بالحديث عن الجاسوس ، واحكامه في ذلك الموضوع ولذلك اقتديت بهم فأوردت هذا المبحث في فصل الجهاد .

والتجسس خيانة عظمى ، وكبيرة من الكبائر اذا فعله المسلم وهو من صور موالاة الكفار التي يتراوح الحكم فيها بين الكفر المخرج من الطة اذا كان تجسسه حياً في انتصار الكفار وعلو شوكتهم على المسلمين وبين الكبيرة من كبائر الذنوب اذا كان لغرض شخصي أو دنيوي او جاه او ما أشبه ذلك . وقد حذر الله من ذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة (١) رضي الله عنه في سورة الممتحنة .

قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ان تؤمنوا بالله - ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالموودة وانا أعلم بما اخفيتهم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل " ١ الممتحنة

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، حليف قريش ، وقيل هو حليف للزبير بن العوام ، شهد بدرًا والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنه وصلى عليه عثمان رضي الله عنهم . وقد شهد الله لحاطب بالايان في سورة الممتحنة . بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية فأُتاه من عنده بهدايا منها طرية القبطية . انظر الاستيعاب ١/٣٤٨ والاصابة ١/٣٠٠ .

قال الطبري : لا يدعونكم أرحامكم وقرباؤكم وأولادكم الى الكفر بالله واتخيزان أعدائه أولياء تلقون اليهم بالمودة ، فانه لن تتفعمكم ارحامكم ولا اولادكم عند الله يوم القيامة لأنه سيدخل أهل طاعته الجنة ، وأهل معاصيه والكفر به النار . (١)

وروى البخارى في صحيحه بسنده عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الاسود وقال : " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظمينة ومعها كتاب فخذوه منها " فانطلقنا فعادى بنا خيلنا حتى انتهينا الى الروضة فاذا نحن بالظمينة فقلنا : أخرجني الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أولتقين الشيا ، فاخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن ابي بلنتعة الى اناس من أهل مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي ، اني كنت امراً طصفا في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها اهلبيهم واموالهم فاحببت ان فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفوً ولا ارتداداً ولا رفاً بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قد صدقكم " فقال عمر : يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق . قال : " انه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل الله ان يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء " (٢) الايات

(١) تفسير الطبري ٦١ / ٢٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير تفسير سورة الممتحنة ٦٢٣ / ٨ ح ٤٨٩٠

قال العلامة ابن القيم : يؤخذ من هذه القصة جواز قتل الجاسوس وان كان مسلماً ، لأن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حاطب بن ابي بلنتمة فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل قتله انه مسلم بل قال : وما يدريك لعل الله ان يكون قد اطلع على اهل بدر فقال اعلموا ما شئتم " فأجاب بأن فيه مانعاً من قتله وهو شهوده بداراً . وفي الجواب بهذا كالتنبية على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المنع . وهذا مذهب مالك واحد الوجهين في مذهب احمد ، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا يقتل وهو ظاهر مذهب أحمد ، والفريقان يحتجون بقصة حاطب .
والصحيح : ان قتله راجع الى رأي الامام ، فان رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وان كان استبقاؤه اصلح استبقاه والله اعلم . (١)
وقال ايضا : ومن فوائد هذه القصة : ان الكبيرة العظيمة مادون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية ، كما وقع الجس من حاطب مكفراً بشهوده بداراً ، فان ما اشتمت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه وفرحه بها ، ومباهاته للملائكة بفاعلها : أعظم ما اشتمت عليه سيئة الجس من المفسدة ، وتضمنته من بغض الله لها فغلب الاقوى على الاضعف ، فأزاله وابطل مقتضاه ، وهذه حكمة الله في الصحة والعرض الناشئين من الحسنات والسيئات ،
الموجبين لصحة القلب ومرضه قال تعالى : ان الحسنات يذهبن السيئات " ١٤ هود وقال " ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم " ٣١ النساء . الى أن قال : " فتأمل قوة ايمان حاطب

(١) زاد المعاد ٤٢٢/٣ بتصرف بسيط .

التي حملته على شهود بدر ، وبذله نفسه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وايثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته وقربته وهم بين ظهرائي المدد وفي بلدهم
 ولم يشن ذلك عنان عزمه ، ولا فل من حد ايمانه ومواجهته للقتال لمن أهله
 وعشيرته واقاربه عندهم ، فلما جاء مرض الجسم برزت اليه هذه القوة ، وكسبان
 البهران صالحا فاندفع المرض وقام المريض كأن لم يكن به قلبية ولما رأى الطبيب
 قوة ايمانه قد استعلت على مرض جسده وقهرته قال لمن أراد قصده : لا يحتاج
 هذا العارض الى فساد * وما يدرك لعل الله ان يكون قد اطلع على أهل بدر
 فقال ، اعطوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وعكس هذا ذوالخويصرة التميمي (١)
 واضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة الى حد
 يحقر أحد الصحابة عطه معه كيف قال فيهم : لا لئن ادركتهم لا قتلهم قتل عاد (٢)
 وقال * اقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم * (٣) ومن له لب
 وعقل يعلم قدر هذه المسألة : وشدة حاجته اليها وانتفاعه بها ، ويطلع
 منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته في خلقه وأمره وثوابه
 وعقابه ، وأحكام الموازنة . . وتفاوت المراتب في ذلك باسباب مقتضية بالفضة

(١) ذوالخويصرة التميمي ذكره ابن الاثير في الصحابه مستدركاً على من قبله
 ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري كتاب المناقب ٦/٦١٧ ح
 ٣٦١٠ وسلم في الزكاة ٢/٧٤٠ ح ١٠٦٣ من حديث ابي سعيد قال :
 بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ذات يوم قسماً فقال ذوالخويصره
 رجل من بني تميم يا رسول الله : اعدل فقال : " ويلك ومن يعدل اذا لم
 اعدل " الحديث انظر الاصابة لابن حجر ١/٤٨٥ .

(٢) سبق تخريجه ص ٤٩

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦/٦١٨ وصحيح مسلم
 كتاب الزكاة ٢/٧٤٦ ح ١٠٦٦

(*) الاطباء يسمون التفير الذي يحدث للعليل دفعة واحدة في الامراض
 الحادة : بحرانا انظر حاشيه ص ٤٢٥ ج ٣ زاد المعاد .

(**) القلبه : الداء والتعب . انظر مادة قلب في القاموس المحيط .

من هو قائم على كل نفس بما كسبت . (١)

والذي يظهر لي - والله أعلم - هو ما ذهب اليه مالك وابن عقيل من أصحاب أحمد وغيرهما ان الجاسوس المسلم يقتل لان التعليل في قصة حاطب (تحليل بعملة مانعة من القتل منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعاً من قتله لم يحمل بأخص منه ، لان الحكم اذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير وهذا أقوى والله أعلم) . (٢)

وتزول الخطاب القرآني بقوله ، " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء " يدل على دخول حاطب في المخاطبة باسم الايمان ووصفه به ، وتناوله النهي بحمومه ، وله خصوص السبب الدال على ارادته ، مع أن في الآية ما يشمر أن فعل حاطب نوع موالاته وأنه أبلغ بالمودة ، فان فاعل ذلك قد فعل سوا السبيل ، لكن قوله صلى الله عليه وسلم " صدقكم خلوا سبيله " ظاهر في انه لا يكفر بذلك اذا كان مؤمناً بالله ورسوله غير شك ولا مرتاب ، وانما فعل ذلك لفرض دنيوي ، ولو كفر لما قيل " هلوا سبيله " (٣) اما الجاسوس الكافر فهذا يجب قتله لانه صلى الله عليه وسلم قتل جاسوساً من المشركين . فعن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه قال : اتى النبي صلى الله عليه وسلم عين من المشركين وهو في سفر فجلس عند اصحابه يتحدث ثم انفل فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اطلبوه واقتلوه " فقتلته فنقله سلبه . (٤)

(١) بتصرف زاد المعاد ٣ / ٤٢٤ - ٤٢٧

(٢) زاد المعاد ٣ / ١١٤ وانظر افضية الرسول صلى الله عليه وسلم لابن فرج المالكي ص ٢٥ .

(٣) ارشاد الطالب للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٥

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الحربي اذا دخل دار الاسلام بغير امان ٦ / ١٦٨ ح ٣٠٥١ وابي داود في الجهاد ٣ / ١٢ ح ٢٦٥٣

الفصل الرابع

هجر أصحاب البدع والأهواء

من تكاليف الولاء والبراء : هجر أصحاب البدع والاهواء والبراء ممن معتقداتهم الفاسدة وتحلمهم الباطلة . وقد تكلمت في الفصل الرابع من الباب الأول عن طرف من موقف السلف من هواء المبتدعة ، وذكرت هناك تعريف البدعة وتقسيمها الى كفرية وغير كفرية .

أما الحديث هنا فيأتي لبيان ان هجرهم وعدم مخالطتهم والانكار عليهم واجب من واجبات الولاء والبراء ، ومقتضى من مقتضياته . لأن المنطلق في هذه القضية هو حب الله وحب ما يحبه وبغض ما يبغضه او يوتكب ما يبغضه . وفساد الدين انما يأتي من احدى طريقتين أوهما معا : فالأول يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به وهو الخوض ، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب وهو الاستمتاع بالخلق .

فالاول : البدع ، والثاني : اتباع الهوى ، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء . وبهما كذبت الرسل ، وعصى الرب ، ودخلت النار ، وحلست العقوبات . لأن الفساد في الاعتقاد يأتي من جهة الشبهات والفساد في العمل يأتي من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى فتنه هواه وصاحب دنيا اعجبته دنياه . (١)

ويقولون ايضا : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعايد الجاهل ، فسان فتنتهما فتنة لكل مفتون ، لأن الأول يشبه المفضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه ، والثاني يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم . (٢)

(١) اعلام الموقعين لابن القيم ١/١٣٦ وانظر اقتضا الصراط المستقيم

لابن تيمية ص ٢٥ .

(٢) اقتضا الصراط ص ٢٥ .

وخطورة البدعة تكمن في انها تناقض " الاستسلام لله وحده " كما قال بعض السلف : " قدم الاسلام لا تثبت الا على قنطرة التسليم " (١) وهي - كما قال الامام سفيان الثوري - أحب الي ابيليس من المعصية ، لأن البدعة لا يناب منها ، اما المعصية فيناب منها . ذلك أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسناً ، فهو لا يشوب مادام يراه حسناً ، لأن اول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه . فمادام يرى فعله حسناً - وهو سيء في نفس الامر - فانه لا يتوب . ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق ، كما هدى الله من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال ، وذلك بأن يتبع من الحق ما علمه لأن الله يقول : " والذين اهدوا زادهم هدى واطاهم تقواهم " (٢) ١٧ محمد و اذا انتشرت الجهالة بدین الرسل بهيمن الناس ، ونما زرع الجاهلية في نفوسهم : سارعت الطباع الى الانحلال من ربة الاتباع لان النفس فيها نوع من الكبر فهي تحب ان تخرج من العبودية بحسب الامكان كما قال احد السلف : ماترك احد سنة الا تكبر في نفسه . (٣) وكما قلنا في الفصل الثالث من الباب الاول : أن العداوة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان امر محتم وواقع فان العداوة هنا بين المتبع والمبتدع تأخذ نفس المرتبة والشأن ولذلك قال الشوكاني : العداوة بين المتبع والمبتدع أوضح من الشمس لأن المتبع يعادي المبتدع لبدعته ، والمبتدع يعادي المتبع لاتباعه وكونه على الصواب . بل قد تبلغ عداوات أهل البدع لشيوخهم

(١) شرح السدة للبغوي ١/١٧١

(٢) انظر التحفة العراقية لابن تيمية ص ٣٨ .

(٣) ملحق مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٨٧ ط جامعة الامام .

من أهل الاتباع فوق ما تبلغه عداواتهم لليهود والنصارى . (١) وقبل
أن نعرف كيفية البراءة من أهل البدع والاهواء لابد من العامة بسيطة بكيفية
مخالطة الناس وقد رأيت كلاماً حسناً لابن القيم رحمه الله . أوجزه فيما يلي :
فقد قسم رحمه الله امخالطة الناس الى اربعة اقسام (٢) :

(١) من مخالطته كالغذاء ، لا يستغنى عنه في اليوم والليله ، فاذا أخذ
حاجته منه ترك الخلطة ثم اذا احتاج خالطه . وهذا النوع أعز
من الكبريت الاحمر ، وهم العلماء بالله وأمره ومكايده عدوه ، الناصحون
لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه . فهذا الضرب في مخالطتهم الى
كله .

(٢) من مخالطة كالدواء يحتاج اليه عند المرض ، فادمت صحيحاً فلا حاجة
لك فيه . وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في المعاش ، وما يحتاج
اليه من المعاملات والمشاركات فاذا قضيت حاجتك من مخالطتهم
بقيت مخالطتهم من القسم الثالث وهم :

(٣) من مخالطته كالدواء على اختلاف مراتبه وانواعه وقوته وضعفه فبعضهم
كالدواء العضال لا توبح عليه في دين ولا دنيا ، بل نخسر معه
الدين والدنيا أو اهدهما ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يؤلمك
فاذا فارقك سكن الالم . ومنهم من مخالطته حمى الروح ، وهو
الثقيل البغيض العقل ، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن
ان ينصت فيستفيد منك ، واذا تكلم فكلامه كالمصلى على قلوب السامعين
مع اعجابه بكلامه ، وظنه/كالمسك يطيب به المجلس وان سكت فاثقل
من نصف الرهي التي لا يطاق حملها ، ولا جرهما على الارض . واذا كان

(١) فطر الحولي للشوكاني ص ٢٥٩

(٢) بدائع الفوائد ٢ / ٢٧٤ - ٢٧٥

لا بد من هذا الضرب فليحاشر بالمعروف حتى يجعل الله لك منسه
فرجاً ومخرجاً .

(٤) من مخالطته فيها الهلاك كله ، وهي بمنزلة أكل السم ، فان اتفق
لاكه ترياق (١) والا فاحسن الله فيه العزاء ، وما اكثر هذا الضوب
في الناس لاكثرهم الله . وهم أهل البدع والضلالة ، الصادقون عن
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الداعون الى خلافها ، الذين
يصدون عن سبيل الله ويبفونها عوجاً ، فيجعلون البدعة سنة ،
والسنة بدعة والضعوف منكراً ، والمنكر معروفاً ، ان جردت التوحيد
بينهم قالوا : تقصت جناب الالوليا والصالحين ، وان جردت
المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : أهدرت الأئمة
المتبوعين وان وصفت الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله
من غير غلو ولا تقصير قالوا أنت من المشبهين ، وان أموت بما أمر
الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر
قالوا : أنت من المفتين ، وان اتبعت السنة وتوكت ما خالفها قالوا :
أنت من أهل البدع المضلين ، وان انقطعت الى الله تعالى وخليت
بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا : أنت من الطيبين ، وان توكت
ما أنت عليه واتبعت أهواهم فانت عند الله من الخاسرين وعندهم

من المنافقين ا

كل الحزم

فالحزم/التماس مرضاة الله تعالى ورسوله باغضابهم ، وان لا تشتغل

باعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالي بذيهم ، ولا بغضهم فانه عين كمال

كما قال الشاعر :

وانا اتك مذمتي من ناقصه فهي الشهادة لي بأني فاضل

وعند المات يحمد القوم التقى ، وفي الصباح يحمد القوم السرى . انتهى

(١) الترياق : بكسر التاء : دواء السموم وهو فارسي معرب . مختار الصحاح ص ٩١

وموقف المسلم من أصحاب البدع والاهواء يختلف باختلاف ما هم عليه .
فأما من كانت بدعته كفرية أو شركية فهذا يتبرأ منه ويهجر هجراً نهائياً وليس
له اي موالاتة بل البراءة منه كالبراءة من الكافر الاهلي أو المشرك . ومثال ذلك
من أحدث حدثاً في الاسلام ، أو آوى محدثاً ونصره وأعانه كما جاء في الحديث
" من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين" (١)
قال ابن القيم : (ومن اعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنة رسوله واحداث
ما خالفهما ، ونصر من احدث ذلك والذب عنه ، ومعاودة من دعا السي
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) (٢) وأما من كانت بدعته دون ذلك
أى من المعاصي والذنوب التي لا تصل الى حد الكفر أو الشرك فهذه تختلف
أيضاً باختلاف الاشخاص والازمان .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستقيم الا بالبصيرة والمعرفة التامة ،
وأقل الاحوال اذا لم يحصل للمعبد ذلك : أن يقتصر على نفسه كما قال
صلى الله عليه وسلم : " اذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ،
واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك . (٣) فاذا رأى المسلم من يحمل
شيئاً من المعاصي : أبغضه على ما فيه من الشر ، وأحبه على ما فيه من الخير-
كما ذكرنا ذلك في معتقد أهل السنة في أول البحث - ولا يجعل بغضه على
ما معه من الشر قاطعاً وقاضياً على ما معه من الخير فلا يحبه ، بل ان كان
بغضه له يزرجه ويزجر أمثاله عن هذه المعصية مثلاً : هجره وأبغضه ، وان كان
لا يزرجه ذلك ولا يرتدع هو وأمثاله راعي فيه الاصلاح ، لأن النبي صلى الله عليه
وسلم هجر من علم أن الهجر يزرجه ويردعه ، وقبل معذرة من علم أن الهجر

(١) ابى داود كتاب الديات ٤/٤٦٦٩ ح ٥٣٠ والنسائي في القصاص ٨/٢٠

واسناده حسن .

(٢) اعلام الموقعين لابن القيم ٤/٤٠٥

(٣) ابوداود كتاب الملاحم ٤/٥١٢ ح ٣٤١ والترمذي في التفسيح ٣٠٦٠

وقال : حديث حسن غريبوا بن ماجه في الفتن ٢/٣٣١ ح ١٤٠١٤ وانظر

جامع الاصول ١٠/٣٧٤٥٣ .

لا ينجع فيه شيئاً ووكل سرائرهم الى الله . (١)

وعلى اى حال فانه ينبغي للمسلم ان لا يخالط اهل البدع والفجور
وسائر المعاصي ، الأعلى وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل ، وأقل ذلك
ان يكون منكراً لظلمهم ، ماقتاً لهم ، شائناً ما هم فيه بحسب الامكان كما
فى الحديث ، " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان " (٢)

والهجر الشرعى نوعان :

الاول : بمعنى الترك للمنكرات .

والثانى : بمعنى العقوبة عليها .

فالاول هو المذكور فى قوله تعالى " واذ رأيت الذين يخوضون فى آياتنا
فاعرض عنهم " ٦٨ الانعام وقوله تعالى " وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا
سمعت آيات الله يكفر بها ويستنهزها بها فلا تقموا معهم حتى يخوضوا
فى حديث غيره انكم اذاً مثلهم " ١٤٠ النساء .

وهذا الهجر من جنس هجر الانسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال صلى
الله عليه وسلم " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (٣) ومن هذا الباب
الهجرة من دار الكفر والفسوق الى دار الاسلام والايمان ، فانه هجر للمقام
بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ، ومن هذا
قوله تعالى " والرجز فاهجر " ه المدثر .

(١) انظر الدرر السنية فى الاجوبة التجديده ٤١/٧

(٢) تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٥٥ ط ١٣٩٧/١ هـ والحديث فى

صحيح مسلم كتاب الايمان ١/٦٩ ح ٤٩

(٣) صحيح البخارى كتاب الايمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده ج ١/٥٣ ح ١٠

أما النوع الثاني وهو الهجر على وجه التأديب : فهو هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون " الثلاثة الذين خلفوا " (١) حتى اتزل الله نوبتهم .

وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقتلهم وكثرتهم فان المقصود به زجر المهجور وتأديبه ، ورجوع العامة عن مثل حاله ، فان كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره الى ضعف الشر وخفيته كسان مشروعا ، وان كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجو ضعيف ، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر ، بسبل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف قوماً ويهجر آخرين .
واذا عرف هذا فالهجر يجب أن يكون خالصاً لله وموافقاً لأمره ، لأن من هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأثور به كان خارجاً عن هذا الأصل ، وما اكسر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله . (٢)

والهجر من باب " العقوبات الشرعية " فهو من جنس الجهاد في سبيل الله ، وهذا يفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، والمؤمن عليه ان يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فان كان هناك مؤمن فعليه ان يواليه وان ظلمه ، فان الظلم لا يقطع المولاة الايمانية قال تعالى " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بخت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فسدت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المؤمنون

(١) سيود حد يشهم ان شاء الله في الباب الاخير عند الحديث عن كسب بن مالك وهو أحد هم .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٢٠٣ - ٢٠٧

اخوة فأصلحوا بين اخويكم * ١٠٤٩ . الحجرات ، فجعلهم اخوة مع وجود القتال والبغى ! (١)
وما ينبغى التثويه به : (ان هذا الهجران والتبري والمعاداة لاهل البدع المتناغين في الاصول . اما الاختلاف في الفروع بين العلماء فاختلف رحمة اراد الله ان لا يكون على المؤمنين حرج في الدين ، فذلك لا يوجب الهجران والقطيعة ، لان هذا الاختلاف كان بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونهم اخواناً مؤتلفين ، رحماً بيلهم ، وتطسك بقول كل فريق منهم طائفة من اهل العلم بعمدهم ، وكل في طلب الحق وسلسوك سبيل الرشده مشتركون) . (٢)

كلمات للسلف في الاتباع والنهي عن الابتداء

سلف الامة رحمهم الله كانوا حريصين على الوقوف عند كتاب الله العزيز وستة نبيه صلى الله عليه وسلم وكانوا يمتقون من يخرج عن هذين المصدرين الاصيلين . وقد كثر كلامهم في هذا ولكني اورد بعض هذه الكلمات القيمة لما لها من اثر في تزويد المؤمن بالثبات على ما ثبتوا عليه .
قال الامام مالك رحمه الله : " من احدث في هذه الامة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين ، لان الله تعالى يقول : " اليوم اكملت لكم دينكم " ٣ المائدة . فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً " (٣)

(١) المصدر السابق ٢٨ / ٢٠٨

(٢) شرح السنة للبقوي ١ / ٢٢٩

(٣) الاعتصام للشاطبي ٢ / ٥٣

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ستجدون قوماً يدعونكم الى كتاب الله
وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم واياكم والتباعد والتتبع والتحقق ، -
وعليكم بالعثيق ، (٢)

وقال ابو العالية الرباعي : تعلموا الاسلام فانا علمتوه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم
بالصراط المستقيم ، فان الصراط المستقيم : الاسلام ، ولا تحرفوه يميناً
ولا شمالاً ، وعليكم بسنة نبيكم واصحابه . (٢)

وقال الشافعي رحمه الله : لأن يلقى الله العبد بكل ذنبي - ما خلا الشرك -
خير من أن يلقاه بشيء من الهوى ، (٣)

وقيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديد لا هوائهم
فقال : أنسيت قوله تعالى " واشربوا في قلوبهم السمجل بكفرهم " (٤) ٩٣
البقرة ولذلك قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء فاني لا آمن ان -
يخسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون . (٥)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم " (٦)
حقاً ، لقد كفينا فكتاب الله واضح وجلي ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

(١) التنبيه والرد للططي ص ٨٥ ومعنى العثيق : أي القديم الأول .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٣) الاعتقاد على مذهب السلف للبيهقي ص ١١٨

(٤) العبودية لابن تيمية ص ٧٠

(٥) الاعتقاد للبيهقي ص ١١٨

(٦) سنن الدارمي في العلم باب كراهية الاخذ بالرأي ٦٩/١ . قال

السخاوي : واخرجه الديلمي في مسنده . انظر المقاصد الحسنة

واضحة ومفصلة وشارحة لكتاب الله ، وسيرة سلفنا الصالح محفوظة لدينا
وما علينا الا اتباع الكتاب والسنة والبعث عن كل مبتدع ودخيل ، واننا فعلنا
ذلك كنا أمة متميزة لها شخصيتها المستقلة التي لا تجاري اصحاب الالهواء
والآراء البشرية الناقصة .

وماتبعت أمة داعي كل ناعق الا تردت في مهاوى الجهل والظلام
والله يريد لعبادة المؤمنين النور والصلاح والفلاح وكل ذلك في الاسلام
وحده وماعداه فجاهلية وضلال . اعاننا الله من ذلك .

الفصل الخامس

انقطاع التوارث والنكاح بين المسلم والكافر

من حرص الاسلام على تمييز المسلم وقطع العلاقات والوشائج التي قد تترده عما أراده الله له : قطع التوارث بين المسلم وقريبه الكافر ، وكان هذا التكليف من مقتضيات الولاء والبراء في التصور الإسلامي .

ولكن ذلك جاء بعد الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، فقد كان صلى الله عليه وسلم - كما يذكر ابن القيم - قبل ان يفرغ الجهاد يقر الناس على ما هم عليه ، ويدعوهم الى الاسلام ، وكانت المرأة تسلم وزوجها كافر فلا يفسوق الاسلام بينهما حتى صلح الحديبية وبعد هذا الصلح نزل تحريم المسلمة على الكافر . (١) قال تعالى " لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن " .

المتحنه . وقال تعالى " ولا تمسكوا بعصم الكوافر " نفس الاية .

لقد آن ان تقع المفاصلة الكاملة وان يستقر في ضمير المؤمنين والمؤمنات كما يستقر في واقعهم : ان لا رابطة الا رابطة الايمان ، وان لا وشيجة الا وشيجة العقيدة ، وأن لا ارتباط الا بين الذين يرتبطون بالله . (٢)

وجاء التحريم أيضا في سورة البقرة في قوله تعالى " ولا تتكفوا المشركين حتى يؤمنوا " ولعمد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون " ٢٢١ .

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي : قوله تعالى " ولا تتكفوا المشركين " هذه

(١) احكام اهل الذمة ٦٩/١

(٢) الظلال ٣٥٤٦/٦

عامة في جميع النساء المشركات ، وخصصتها آية المائدة في اباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى : " والمحصنات من الذين أولوا الكتاب " ه الطائفة . أما قوله تعالى " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا " فهذا عام لا تخصيص فيه . وذكر سبحانه العلة والحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال " أولئك يدعون إلى النار " أي في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فمخالفتهم على خطر منهم ، بل إنه الشقاء الأبدى . (١)

ونكاح المسلم للكتابية مجمع عليه - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - ممن ^{وكنه مريم عيسى بن مريم} ونكحوا المشركين ^{ولكن الجواب على ذلك من ثلاثة أوجه :} ^{(١) من أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل " ان الذين آمنوا}

(١) ان أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين " الآية ٦٢ سورة البقرة . فإن قيل قد وصفوا بالشرك بقوله " اتخذوا آبارهم ودهابهم آرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " ١١ التوبة . قيل : أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شريك ، لان الله بعث الرسل بالتوحيد ، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك وما دام انه ميزهم عن المشركين فلان أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة .

(١) تفسير كلام المنان لابن سعدى ٢٧٤ / ١

(٢) الحديث في صحيح البخارى كتاب الطلاق باب قول الله تعالى " ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا " عن نافع ان ابن عمر كان اذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال : ان الله حرم المشركين طيبى المؤمنين ولا اعلم من الاشرار شيئاً اكبر من ان تقول المرأة ربهما عيسى وهو عبد من عباد الله " ٤١٦ / ٩ ح ٥٢٨٥ .

(٢) أن يقال : آية للبقرة عامة وآية للطائفة خاصة : والخاص يقسم على العام .

(٣) أن يقال آية الطائفة ناسخة لآية البقرة لان الطائفة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء . (١)

والذى يظهر لى . والله أعلم - ان الجواب الاول من الاجوبة الثلاثة التى ذكرها شيخ الاسلام غير مسلم به ، مع التسليم بأن أصل دينهم هو التوحيد ، ولكنهم نقضوا هذا الاصل والعبارة بالخواتيم . أما الجواب الثانى والثالث فهذا الذى ذهب اليه كثير من أهل العلم (٢)

وأما انقطاع التوارث بين المسلم والكافر فهذا ايضا من التكاليف ، والمقتضيات للولاء والبراء ، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم متفق عليه . (٣)

والسبب فى ذلك : ان التوارث يتعلق بالولاية . ولا ولاية بين المظلم والكافر لقوله تعالى " لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض " (٤)

قال البغوي : والعمل على هذا عند عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم : أن الكافر لا يرث المسلم ، والمسلم لا يرث الكافر لقطع الولاية بينهما ، الا طروى عن معاذ ومعاوية أنهما قالا : المسلم يرث الكافر ، ولا يرثه الكافر ، وحكى ذلك عن ابراهيم النخعي ، كما أن المسلم ينكح

(١) دقائق التفسير لابن تيمية ١/٢٥٨ - ٢٦٠ تحقيق وجمع . محمد السيد الجليند . الناشر دار الانصار .

(٢) انظر على سبيل المثال . المغنى لابن قدامة ٧/١٢٩

(٣) صحيح البخارى : كتاب الفرائض ١٢/٥٠ ح ٦٧٦٤ وصحيح مسلم

فى الفرائض ٣/١٢٣٣ ح ١٦١٤

(٤) فتح البارى ١٢/٥٠

الكتابية ولا ينكح الكافر المسلمة ، وبه قال اسحاق بن راهوية . (١)
أما المرتد ؛ فلا يرث أحداً . لا مسلماً ولا كافراً ولا مرتداً . واختلفوا
في ميراثه :

فذهب جماعة : الى أنه لا يرث منه بل ماله في . وهذا قول مالك والشافعي .
وذهب جماعة : الى أن ميراثه لأقاربه المسلمين وهو قول الحسن والشعبي
وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي وابو يوسف ومحمد . وذهب بعضهم : الى أن -
ما اكتسبه في الاسلام لورثته المسلمين ، وما اكتسبه بعد الردة في - وهو
قول سفيان الثوري وابي حنيفة . (٢)

ان الاسلام دين عزة وشفة وقوة يرتفع بالمسلم ان تبقي نفسه معلقة باطماع
قاصرة لا تتفق مع مبدأ هذا الدين وتميزه وسمو تشريعه . بل انه ليقطع
كل ما من شأنه ان يشبط المسلم أو يفريه بالتذبذب في دينه أو بالنفاق .
لذلك قطع النكاح من الكافر لئلا يكون إسطة على المسلمة ، فالاسلام
يعلو ولا يعلى عليه ، وقطع النكاح من الكافرة لانها سبب خطير في (جوف)
زوجها الى ملتها وتنشئة الاطفال على مبدأ الكفر والشرك . وقطع التوارث
بين المسلم والكافر حتى يبقى المسلم مصوناً من المال الحرام لان صاحب
الكافر ^{رضي بالحرام} وترك شريعة الله الحلال شريعة الاسلام .

ومادام انه قد انقطع التناصر والولاء ، الا يطاني بين المسلم والكافر فلان
يقطع النكاح والتوارث من باب أولى لتخلص نفس المسلم لله رب العالمين

(١) شرح السنة ٣٦٤/٨

(٢) شرح السنة ٣٦٥/٨

وتصبح حياته ومماته كلها قائمة على منهج الله القويم وشرعه الحكيم .
وبهذا يكون التميز الكامل متحققاً في حياة المسلم فهو لا يعبد الا الله ،
ومن ثم فلا يتلقى الا من الله ، ولا يوجو ولا يطلب الرزق الا من الله . ولا يسيرو
في امر يسير أو كبير الا بحسب ما أراد الله وهذا هو معنى الاستسلام لله .
والطاعة والانقياد له .

الفصل السادس

النهي عن التشبه بالكفار والحرص على حماية المجتمع الاسلامي

الدين الاسلامي ليس حريصاً على تمييز المسلمين في المضمون فحسب
وانما حتى في المظهر العام للمسلم في نفسه وللمجتمع الاسلامي في عمومه .
ولذلك كان النهي عن التشبه بالكفار أحد التكاليف الربانية لهذه العقيدة .
وقد حفل الكتاب والسنة بأدلة كثيرة حول هذه القضية . لأن التشبه بالكفار
في الظاهر يورث التنزه بهم في العقيدة ، أو مودتهم ، وسايوتهم
وموافقتهم على هواهم مما يحدث التميع في حياة المسلم ويجعله امعة يتبع كسل
ناعق ، والله يريد العزة والكرامة . واذ تعمنا في طريقة التربية القرآنية :
وجدنا أن الاسلام وي المسلمين على العقيدة الصحيحة فترة طويلة قبل
نزول التكاليف ، فلما رست جذور هذه الشجرة المباركة في النفوس جاءت
التكاليف واحداً اثر الآخر مما جعل المسلمين يترقون في هذا السلم الترسوي
الايماي الى الذروة .

من هنا جاء النهي عن التشبه بالكفار في العهد المدني . وذلك
بعد الجهاد من أجل صيانة وحماية المجتمع الاسلامي من كل دخيل وحرصاً
على بناء الشخصية الاسلامية الفريدة . فكما ان هذه العقيدة فريدة فسي
مضمونها وجوهرها فهي ايضاً فريدة في شكلها ومظهرها . لذا وجب على
صاحبها ان يكون متميزاً بهمد ان اخرجه الله من الظلمات الى النور .

وتحتاج المعالم الاسلامي اليوم موجة من التيمية الجارفة في كل شيء ،
ومن ذلك التشبه بالغرب الكافر من قبل ضعاف الايمان الذين يرون أن ذلك
العمل هو سبيل التقدم والرقى . !

وفي هذا يقول الاستاذ محمد أسد (. . .) وان السطحيين من الناس فقط

ليستطيعون ان يعتقدوا انه من الممكن تقليد مدينة ما في مظهرها الخارجية من غير ان يتأثروا في الوقت نفسه بروحها .

" ان المدنية ليست شكلاً أجوف فقط ، ولكنها نشاط حي . وفي اللحظة التي نبدأ فيها . بتقبل شكلها تأخذ مجاريها الاساسية وموثراتها الفعالة تعمل فينا ، ثم تخلع على اتجاهنا العقلي كله شكلاً معيناً ولكن بهبطاً ومن غير ان تلحظ ذلك .

ولقد قدر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاختيار حق قدره حينما قال :
" من تشبه يقوم فهو منهم " (١) وهذا الحديث المشهور ليس ايماءة أدبيسة فحسب ، بل تعبير ايجابي يدل على ان لا ~~تفهم~~ يصطبغ المسلمون بالمدنية التي يقلدونها .

" ومن هذه الناحية قد يستحيل ان نرى الفرق الاساسي بين " المهم " وبين غير المهم " في نواحي الحياة الاجتماعية وليس ثمة خطأ أكبر من أن نفترض أن اللباس - مثلاً - شيء خارجي بحث وان لا خوف منه على " حياة الانسان " العقلية والروحية . انه على وجه العموم نتيجة تطور طويل الأمد لذوق شعب ما من ناحية معينة . ونرى في هذا اللباس يتغير مع الازمان البديهي لذلك الشعب ومع ميوله . لقد تشكل هذا الزي ثم ما فتىء يبدل اشكاله باستمرار حسب التبدل الذي طرأ على خصائص ذلك الشعب وميوله ، فالزي الأوروبي اليوم - مثلاً - يتفق تماماً مع الخصائص العقلية في أوروبا ، ولبس الثياب الأوروبية يوفق المسلم من غير شعور ظاهر بين ذوقه والذوق الأوروبي ثم يشوه "حياته" العقلية بشكل يتفق نهائياً مع اللباس الجديد ويعلمه هذا يكون (المسلم) قد تخلى عن الامكانيات الثقافية لقومه ، وتخلي عن ذوقهم التقليدي ، وتقبسل لباس العبودية العقلية الذي خلعتة عليه المدنية الأجنبية .

(١) سيوف تخريجه بعد قليل .

” اذا حاكى المسلم اوروبية فى لباسها ، وعاداتها وأسلوب حياتها فانه
يتكشف عن أنه يوتر المدنية الاوروبية ، مهما كانت دعواه التى يعلنها ، وانه
لمن المستحيل عتياً ان تقلد مدينة اجنبية فى مقاصدها العقلية والهديمية
من غير اعجاب بروحها ، وانه لمن المستحيل أن تمج بروح مدينة ماضية
للتوجيه الدينى ، وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً .

” ان الميل الى تقليد التمدين الاجنبى نتيجة الشعور بالنقص . هذا ولا شىء
سواه ، ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية (١)

وأصل المشابهة : أن الله جبل بنى آدم - بل سائر المخلوقات - على التفاعل
بين الشئتين المتشابهين ، وكلما كانت المشابهة اكثر : كان التفاعل
فى الاخلاق والصفات اتم . والمشاركة بين بنى الانسان اشد تفاعلاً فلأجل
هذا الأصل وقع التأثير والتأثير فى بنى آدم فاكسب بعضهم ، اخلاق بعضها
بالمشاركة والمعاشرة .

والمشابهة فى الأمور الظاهرة : توجب مشابهة فى الأمور الباطنة على وجه
المسارعة والتدرج الخفى ، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا
المسلمين أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين اكثروا من معاشررة
اليهود والنصارى هم أقل ايماناً من غيرهم من جرد الاسلام .^(٢)

ثم ان المشاركة فى الهدى الظاهر : توجب مناسبة وائتلافاً وان بعد
المكان والزمان وهذا امر محسوس ، بل انها تورث نوع مودة ومحبة وموالاتة فسى
الباطن ، كما أن المحبة فى الباطن تورث المشابهة فى الظاهر .

وانا كانت المشابهة فى الأمور الدينية تورث المحبة والموالاتة فكيف
بالمشابهة فى أمور دينية ؟ نعم . انها تفضى الى نوع من الموالاتة اكثر

(١) الاسلام على مفترق الطرق . ترجمة د . عمر فروخ ص ٨١ - ٨٣ الطبعة
الثامنة سنة ١٩٧٤م دار العلم للملايين .

(٢) يتصرف : قضاء العلم المستقيم : ٢٢٠

وَأَشَدُّ . والمحبة لهم تنافي الايمان كما قال تعالى * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين * ٥١ المائدة .

وثبوت ولايتهم بوجوب عدم الايمان ، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الطرؤم . (١)
وهنا لا بد أن نورد بعض النصوص الكثيرة والمستفيضة من الكتاب والسنة التي نهت
عن مشابهة الكفار واتباع أهوائهم .

منها : قوله تعالى * ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء
الذين لا يعلمون . انهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم
أولياء بعضهم والله ولي المتقين * ١٨ - ١٩ الجاثية .

يقول في تفسيرها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : جعل الله محمداً يهتدى
الله عليه وسلم على شريعة من الامر شرعها له وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع
أهواء الذين لا يعلمون . وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته .
وأهواءهم : هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذين هـو
من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك . فموافقتهم فيه اتباع لما يهوونـه
ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض الأمور ويسرون بذلك .

ولو فرض ان الفعل ليس من اتباع أهوائهم : فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك
أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها . (٢)
ومن الأدلة ايضاً قوله تعالى * ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبعض
ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك
من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير * ١٢٠ البقرة : فانظر كيف جاء
في الخبر " ملتهم " وفي النهي " أهواءهم " لأن القوم لا يرضون الا باتساع

(١) اقتضاء الصراط بتصرف من ص ٢١٩ - ٢٢٢

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤ .

الملة مطلقاً . والرهبر وقع عن اتباع اهوائهم في قليل أو كثير ، ومن المعلوم ان متابعتهم ففي بعض ما هم عليه من الدين : نوع متابعة لهم في بعض ما يهوؤونه . أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوؤونه . (١)

ومن الأدلة القرآنية أيضاً ما ورد في سورة البقرة بخصوص تغيير القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة قال تعالى : " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك انذا لمن الظالمين " ١٤٥ الى قوله تعالى " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولا تم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون " ١٥٠ قال غير واحد من السلف : معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا : قد وافقونا في قبلتنا فيوشك ان يوافقونا في ديننا . فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة . وبين سبحانه ان من حكمة فسخ القبلة وتغييرها : مخالفة الكافرين في قبلتهم ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل ، وهذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة فان الكافر اذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان - أو قريب مما كان - لليهود من الحجة في القبلة . (٢)

ومن الأدلة القرآنية أيضاً الدالة على النهي عن التشبه بهم فسي
أى حال وأى وضع قوله تعالى : " فاستقيما ولا تتبعان سبيل الله الذي
لا يعلمون " ٨٩ يونس .
وقوله تعالى " ولا تتبع سبيل المفسدين " ١٤٢ الاعراف .

(١) المصدر السابق ص ١٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٦ .

وقال تبارك وتعالى : " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع

غير سبيل المؤمن نوله ما نولى ونصله جهنم " ١١٥ النساء .

كل ذلك يدل على أن جنس مخالفتهم وترك مشابهتهم أمر مشروع (١)

أما السنة النبوية فورد فيها نصوص كثيرة في هذا الموضوع . ومن ذلك :

قوله صلى الله عليه وسلم " من تشبه بقوم فهو منهم " (٢) وفي هذا الحديث

يقول ابن تيمية :

اسناده جيد وأقل أحواله : أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره

يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى " ومن يتولهم منكم فإنه منهم " ٥١

المائدة .

وهو نظير ما قاله عبد الله بن عمرو : " من بنى بأرض المشركين ومنع فيروزهم

ومهرجانهم وشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة " (٣) فقد

يحمل هذا على التشبه المطلق الذي يوجب الكفر . . وقد يحمل على أنه

صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه ، فإن كان كفراً أو معصية

أو شعاراً للكفر أو المعصية : كان حكمه كذلك . أما من فعل الشيء واتفق

إن الغير فعله أيضاً ، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه ففي كون هذا تشبيهاً

نظر . لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة إلى التشبه ولما فيه من

المخالفة . (٤) ومن الأدلة النبوية أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن

(١) انظر نفس المصدر ص ١٦

(٢) سنن أبي داود كتاب اللباس ٤ / ٣١٤ ح ٤٠٣١ وسند أحمد ٧ / ١٤٢

ح ٥١١٤ وقال الشيخ أحمد شاكر أسناده . صحيح وقال اللبناني :

صحيح انظر صحيح الجامع ٥ / ٢٧٠ ح ٦٠٢٥ .

(٣) اقتضاء الصراط ص ٨٣ والآخر سبق تخريجه : ٢٥٤

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٨٢ - ٨٣

سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم

قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ (١)

وفي الصحيح أيضا : عن ابن عمر : أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم على الحجر - أرض ثمود - فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين

فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلقوا الأبل

العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة . (٢)

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها اسلحتهم ويسمونها " ذات

أنواط " قال بعض الناس : يا رسول الله : اجعل ذات أنواط كما لهم

ذات أنواط ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " الله أكبر ، قلت كما قال قوم موسى

لموسى اجعل لنا الهأ كما لهم الهة ، انها السنن لتركين سنن من كان

قبلكم . (٣) فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد مشابتهم الكفار في

اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أظلم

من ذلك من مشابتهم المشركين أو هو الشرك بعينه ؟ (٤)

وان المسلم اليوم ليقف امام هذا النص طويلا لينظر الى هذه المجتمعات

التي تزعم الاسلام لنفسها وهي تقصي شريعة الله وحكمه من واقع الناس

وتستبدل بها النظم الوضعية الكافرة وتشرعها للناس وتلزمهم بها اليس هذا

هو الشرك بعينه ؟

أيهما أعظم - ياترى - شجرة يعلق عليها سلاح نهي عنها لأن فيها

(١) صحيح البخارى كتاب الاعتصام ١٣ / ٣٠٠ ح ٢٣٢٠ وصحيح مسلم كتاب العلم

٢٠٥٤ / ٤ ح ٢٦٦٩ .

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٨٥ ح ٢٩٨١

(٣) مسند احمد ٥ / ٢١٨ اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح

(٤) اقتضاء الصراط ٣١٤

اقتداءً بفعل الكفار أم نظام حياة فيه التشريع والتحليل والتحرير والالزام -
والمقوية علي المخالفة ؟

ومن الاحاديث الواردة في النهي عن التشبه قوله صلى الله عليه وسلم " ان
اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم " (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم " خالفوا اليهود فاتهم لا يصلون في نماذجهم
ولا خفافهم " (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم " ليس منا من تشبه بغيرنا " (٣)
ان هذه النصوص وغيرها تهدف الى سد الذرائع لأن المشابهة في الظاهر
ذريعة الى الموافقة في القصد والعمل . (٤)

ولكن هناك حالات معينة قد تجعل المسلم يشارك الكفار في المهدي

الظاهر فمن تكون الموافقة ومن تكون المخالفة ؟

يجيب على ذلك شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله
يقوله . ان المخالفة لا تكون الا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد والزامهم
بالجزية والصفار ، ولما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء فانه لم يشرع لهم
المخالفة ، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك .

ومثل ذلك اليوم - (هذا كلام الشيخ في عصره فكيف بالعصور التالية !) - لو
أن المسلم بدار حرب او دار كفر غير حرب : لم يكن مأوراً بالمخالفة لهم
في المهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر . بل يستحب للرجل أو

يجب عليه ان يشاركهم احياناً في هديهم الظاهر اذا كان في ذلك مصلحة دينية

(١) صحيح البخارى كتاب الانبياء باب نزول عيسى ٦ / ٤٩٦ ح ٦٢٤٦٢ وصحيح

مسلم كتاب اللباس ٣ / ٦٦٣ ح ٢١٠٣ .

(٢) سنن ابى داود كتاب الصلاة ١ / ٢٧ ح ٦٥٢ وقال الالباني : صحيح . انظر

صحيح الجامع ٣ / ١٠٦ ح ٣٢٠٥

(٣) سنن الترمذى ج ٧ / ٣٣٥ ح ١٩٦ وقال : اسناده ضعيف . ولكن الالباني

حسنه . انظر صحيح الجامع ٥ / ١٠١ ح ٥٣١٠ .

(٤) اعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١٤٠ .

من دعوتهم الى الدين ، والاطلاع على باطن أمرهم لاخبار المسلمين بذلك أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة فأما فسي دار الاسلام والهجرة التي أعز الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصفار والجزية : ففيها شرعت المخالفة .

وإذا ظهرت المواقفة والمخالفة لهم باختلاف الزمان : ظهرت حقيقة الاحاديث (١) في هذا. وقد ذكر العلماء رحمهم الله قاعدة جلية عليها مدار الشرع واليه مرجع الخلق والامر - كما يقول ابن القيم - وهي : ايثار اكبر المصلحتين واعلاهما ، وان فأت المصلحة التي هي دونها ، والدخول في ادني المفسدتين لدفع ما هو اكبر منها . فيفوت مصلحة لتحصيل ما هو اكبر منها ، ويرتكب مفسدة لدفع ما هو أعظم منها . (٢)

ولكن مع هذا يجب أن يحذر المسلم فان هذا أمر لا يتوصل الى معرفته الا بنور من الله يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة رسول الله صلى عليه وسلم ، وشدة عنايته بمراتب الاعمال عند الله ، وأحبتها اليه ، وأرضاها له . (٣)

وإذا أردنا ان نعرف تفصيل مخالفة جاهل الكتاب وجدنا ان ذلك ينسرج تحت ثلاثة أقسام : (٤)

(١) ما كان مشروعاً في الشريعتين ، أو ما كان مشروعاً لنا وهم يفعلونه فهذا كصوم يوم عاشوراء ، أو كأصل الصلاة والصيام ، فهنا تقع المخالفة في صفة ذلك العمل كما سن لنا صوم تاسوعا ، وعاشوراء ، وكما أمرنا

(١) اقتضاء الصراط ١٧٦ - ١٧٧

(٢) الجواب الكافي ص ١٦٧

(٣) انظر بدائع الفوائد ٢٦٢/٢

(٤) ذكرها شيخ الاسلام في الاقتضاء من ١٧٨ - ١٧٩

بتمجيل الفطر والمغرب مخالفة لأهل الكتاب ، وكذلك تأخير السحور مخالفة لهم ، والصلاة في الثلثين مخالفة لليهود وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات .

(٢) ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية كالمسبب ، أو ايجاب صلاة أو صوم . ولا يخفي النهي عن موافقتهم في هذا .

وكذلك الأمر في أعيادهم ، لأن الأعياد المشروعة يشرع فيها وجوباً أو استحباباً من العبادات ما لا يشرع في غيرها كالصلاة أو الذكر أو الصدقة أو النسك ويباح فيها أو يستحب أو يجب من العادات التي للنفوس فيها

حظ ما لا يكون في غيرها كذلك كالتوسع في الطعام واللباس . ولهذا وجهنا على فطر العيد به وقررم بالصلاة من جهة الصدقة وقررمه (في الأرض) لندرج وكلاهما من أسباب الطعام فموافقتهم في هذا القسم المنسوخ من

العبادات أو العادات أو كلاهما أقبح من موافقتهم فيما هو مشروع الأصل . ولهذا كانت الموافقة في هذا محرمة . . وفي القسم الاول قد لا تكون الامكروهة .

(٣) ما أحدثوه من العبادات او العادات أو كليهما ، فهذا أقبح وأقبح ، فانه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحاً ، فكيف اذا كان ما لم يشرعه نبي قط ؟ بل قد أحدثه الكافرون ؟ فالموافقة فيه ظاهرة القبح . فهذا أصل .

وأصل آخر : وهو أن كل ما يتشابهون فيه من عبادة او عادة او كليهما

هو من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع ان الكلام فيما كان من خصائصهم . وأما ما كان مشروعاً لنا وقد فعله سلفنا السابقون فلا كلام فيه .

ونخلص الى القول : ان حكم الموافقة في الاول مكروهة وفي الثاني محرمة وفي الثالث أشد حرمة .

مابين التشبه والولاء من علاقة

من نافلة القول : أن الشارع ما ترك خيراً إلا لئلا الأمة عليه . وما
ترك شراً إلا لئلا الأمة عنه . وهين أمر للشارع الحكيم بمخالفة الكفار - فسي
الهدى الظاهر - فان ذلك لحكم جليلة (١) مؤبها :

(١) ان المشاركة في الهدى الظاهر : تورث تناسباً وتشاكلاً بين
المتشابهين يقود الى الموافقة في الاخلاق والاعمال .
وهذا أمر محسوس ، فان اللابس لثياب الجند المقاتلة^{شبه} - يجد
في نفسه نوع تخلق باخلاقهم ، ويصير طبعه مقتضياً لذلك ، الا أن
يمنعه من ذلك مانع .

(٢) ان المخالفة في الهدى الظاهر : توجب مباينة ومفارقة توجب .
الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال . والانعطاف الي
أهل الهدى والرضوان ، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده
المفلحين واعدائه الخاسرين .

وكما كان القلب أتم حياة ، وأعرف بالاسلام الذي هو الاسلام - لست
اعني مجرد التوسم به ظاهراً ، أو باطناً بمجرد الاعتقاد والتقليدية
من حيث الجملة - كان احساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنياً
أو ظاهراً اتم . وبعده عن اخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين
أشد .

(٣) ان مشاركتهم في الهدى الظاهر : توجب الاختلاف الظاهر ،
حتى يرفع التمييز ظاهراً بين المهديين العرضيين ، وبين المفضوب

عليهم والضالين الى غير ذلك من الاسباب الحكيمية .
هذا اذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر الا مباحاً محضاً ، لو تجسود
عن مشابهتهم . فأما ان كان من موجبات كفرهم فانه يكون شميماً
من شعب الكفر ، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من اشواع ضلالهم -
ومحاصيهم . وهذا أصل ينبغي ان يتفطن اليه . (١)

(١) نفس المصدر ص ١٢

مثال واحد من مشابهة اليهود والنصارى

” العيد ”

العيد مظهر مميز للأمة ، ومن هنا اخترته مثالا واحداً من أمثلة التشبه باليهود والنصارى . وقد وردت الأدلة الكثيرة المحرمة للتشبه بهم في هذا الشأن من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار (١)

أما الكتاب فقد قال تعالى ” والذين لا يشهدون الزور ” ٧٢ الفرقان قال مجاهد في تفسيرها انها أعياد المشركين وكذلك قال مثله الربيع بن أنس والقاضي أبو يعلى والضحاك . (٢)

وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور بروية او سماع فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟

ومن السنة : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ” ان الله قد ابدلكم بهما خيراً منهما ، يوم الاضحى ويوم الفطر ” رواه ابو داود ” (٣) واحمد والنسائي . على شرط مسلم .

(١) أفاض شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع بما يكفى ويشفي . في كتابه القيم اقتضاء الصراط المستقيم . ولذا فمأذونه هنا مقتبس من كلامه رحمه الله .

(٢) المصدر السابق ص ١٨١

(٣) كتاب الصلاة / ٠ ٦٧٥ ح ١١٣٤ وانظر الاقتضاء الصراط ص ٨٤

ووجه الدلالة : أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة بل قال " ان الله قد ابدلكم بهما خيراً منهما . . " والابدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه ، اذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه . وهذه العبارة لا تستعمل الا فيما ترك اجتماعهما كقوله تعالى " اغتخذوا ذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس لِبظالمين بدلا " . هـ الكهف .
وقوله صلى الله عليه وسلم " خيراً منهما " يقتضي الاعتياض بما شرع لنا عما كان في الجاهلية .

والمحذور في أعياد أهل الكتابين التي نقرهم عليها اشد من المحذور في أعياد الجاهلية التي لانقرهم عليها ، فان الامة قد حذروا مشابهاة اليهود والنصارى واخبروا ان سيفعل قوم منهم هذا المحذور ، بخلاف يمين الجاهلية فانه لا يعود الا في آخر الدهر عند اخترام أنفس المؤمنين عموماً ، ولولم يكن اشد منه فانه مثله على ما لا يخفي ، ان الشر الذي له فاعل موجود يخاف على الناس منه اكثر من شر لا مقتضى له قوي . (١)

أما الاجماع : فما هو معلوم من السير أن اليهود والنصارى والمجوس ما زالوا في أعمار المسلمين بالجزية يفعلون أعيادهم التي لهم ، ومع ذلك لم يكن على عهد السلف من المسلمين من يشركهم في شيء من ذلك .
وكذلك ما فعله عمر بخصوص أهل الذمة - سيأتي ذكر ذلك قريباً -

وما اتفق عليه الصحابة والفقهاء أن أهل الذمة لا يظهرون اعيادهم في دار الاسلام ، وانا كان هذا اتفاقهم فكيف يسوغ للمسلمين فعلها ؟ اوليس فعل المسلم لها اشد من فعل الكافر لها مظهراً لها ؟

(١) انظر الاقتضاء من ١٨٤ - ١٨٦

وقد قال عمر رضي الله عنه : " اياكم ووطانه الاعاجم ، وأن تدخلوا على
المشركين يوم عيدهم في كنائسهم فان السخطة تنزل عليهم " رواه ابوالشيخ
الاصبهاني ورواه البيهقي باسناد صحيح ، (١)
وأما الاعتبار : فالاعیاد من جملة الشرع ، والمناهج والمناسك التي قال
الله فيها : " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً " ٤٨ المائدة . فلا غرو
بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج ، فان الموافقة
في جميع العيد : موافقة في الكفر ، والموافقة في بعض فروعها : موافقة
في بعض شعب الكفر ، بل ان الاعیاد من أخص ما تتميز به الشرائع ، ومن
أظهر مالمها من الشعائر ، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر
وأظهر شعائره .

ولاريب : ان الموافقة في هذا قد تنتهي الى الكفر في الجملة . (٢)
ثم ان عيدهم من الدين الطمعون هو ^كوأهله ، فموافقتهم فيه موافقة
فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه .
ومن أوجه الاعتبار ايضا : أنه اذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى الي
فعل الكثير ، ثم اذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله
حتى يصير عادة للناس بل عيداً لهم ، حتى يضاهي بعيد الله ، بل قد
يزيد عليه حتى يكاد ان يفضي الى موت الاسلام وحياته الكفر (٣)
أما ما ينعكس على نفوسهم اذا تشبه بهم المسلمون في العيد خاصة فهو السرور
والفرح لان في ذلك رفعة لباطلهم وتنافيا لمبدأ القهر والجزية والصفار
الواقعين تحته .

(١) نفس المصدر ص ١٨٢ ، ١٩٩

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٨

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٩

وخلاصة المشابهة : انها تقضي الى كفر أو محصية غالباً ، أو تفضي اليهم
في الجملة وليس في هذا المفضي مصلحة ، وما أفضى الى ذلك كان محرماً
فالمشابهة محرمة ، والمقدمة الثانية لا ريب فيها ، لأن استقرار الشريعة يدل
على أن ما أفضى الى الكفر غالباً حرام وما أفضى اليه علي وجه خفي حرام
وما أفضى اليه في الجملة ولا حاجة تدعوا اليه حرام . (١)

وبعد أن يتمعن المسلم كل هذه الاحكام بخصوص العيد ~~ظن~~
ان يقيس بمقياس الكتاب والسنة : الاعياد المحدثه اليوم ومن يحدثونها
ومن يهنئون بها الكفرة والملاحدة . مثل عيد الثورة ! وعيد الجلوس ! وعيد
الميلاد ! وعيد الأم ، وعيد تحكيم القانون ونبد الشريعة وعيد الوطن
وعيد الجلاء . . . الى آخر هذه المسميات والاسماء الجاهلية التي ما أنزل
بها من سلطان ، والتي هي مضاهاة ومنازعة لشريعة الله وحكمه .

صورة مشرقة من صور التمييز في المجتمع الاسلامي الأول

كلما عاد الحديث الى الرعييل الاول كان له حلاوة خاصة تبهر
في النفس الأمل والرجاء بالافتداء بأولئك العظام ، وتحفز الهم لتشمرو
عن ساعد الجد فتلحق بركب قافلة الايمان ، ودعاة الهدى والخير .
ولقد كانت الشروط الصعبة التي وضعها الفاروق رضي الله عنه
مثالاً رائعاً في تعامل المسلمين مع غيرهم وتميز أهل الذمة عن المسلمين
ما يحفظ على المجتمع الاسلامي شخصيته المستقلة ويعرئ لاولئك الذميين
حقوقهم التي أمر بها هذا الدين الحنيف .

إن الحرص الصوري على تمييز المسلمين عن غير المسلمين هو عصب
هذه العقيدة في نفسه والقيام بمسئوليتهم كراع للأمة يعلم انه مسئول عنها كما
في الحديث الصحيح " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (١) متفق عليه .
والذي جعلني أختار موضوع أهل الذمة في هذه النقطة بالسذات
هو أن وضع الذميين في الدولة الاسلامية وضع خاص غير وضع الكفار الحربيين
أو المهانين .

وحيث ينشأ ويميش الذميون وسط المجتمع الاسلامي فان هذا شيء
يجب أن يكون محاطاً بحصانة خاصة للمسلمين لئلا يودي احتكاكهم بالذميين
الى التشبه بهم وذوان الشخصية الاسلامية التي اراد لها هذا الدين
أن تكون فريدة متميزة في كل شيء .

ثم ان صفات هذا الدين الحنيف العدل حتى مع الكفار ، ولكن

(١) صحيح البخاري كتاب الأحكام ١٣/١١١ ح ٧١٣٨ وصحيح مسلم كتاب

ما حدود هذا العدل ومسامته ؟ خاصة وأنه قد أقر " الذميين " علي العيش وسط المجتمع الاسلامي ؟

الجواب : هو ماورد في " الشروط العمرية " التي نصت علي حماية المسلمين وكفلت للذميين حقوقهم علي أن يكونوا هم أيضاً متميزين بزيهم وديانتهم حتى لا يلتبس المسلم بالذمي : وينتج من ذلك خليط لا يعرف له اتجاه محدد وهوية خاصة . وهذه الشروط - كما يقول عنها شيخ الاسلام ابن تيمية -

منها : ما مقصوده التمييز عن المسلمين في الشعور واللباس ، والاسماء ، والمراكب والكلام ونحوها ليميز المسلم من الكافر ولا يشبه احدهما الاخر في الظاهر .

ولم يرض عمر رضي الله عنه والمسلمون بأصل التمييز ، بل بالتمييز في عامة الهدى وذلك يقتضي : اجماع المسلمين علي التميز عن الكفار ظاهراً ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل الصريين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود . ومنها : ما يعود باخفاء منكرات دينهم وترك اظهارها ، كمنعهم من اظهار الخمر ، والناقوس والنبوت في الأعياد . ومنها : ما يعود باخفاء شعار دينهم لأصواتهم بكتابهم .

ومنها : ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذي شرعه الله . (١) واليك نص هذه الشروط :

روى سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال : كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام ، وشروط عليهم فيه الا يحدثوا في مدینتهم ولا فيما حولها نهياً ولا كيسة ، ولا قلابية (٢) ، ولا صومعة

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١٢٣ - ١٢٤

(٢) القلابية : مبنى بينه النصارى كالمنارة ولا تكون الا لواحد يتفرد فيها بنفسه ولا يكون لها باب ، بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرايه وما يحتاج اليه . انظر احكام اهل الذمة ٦٦٨/٢ .

راهب ، ولا يجددوا ما حارب ، ولا يمنعوا كنائسهم ان ينزلها احد من المسلمين
ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يوءوا جاسوساً ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا
اولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الاسلام
ان ارادوه وان يوقروا المسلقين ، وان يقوموا لهم من مجالسهم اذا ارادوا
الجلوس ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ، ولا يتكفوا بكنائسهم ،
ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيقاً ، ولا يبيعوا الخمر ، وان يجزوا مقادير
روءوسهم ، وان يلزموا زيهم حيثما كانوا ، وان يشدوا الزناجر على اولادهم
ولا يظهروا صليحاً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ، ولا يجاوروا
المسلمين يموتاهم ، ولا يضربوا بالناقوس الا ضرباً خفياً ، ولا يرفعوا اصواتهم
بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانيمهم ،
ولا يرفعوا اصواتهم مع موتاهم ، ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق
ما جرت فيه سهام المسلمين .

فان خالفوا شيئاً مما شرطوه فلانمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل
من اهل المعاندة والشقاق . (١) انتهى .

ولهذه الشروط طرق اخرى في روايتها ، ولكنها كلها تلتقي عند
هذا المعنى ، ولذلك عقب ابن القيم رحمه الله على اختلاف تلك الروايات
بقوله : وشهرة هذه الشروط تفني عن اسنادها ، فان الائمة تلقوها
بالقبول وذكرها في كتبهم واحتجوا بها ، ولم يزل ذكر الشروط العصرية علي
السنتهم وفي كتبهم ، وقد أنفذها من بعدهم الخلفاء وعملوا بها (٢)

(١) احكام اهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦١ - ٦٦٢

(٢) " " " " " " ٢/٦٦٣ وانظر اقتضاء الصراط ص ١٢٢

سبحان الله !!!

ما هذا البون الشاسع بين تلك القمة وبين هذا الفناء الذي يعيش اليوم على
الارض متميعاً متسكماً وراء الكفار والملاحدة ؟ وبحسب نفسه مسلماً ؟
اين تلك العزة والقوة والسلطان الرباني الذي أخذ به ذلك الجيل ، وايسن
الضعف والاستخذاء والتبعية العمياء التي يعيشها " المسلمون " اليوم ؟
ترى : هل المنتسبون اليوم للاسلام في درجة الذميين الذين كُبت عليهم
هذه الشروط ؟

هل " للمسلمون " اليوم ذميون للكفار ؟

ان الذي يظهر لي انه حتى على هذا الافتراض الاخير فان المسلمين اليوم أقل
قدراً من ذمبي الأمم ، ذميو الامم : في صفار وفي ذلة وفي زى معين ومكسان
معين . نعم .

أما مسلمو اليوم ففي صفار وذلة واستكانة عن اسلام وتبعية للشرق الطعند
والغرب الكافر ، واعجاب وانهار بما عليه أعداء الاسلام ، وسخرية واستهزاء
بما كان عليه سلف هذه الأمة !

من هنا فهم أحط قدراً عند الله - ماداموا بهذه الصفات - واحقر من أن يُهابوا
وأصفر من أن يُسمع لهم كلمة في المجتمع الدولي المعاصر .

فعلي السلم الصادق . السلم الواعي . السلم المدرك لحقيقة

اسلامه ان يعرف اين يضع قدمه ولمن يهب حبه وولاه ، وأن يعلم ان حب أعداء
الله وموالاتهم والتشبه بهم لا يلتقي مع صدق ايمانه وانما يفعل ذلك من يزعم
الاسلام زعماً رئيس ذلك الزعم الكاذب .

وقد ذكر علماء الاسلام ما ينتقض به عهد الذي حرصاً على حمايته

المسلمين من أي دخيل يستغل سماحة الاسلام فيفدر بالمسلمين . وهذه

التواقض :

- (١) الاعاقة على قتال المسلمين ، وقتل المسلم والمسلمة .
 - (٢) قطع الطريق عليهم .
 - (٣) ايذاء جواسيس المشركين او التجسس للمشركين بأن يكتب لهم اسرار المسلمين .
 - (٤) الزنا بالمسلمة او اصابتها باسم النكاح .
 - ٢٥ فتن المسلم عن دينه .
 - (٦) سب الله والنبي صلى الله عليه وسلم . (١)
- والادلة على انتقاض عهد الذي بسب الله او كتابه او دينه او رسوله ووجوب قتله ، وقتل المسلم اذا فعل ذلك كثيرة من الكتاب والسنة واجمع الصحابة والتابعين والاعتبار . (٢)
- اما الكتاب : فقوله تعالى " وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطمعوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون "
- ١٢ التوبة .
- وقوله تعالى " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " ٢٩ التوبة .
- وقوله تعالى " ان الذين يؤمنون بالله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤمنون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتلوا بهتانا واثماً مبيناً ٥٧ - ٢٨ الاحزاب .
- ومن السنة : مارواخ الشعبي عن علي رضي الله عنه ان يهودية كانت تشتتم

(١) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٥ - ٢٦

(٢) المصدر السابق : والمواد بالاعتبار : القياس .

النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت فأهبط رسول
الله صلى الله عليه وسلم دمها* (١) رواه ابو داود وابن بطة في سننه ،
والحديث متصل لأن الشعبي رأى علياً وكان على عهد علي قد ناهز العشرين
سنة . ثم ان كان فيه ارسال - لان الشعبي يبعد سماعه من علي - فهو
حجة . وفقاً ، لأن الشعبي عندهم صحيح المراسيل لا يعرفون له مرسلاً
الا صحيحاً . (٢)

وايضا مرواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن اعى كانت له
امولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها
فلا تنزجر ، فلما كان ذات ليلة جمعت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم
وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها وانكأ عليها فقتلها ، فلما أصبح
ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال * أشد رجلاً فمسل
ما فعل لي عليه حق الآقام* قال : فقام الأعى يتخطي الناس وهــــــــــــــ
يتدلدل ، حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر ،
ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة
جمعت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعت في بطنها وانكأت عليه حتى
قتلها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم * الا اشهدوا أنها دمها هدر* رواه
ابو داود والنسائي . (٣)

(١) سنن ابن داود كتاب الحدود ٤/٥٣٠ ح ٤٣٦٢ ، والدارقطني: فسي

الحدود ٣/١١٢ ح ١٠٢ قال الحافظ في بلوغ العرام رواه ثقلت

انظر التعليق المفتى ٣/١١٢ .

(٢) الصارم السلول ص ٦١

(٣) ابو داود كتاب الحدود ٤/٥٢٨ ح ٤٣٦١ والنسائي في باب حكم

من سب النبي ٧/١٠٨ واسناده حسن

ومن السنة أيضاً ! ما احتج به الشافعي على أن الذي إذا سب قتل
وبرئت منه الذمة وهو قصة كعب بن الأشرف اليهودي ، والحديث متفق عليه .^(١)
وأما اجماع الصحابة : فقد نقل ذلك عنهم في قضايا متعددة مستفيضه
ولم ينكرها احد فصارت اجماعاً ومن ذلك : مرفع الي المهاجرين ابي أمية^(٢)
وكان أميراً على اليمامة ونواحيها : أن امرأتين مغنيتين غنت احداهما بشتم
النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها ، وغنت الاخرى بهجاء
المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتها ، فكتب اليه أبو بكر : بلغني الذي
سرت به في المرأة التي تغنت وزممت بشتم النبي صلى الله عليه وسلم فلو
ما قد سبقتي لامرتك بقتلها ، لأن حد الانبياء ليس يشبه الحدود ، فمن
تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر .^(٣)
وفي عهد عمور رضي الله عنه : جاءه رجل من أهل الكتاب - هيسن
دخل الشام - وهو مشجوع مضروب ففضب لذلك محمراً وأمر باحضار عوف بن
مالك^(٤) الاشجعي لانه هو الذي فعل ذلك بالذي فلما سأله عمر عن فعله

(١) صحيح البخارى كتاب المفازي ٧/٣٣٦ ح ٤٠٣٧ وسلم في الجهاد ٢/١٤٢٥

ح ١٨٠١

(٢) المهاجرين ابي امية بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أخو

أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال الزبير: شهد يدراً مع المشركين

ولاه رسول الله على صدقات صنعاء ، ثم ولاه أبو بكر . الاصابة ٣/٤٦٥

(٣) انظر الصارم المسلول ص ٢٠٠

(٤) عوف بن مالك الاشجعي قال الواقدي اسلم عام خيبر ونزل حمص ، وقال

غيره شهد الفتح وكانت معه راية اشجع ، قال ابن سعد أخى النبي صلى

الله عليه وسلم بينه وبين ابي الدرداء مات سنة ٧٣ في خلافة

عبدالملك . الاصابة ٣/٤٣

هذا قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بأمرأة سلمة على حمار ففخس بها للصرع ، فلم يصرع ، فدفعها فصرعت فغشيها ، وأكب عليها ، فقال عمر أئتنى بالمرأة فلنصدق على ما قلت فأثاها هوف ، فذهب معه أبوها وزوجها فأخبرا عمر بمثل قول عوف ، فأمر عمر باليهودي فغلب وقال : ما طعسي هذا صالحناكم ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في نمة محمد صلى الله عليه وسلم فمن فعل منهم مثل هذا فلا نمة له . (١)

وأما الاعتبار : فمن وجوه : (٢)

أحدها : ان عيب ديننا وشم نبينا مجاهدة لنا ومحاربة ، فكان نقضاً للعهد كالمجاهدة والمحاربة بطريق الأولى .

الثاني :- ان مطلق العهد الذي بيننا وبينهم يقتضي ان يكفوا ويسكوا عن اظهار الطعن في ديننا ، وشم رسولنا ، كما يقتضي الامساك عن دلائلنا ومحاربتنا .

الثالث : ان الله فرض علينا تعزيز رسوله وتوقيره ، وتعزيره : نصره ومنعه ، وتوقيره اجلاله وتعظيمه ، وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق . فلا يجوز ان نصالح أهل الذمة ، وهم يسمعوننا شتم نبينا واظهار ذلك ، لأننا اذا تركناهم على هذا تركنا الواجب علينا نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) الاموال لابي عبيد ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٢) الصارم السلول ٢٠٦ - ٢٠٩

الأمكنة التي يضع أعداء الله من دخولها والاقامة فيها

قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء " إن الله عليكم حكيم " ٢٨ التوبة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " انطلقوا إلى يهود " فخرجنا معه حتى إذا جئنا بيت المدراس تأك النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال : " يسلموا معشر اليهود : اسلموا تسلموا " فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أريد ، فقال : اسلموا تملصوا ، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك أريد ، ثم قالها الثالثة فقال : " اعلموا إنما الأرض لله ورسوله ، وأنسي أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، والا - فاعلموا إنما الأرض لله ورسوله " متفق عليه ولفظه للبخاري (١)

وقال صلى الله عليه وسلم " اخرجوا المشركين من جزيرة العرب " متفق عليه (٢) وقال ايضاً " لا يخرجين اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلماً " رواه مسلم (٣) .

وهذه النصوص الصريحة الواضحة وغيرها توضح - بجلاء - مدى حرص الاسلام على حماية أمته من معايشرة الكفار ، ومعايشتهم لطغي ذلك من جلب لمودتهم

(١) كتاب الاكراه ٣١٧/١٢ ح ٦٩٤٤ ومسلم في الجهاد ٣/٣٨٧ ح ١٧٦٥

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد ٦/١٧٠ ح ٣٠٥٣ وصحيح مسلم فسي

كتاب الوصية ٣/١٢٥٨ ح ١٦٣٧ .

(٣) كتاب الجهاد ٣/٣٨٨ ح ١٧٦٧ .

وموالا تهم التي نهى الله عنها .

قال الشافعي رحمه الله : يمنعون من الحجاز وهو مكة والمدينة واليمامة وقراها . أما غير الحرم منه فيمنع الكتابي وغيره من الاستيطان والاقامة به ، وله الدخول بانن الامام لمصلحة كاداء رسالة أو حمل متاع يحتاج اليه المسلمون ، وإن دخل لتجارة ليس فيها كثير حاجة لم يسأل عنه الا بشرط ان يأخذ من تجارته شيئا ، ولا يمكن من الاقامة اكثر من ثلاثة (١) وعقب ابن القيم رحمه الله على كلام الشافعي بقوله : أما حرم مكة فانهسب يمنعون من دخوله بالكلية فلو قدم رسول لم يجز أن يأذن له الا في دخول الوالي أو من يثق به اليه . وأما حرم المدينة فلا يمنع من دخوله لرسالة او تجارة او حمل متاع . (٢)

اعتراض وجوابه

ان قيل : ان الله سبحانه انما منع المشركين من قربان المسجد الحرام ولم يمنع أهل الكتاب منه ، ولهذا ان مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحج الاكبر انه لا يحج بعد العام مشرك والمشركون الذين كانوا يحجون هم عبدة الاوثان لا أهل الكتاب ؟ (٣)
والجواب : للناس قولان في دخول اهل الكتاب في لفظ المشركين :
" فابن عمر رضي الله عنهما وغيره كانوا يقولون : هم من المشركين ، قال

(١) احكام اهل الذمة ١ / ١٨٤ وقارن بالاموال لابي عبيد ص ٩٠

(٢) احكام اهل الذمة ١ / ١٨٥

(٣) المصدر السابق ١ / ١٨٨

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا أعلم شركاً أعظم من أن يقول المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، وقد قال الله فيهم " اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون " ٣١ التوبة .

والثاني " لا يدخلون في لفظ " المشركين " لان الله سبحانه جعلهم فيهم في قوله " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصائبين " الاية البقرة .

" قال ابن تيمية : والتحقيق : " أن أصل دينهم دين التوحيد فليسوا من المشركين في الاصل ، والشرك طارى عليهم فهم منهم باعتبار طعموس لهم لا باعتبار أصل الدين ، فلو قدر أنهم لم يدخلوا في لفظ الاية دخلوا في عمومها المعنوي وهو كونهم نجس والحكم يعم بعموم علته " وجميع الصحابة والائمة فهموا من قوله " فلا يقربوا المسجد الحرام بمسدهم هذا " ان المراد مكة كلها والحرم ولم يخص ذلك أحد منهم بنفس المسجد الذي يطاف فيه . ولما نزلت هذه الاية كانت اليهود بخير وما حولها ولم يكونوا يمتعون من المدينة . (١)

الفصل السابع

تعامل المسلمين مع غير المسلمين وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الاول : الفرق بين الموالاة وحسن المعاملة

(كلمة حول ما يسمى بزمانة الاديان)

أجدني مضطراً لذكر هذه المسألة لتوضيح وبيان وجه الحق والصواب حول هذا المفهوم الخاطي ، الذي خلط فيه الحق بالباطل. وطالب العلم المبتدىء - مثلي - يعجب لمشائخ كبار من أهل العلم " وقموا في هذا الفسخ الذي تولى كبر الدعوة له اعداء هذا الدين من صليبيين ويهود !

ويؤاد من وراء هذا التقريب والزمالة المزعومة اضاعة تميز المسلم وانصهار شخصيته في تيار هذه الدعوة المشبوهة .

ونحب أن نقرر - ابتداءً - أن الرسائل السماوية التي أنزل الله بها رسالته عليهم السلام كلها تدعو الى عبادة الله وحده قال تعالى " ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " ٣٦ النحل مع اختلاف في الشرائع اقتضتها حكمة ربانية لانعلمها .

ولكن الرسائل التي سبقت الرسالة المحمدية الخاتمة : اعتورها التحريف والتبديل الذي صنعتة ايد بشرية " يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون " ٧٩ البقرة .

لذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته ان تكون رسالة محمد بن عبد الله صلى

الله عليه وسلم هي خاتمة الرسائل وناسخة لما قبلها من الشرائع .

ولا بد : * أن نورد طرفاً من أقوال دعاة التقارب بين الأديان كمسما
يسمون أنفسهم : الذين يزعمون أنهم بصليصهم هذا يخذمون الاسلام والبشرية
كلها . يقول الشيخ مصطفى الطراغبي في رسالة بعثت بها الى مؤتمر الاديان
العالمي : (اقتلح الاسلام من قلوب المسلمين جذور الحق الديني بالنسبة
لاتباع الديانات السماوية الاخرى وأثر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع
البشري . ولم يمنع أن تتعايش الاديان جنباً الى جنب) (١) ٤١
ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : (اذا اختلفت الاديان فان أهل كل دين لهم
ان يدعو الى دينهم بالحكمة والموعظة (١)) من غير تعصب يصم عن الحقائق
ولا اكراه ولا اغراء بغير الحججة والبرهان) (٢)

أما الدكتور وهبة الزحيلي فيقول : (ليس من أهداف الاسلام ان يفرض
نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، اذا ان كل
ذلك محاولة فاشلة ، ومقاومة لسنة الوجود ، ومماندة لارادة الالهية) (٣)
وغير هؤلاء الثلاثة خلق كثير .

وهذه الاقوال فيها من المغالطات ما هو ظاهر لكل ذي عينين ، فمن قال :
ان الدين الاسلامي يسمح للنصراني : ان يدعو الى نصرانيته ، ولليهودي
ان يدعو الى يهوديته والبوذي أن يدعو الى بوذيته ، وغير ذلك من اديان

(١) نقلا عن آثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص ٦٣
ط ٢ / سنة ١٣٨٥ هـ وهذا الرجل دعا الى اكثر من ذلك تفسيسه
لبعض آيات القرآن . وتكلم بكلام لا يقره العامي الموحد فضلا عن
طالب العلم والعلماء .

(٢) العلاقات الدولية في الاسلام ص ٢٤ الناشر الدار القومية للطباعة

سنة ١٣٨٤ هـ

(٣) آثار الحرب ص ٦٥

البشر الوضعية أو الأديان المحرفة ؟

هل هؤلاء الدعاة يجهلون ما ذكره القرآن عن بني إسرائيل وقتلهم الأنبياء
ثم تعريف الثوراة والانجيل ، ثم اللعب بالكتب المنزلة حسبما تطيه عليهم
اهوا وهم ؟

هل هؤلاء يجهلون قوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
٧٣ المائدة . ؟

وقوله تعالى " وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن
الله ذلك قولهم بأفواههم يمشاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله
أنبي يَكْفُرُونَ " ٣٠ التوبة .

وقوله تعالى " ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء " ٨٩ النساء
وقوله تعالى " ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا "
١٠٩ البقرة .

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين عداوة أهل الكتاب للمسلمين .
ورحم الله الاستاذ الجليل ، العالم الرباني سيد قطب حين قال : ان
سماحة الاسلام مع أهل الكتاب شيء نز واتخاذهم أولياء شيء آخر ، ولكنهما
يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الروية الكاطية
لحقيقة هذا الدين ووظيفته ، الذي يهدف الى انشاء ، واقع في الارض -
وفق التصور الاسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات المسيحية
تعرّفها البشرية .

ان هؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة لانه ينقصهم الحس
المعركة وطبيعة
التقي بحقيقة العقيدة كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة أهل الكتاب
فيها : ويففلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها ، فهم
يخلطون بين دعوة الاسلام الى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم

في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاة الذي لا يكون الا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة ، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة ، وأن هذا شأن ثابت لهم ، وأنهم ينتمون من المسلم اسلامه ، ولن يرضوا عن المسلم الا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

وسداجة أية سداجة ، وغفلة أية غفلة ان نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين ! امام الكفار والملحدين ! فهم مع الكفار والملحدين اذا كانت المعركة ضد المسلمين ! يقول السذج : اننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب للوقوف في وجه المادية والالحاد - بوصفنا جميعاً أهل دين ! ناسين تعليم القرآن كله . وناسين تعليم التاريخ كله .

فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين " هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلاً " ٥١ النساء .

وهم الذين ألجأوا المشركين على المسلمين في المدينة وكانوا لهم درعاً ورداً .

وأهل الكتاب هم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام . وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس ، وهم الذين شردوا المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم ، متعاونين في هذا مع الالحاد والمادية !

وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان فسي الحبشة والصومال وارتيريا وغيرها حيث يتعاونون في هذا التشريد مع الالحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان !

ان هؤلاء الذين يظنون - وهم وهمون - انه يمكن ان يقوم بيننا وبين أهل

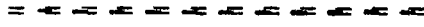
الكتاب هو "هؤلاء" ولا "وتناصر" ندفع به العادية العادية عن الدين : لا يقرأون القرآن ، وانا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الاسلام فظنوها دعوة هؤلاء الذي يحذر منه القرآن . ومن هنا يحاولون تمييز المفاصلة الحاسمة بين المسلمين وأهل الكتاب ، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية . فكما انهم مخطئون في فهم الأديان هم أيضا مخطئون في فهم معنى التسامح .

ان الدين الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدين عند الله . والتسامح يكون في المعاملات الشخصية ، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي . أما هؤلاء ، فيحاولون تمييز اليقين الجازم في نفس المسلم الذي يقرر ان الله لا يقبل ديناً الا الاسلام ، وأن على المسلم أن يحقق منهج الله المثل في الاسلام ولا يقبل دونه بديلاً ، ولا يقبل فيه تعديلاً - ولو طفيفاً - قال تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام " ١٩ آل عمران .

" ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه " ٨٥ آل عمران .
والاسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء ، ودعاهم الى الاسلام جميعاً لان هذا هو " الدين " الذي لا يقبل الله غيره من الناس جميعاً . والمسلم مكلف ان يدعو أهل الكتاب الى الاسلام ، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء ، وهو غير مأذون في ان يكره احد من هؤلاء ولا هؤلاء علي الاسلام ، لان العقائد لا تتشأ في الضمائر بالاكراه ، فالاكراه في الدين فوق انه منهبي عنه ، هو كذلك لاشرة له . (١)

(١) بتصرف . انظر في ظلال القرآن ج٢/٩٠٩ - ٩١٥

الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى



قلنا قبل قليل ان التولاة شي* والمعاملة بالحسنى شي* آخر والاصل
في هذا قوله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله
يحب المقسطين " ٨ المتعنه
وقد اختلف اهل العلم في تفسيرها فقال بعضهم ان المعنى بها : الذين
كانوا امنوا بمكة ولم يهاجروا فان الله للمؤمنين ببرهم والاحسان اليهم
والى هذا ذهب مجاهد .

وقال آخرون : عني بها من غير اهل مكة من لم يهاجر .
وقال آخرون . بل عني بها من مشركي مكة من لم يقاتل المؤمنين ولم
يخرجوهم من ديارهم ونسخ الله ذلك بعد بالامر بقتالهم . ويروي هذا
عن قتاده . (١)

ورجح ابن جرير : ان أولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال :
عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين من جميع
اصناف الملل والا ديان ان تبروهم وتصلوهم وتقسطوا اليهم . لان الله
عز وجل عم بقوله " الذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم "
جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخص به بعضاً دون بعض ، ولا معني
القول من قال : ذلك منسوخ . لان برالمؤمن اهداً من اهل الحرب
من بينه وبينه قرابة نسب ، او من لا قرابة بينهما ولا نسب غير محسوم ،
ولا منهبي عنه اذا لم يكن في ذلك لالة له او لأهل الحرب على عورة لأهل
الاسلام ، او تقوية لهم بكراع أو سلاح .

ويبين ذلك الخبر المروي عن ابن الزبير في قصة اسما مع أمها . (١)
والاسلام بفعله هذا - حتى في حالة الخصومة - يستثقي اسباب العرف في
النفوس بنظافة السلوك ، وعدالة المعاملة انتظاراً لليوم الذي يقتتح فيــــه
خصومه بأن الخير في أن ينضوا تحت لوائه الرفيع . (٢)

وقد سبق الحديث في أول هذا البحث : أن الله أمر بصلة الاقارب
الكفار والمشركين وأن ذلك ليس موالاة لهم في شيء .

ونزيد هذا الامر ايضاً بقصة اسما بنت أبي بكر رضي الله عنها مع أمها .
نقد روى البخاري ومسلم عن اسما رضي الله عنها قالت - قدمت
علي امي وهي مشركة في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستفتيت رسول
الله صلي الله عليه وسلم قلت : ان امي قدمت علي وهي راغبة أفأصل امي ؟
قال : نعم صلي أمك" (٣)

قال الخطابي : فيه - اي الحديث - ان الرحم الكافرة توصل من المال
ونحوه كما توصل المسلم ويستتبط منه وجوب نفقة الاب الكافر والام الكافرة
وان كان الولد مسلماً . (٤)

قال ابن حجر : البر والصلة والاحسان لا يتسلزم التعاب والتواد المنهسي
عنه في قوله تعالى " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله " الاية فانها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل . (٥)

(١) تفسير الطبري ٦٦/٢٨

(٢) انظر الظلال ٣٥٤٤/٦

(٣) صحيح البخاري كتاب الهبة باب الهدية للمشركين ٥/٢٣٣ ح ٢٦٢٠ وصحيح

مسلم كتاب الزكاة ٢/٦٩٦ ح ١٠٠٣ .

(٤) فتح الباري ٥/٢٣٤

(٥) فتح الباري ٥/٢٣٣

وقال ابن القيم : الذى يقوم عليه الدليل وجوب الانفاق ، وان اخطف الدينان لقوله تعالى " ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنأ على وهن وفصاله فسنى عامين ان اشكر لى ولوالديك الى الحسير " وان جاهداك على ان تشرك بسنى ما لم ينك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً (١٤ - ١٥) لقمان وليس من الاحسان ولا من المعروف ترك ابية وامه فى غاية الضرورة والفاقسة وهو فى غاية الغنى . وقد ذم الله قاطعى الرحم وعظم قطيعتها وأوجب حقها وان كانت كافرة لقوله تعالى " واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام "

١ النساء وفى الحديث " لا يدخل الجنة قاطع رحم " (١)

وصلة الرحم واجبة ، وان كانت لكافر ، فلة دينه وللواصل دينه . وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد . فان الميراث ميناه على النصرة والمسؤولاة بخلاف النفقة فانها صلة ومواساة من حقوق القرابة .

وقد جعل الله للقرابة حقاً - وان كانت كافرة - فالكفر لا يسقط حقوقها فى الدنيا . قال تعالى : " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين والمجانزى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم " ٣٦ النساء وكل من ذكر فى هذه الاية فحقه واجب وان كان كافراً ، فما بال ذى القربى وحده يخرج من جملة من وصى الله بالاحسان اليه ؟ (٢)

(١) صحيح البخارى كتاب الادب باب اثم القاطع ١٠ / ٤١٥ ح ٥٩٨٤
وصحيح مسلم فى كتاب البر والصلة ٤ / ١٩٨١ ح ٢٥٥٦ ويلاحظ
هنا : ان النكرة وقعت فى سياق النفي فتعم .
(٢) احكام أهل الذمة ٢ / ٤١٧ - ٤١٨

من هنا ؛ يتضح لنا ؛ ان الموالاة الممثلة في الحب والنصرة شيء . والنفقة
والصلة والاحسان للاقارب الكفار شيء آخر . وسماحة الاسلام أيضاً تتضح
في معاملة الاسرى والشيوخ والاطفال والنساء في الحرب . كما هو ملاحظ
من صفحاته المشرقة .

المبحث الثاني

التعامل مع الكفار

١- البيع والشراء

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الأصل أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون اليها الا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه ، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها الى الله الا ما دل الكتاب والسنة على شرعه . ان الدين ما شرعه الله ، والحرام ما حرمه الله ، بخلاف الذين ذمهم الله حيث هموا من دون الله ما لم يحرمه الله واشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً ، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . (١) وانطلاقاً من هذه القاعدة وبناءً على النصوص الشرعية وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الراشدين وائمة المسلمين نقول : ان التعامل مع الكفار في البيع والشراء والهدية وخلاف ذلك لا يدخل في سعي المولاة ، بل يباح للمسلم البيع والشراء مع الكفار فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يُسأل عن معاملة التتر فيقول :

” يجوز فيها ما يجوز في معاملة امثالهم ، ويحرم فيها ما يحرم في معاملة امثالهم ، فيجوز ان يبتاع الرجل من مواشيهم وخيلهم ونحو ذلك كما يبتاع من مواشي الاعراب والتركمان والاكراد ويجوز ان يبيعهم من الطعام والثياب ونحو ذلك ما يبيعه لا امثالهم .

” فاما ان باعهم او باع غيرهم ما يعينهم به على المحرمات ، كببيع الخيل والسلاح لمن يقاتل به قتالاً محرماً فهذا لا يجوز قال تعالى

”وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان“ ٢ المائدة .
”وانا كان الذي معهم أو مع غيرهم : أموال يحرف انهم غضبوا مسن
معصوم فذلك لا يجوز اشتراؤها لمن يمتلكها ^{كث} إذا اشترت على طريق الاستنقاذ
لتصرف في مصارفها الشرعية فتعاد الى اصحابها - ان أمكن - والاصرفت
في مصالح المسلمين : جاز هذا. وانا علم ان في اموالهم شيئاً محرماً
لا تعرف عينه ، فهذا لا تحرم معاملتهم فيه كما اذا علم ان في الاسواق ما
هو مفصوب وسروق ولم يعلم عينه“ (١)

وقد روى البخارى في كتاب البيوع باب الشراء والبيع مع المشركين
واهل الحرب عن عبدالرحمن ابن ابي بكر رضي الله عنهما قال : كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء ، رجل مشرك مشمان ^(٢) طويل ينفسم
بسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ”بيعا ام عطية“ او قال : ام
هبة ؟ فقال : لا. بيع فاشترى منه شاة . (٣)

قال ابن بطال : معاملة الكفار جائزة الا بيع ما يستعين به اهل الحروب
على المسلمين . (٤)

وثبت أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أخذ من يهودى ثلاثين وسقاً
من شعير ورهنه درعه . (٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :-

”وانا سافر الرجل الى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا ، كما دل عليه
حديث تجارة ابي بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) المسائل الطردينية ١٣٢ - ١٣٣ تحقيق الشاويش ط ٣ سنة ١٣٩٩ هـ

(٢) اى طويل مشعت الشعير .

(٣) ٤١٠/٤ ج ٢٢١٦

(٤) فتح البارى ٤١٠/٤

(٥) مسند احمد ١٣٧/٥ ج ٣٤٠٩ تحقيق احمد شاکر وقال : اسناده صحيح

الى ارض الشام وهي حينذاك دار حرب وغير ذلك من الاحاديث .
" فأما بيع المسلم لهم في أعيادهم ما يستعينون به على عيدهم من الطعام
واللباس والريحان ونحو ذلك ، أو أهداء ذلك لهم : فهذا فيه نسوع
اعانة على اقامة عيدهم المحرم ، وهو مبنى على أصل وهو : انه لا يجوز
ان يبيع الكفار غنماً او عصيراً يتخذونه همراً .
وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً " (١)

٢- الوقف عليهم أو وقفهم على المسلمين

قال ابن القيم : اما ما وقفوه . فينظر فيه ، فان وقفوه على معينين
أو جهة يجوز للمسلم الوقف عليها كالصدقة على المساكين والفقراء واصلاح
الطرق والمصالح العامة ، أو على اولادهم وانسألهم واعقابهم : فهذا
الوقف صحيح . حكمه حكم وقف المسلمين على هذه الجهات لكن اذا شرط
في استحقاق الاولاد والاقارب بقاءهم على الكفر فان اسلموا لم يستحقوا
شيئاً " : لم يصح هذا الشرط و ولم يجز للحاكم ان يحكم بموجبه
باتفاق الامة لانه مناقض لدين الاسلام ، مضار لما بعث الله به رسوله
صلى الله عليه وسلم .

أما وقف المسلم عليهم : فانه يصح منه ما وافق حكم الله ورسوله ،
فيجوز ان يقف على معين منهم ، أو على اقاربه ، وبنى فلان ونحوه .
ولا يكون الكفر موجباً ولا شرطاً في الاستحقاق ولا مانعاً منه - فلو
وقف على ولده أو ابيه أو قرابته استحقوا ذلك وان بقوا على كفرهم ، فسان
اسلموا فالولى بالاستحقاق .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٩

وأما الوقف على كائنهم وبيعهم ومواضع كفرهم التي يقيمون فيها
شعار الكفر : فلا يصح من كافر ولا مسلم . فان في ذلك اعظم الاعانة
لهم على الكفر والمساعدة والتقوية عليه ، وذلك مناف لدين الله . (١)

(١) أحكام أهل الذمة (١ / ٢٩٩ - ٣٠٢) وانظر مجموعة الرسائل
والمسائل (١ / ٢٢٩) .

٣- عيادتهم وتهنئتهم

روى البخاري في كتاب الجنائز عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فعرض فاته النبي صلى الله عليه وسلم يعموده ، فقمده عند رأسه فقال له : اسلم . فنظر الى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : " الحمد لله الذي انقذه من النار " (١) وروى أيضا : قصة أبي طالب حين حضرته الوفاة فزاره النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الاسلام (٢) .

قال ابن بطال : انما تشرع عيادته اذا رجي ان يجيب الى الدخول فسي الاسلام ، فأما اذا لم يطمع في ذلك فلا . (٣) قال ابن حجر : والذي يظهر : أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يقع بعيادته مصلحة اخرى . (٤)

" أما تهنئتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق ، وذلك مثل ان يهنأهم باعيادهم فيقول : عيدك مبارك ، أو تهنأ بهذا العيد ، فهذا ان سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب ، بل ذلك أعظم اثما عند الله ، وأشد مقتاً من التهئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه .

(١) ١٣٥٦ ح ٢١٩/٣

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز ٢٢٢٢/٣ ح ١٣٦٠

(٣) ، (٤) فتح الباري ١١٩/١٠

وكثير ما لقدر للدين عنده يقع في ذلك ، ولا يدري قبح ما فعل . فمن
عناً عبداً بممصية ، أو بدعة او كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه ، وقـ
كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنته الظلمة بالولايات ، وتهنته
الجهال بمنصب القضاة والتدريس والافتاء تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه ،
” وان بلي الرجل فتعاطاه دفعاً لشر يتوقعه منهم فمشي اليهم ولم يقل
الا خيراً ودعاهم بالتوفيق والتسديد فلا بأس بذلك ” (١)

ويدخل في هذا أيضاً : تعظيمهم ومخاطبتهم بالسيد والمولى وذلك
حرام قطعاً ، ففي الحديث المرفوع ” لا تقولوا للمنافق سيد فإنه ^{أبيك} سينسأ
فقد اسخطتهم ربكم عز وجل ” (٢)

ولا يجوز ايضاً تلقيبهم - كما يقول ابن القيم - بمعز الدولة أو فلان السيد يد ،
أو الرشيد أو الصالح ونحو ذلك . ومن تسمى ^{بشيء} من هذه الاسماء لم يجز
للمسلم ان يدعو به ، بل ان كان نصرانياً قال : يانهراني ، يا صليبي ،
ويقال لليهودي : يا يهودي .

ثم قال ابن القيم بالنص (. . .) وأما اليوم فقد وفقنا الى زمان يصدر من فسي
المجالس ، ويقام لهم وتقبل ايديهم ويتحكمون في ارزاق الجند ، والاموال
السلطانية ، ويكون بأبي العلاء وابي الفضل ، وأبي الطيب ، ويسمون
حسناً وحسيناً وعثمان وعلياً ! وقد كانت اسماؤهم من قبل : يوحنا ومستي
وجرجس ويطرس وعزرا وأشعيا ، وحزقيل وحبي ، ولكل زمان دولة ورجال (٣) (٤) هـ
واذا كان هذا كلام العلامة ابن القيم وهو المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه
الله . فلينظر المسلم اليوم الى هذا الفناء الذي هو كفتاة السيل ، ينتسبون
للاسلام وهم يتبعون اعداء الله في كل صغيرة وكبيرة حتى لو دخلو جعر ضيماً

(١) احكام اهل الذمة لابن القيم ١ / ٢٠٥ - ٢٠٦

(٢) سنن ابي داود كتاب الادب ٥ / ٢٥٧ ح ٤٩٧٧ قال الالباني

اسناده صحيح . انظر المشكاة ٣ / ١٣٤٩ ح ٤٧٨٠

(٣) احكام اهل الذمة ٢ / ٧٧١

لد خلوه، وليست تبعية لهم فحسب بل انها تبعية باعجاب وانبهارا فما تمر
بأعدائنا مناسبة الا وتنهال التهاني عليهم من كل حدب وصوب بالتهنئة
والتبريك وممسول الأمانى !!

٤- حكم السلام عليهم

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام حين دعاه
أباه فأبى قال ابراهيم " سلام عليك " ٤٧ مريم .
فاما الجمهور فقالوا : المراد بسلامة السالمة التي هي المشاركة للم
التحية .

وقال الطبري : معناه : أمنة منى لك . وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام (١)
وقال بعضهم في معنى تسليمه . عوتحية مفارق . وجوز تحية الكافر
وأن يبدأ بها قيل لابن عيينة : هل يجوز السلام على الكافر ؟ قال الله
تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من -
دياركم ان تبرؤم وتقسطوا اليهم " ٨ المتحنه .
وقال " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم " ٤ المتحنه ، وقال ابراهيم
لابيه " سلام عليك " .

قال القرطبي : قلت : والأظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة . (٢)
وفي هذا الشأن حديثان : فقد روى أبوهريرة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : " لا تبذروا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم
احدهم في الطريق فاضطروه الى أضيقه " (٣)

(١) ، (٢) تفسير القرطبي ١١/١١١-١١٢

(٣) صحيح مسلم كتاب السلام ٤/١٧٠٧ ح ٢١٦٧ وابوداود في الادب

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً عليه اكان تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه اسامه بن زيد ، وهو يمسود سعد بن عباد في بني الحرث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر ، حتى مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان ، واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الداية خمر عبد الله بن ابي بردائه ثم قال : لا تفبروا علينا ، فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم . (١) الحديث

قال القرطبي : (فالاول يفيد ترك السلام عليهم ابتداءً ، لأن ذلك اكبرهم والكافر ليس أهله والثاني : يجوز ذلك . قال الطبري : ولا يحارض صارواه اسامة بحديث أبي هريرة ، فانه لهما أحدهما خلاف للآخر ، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه المصوم ، وخبر اسامة يبين ان معناه الخصوص : قال النخعي اذا كانت لك حاجة عند يهودي او نصراني فأبدأه بالسلام . فبان بهذا ان حديث أبي هريرة لا تبدؤهم بالسلام . اذا كان لغير سبب يدعوكم الى ان تبدؤهم بالسلام من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق صحبة أو جوار أو سفر .

قال الطبري : قد روي عن السلف انهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقة قال له علقمه : يا أبا عبد الرحمن اليس يكرهانه يبفؤوا بالسلام ؟ قال : نعم . ولكن حق الصحبة .

وقال الاوزاعي : ان سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وان تركت فقد ترك الصالحون قبلك وروى عن الحسن البصري أنه قال اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم) (٢)

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان ١١/٣٨١ ح ٦٢٥٤ وسلم فسي

الجهاد ٣/١٤٢٢ ح ١٧٩٨ .

(٢) تفسير القرطبي ١١/١١٢

قال ابن القيم : إن صاحب هذا الوجه - أي من أجاز ابتداءهم بالسلام - قال يقال له - السلام عليك . فقط بدون ذكر الرحمة ، ولفظ الافراد . (١)
(أما رد السلام عليهم فاختلف في وجوبه : فالجمهور على وجوبه وهو الصواب . وقالت طائفة : لا يجب الرد عليهم كما لا يجب على أهل البدع وأولى .

والصواب الاول : والفرق : انا مأمورون بهجر أهل البدع تعزيراً لهم وتحذيراً منهم بخلاف أهل الذمة (٢)

قلت : وما يرجح رأي الجمهور في وجوب الرد على أهل الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم " إذا سلم عليكم اليهود فانما يقول احد هم : السلام عليكم . فقل وعليك (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم " إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم " (٤)

(١) زاد المحامد ٢ / ٤٢٥

(٢) زاد المحامد ٢ / ٤٢٥

(٣) صحيح البخارى كتاب الاستئذان ١١ / ٤٢٢ ح ٦٢٥٧٢ وسلم في السلام
٤ / ٢١٦٤ ح ١٧٠٦

(٤) صحيح البخارى كتاب الاستئذان ١١ / ٤٢٢ ح ٦٢٥٨٨ وسلم في السلام
٤ / ٢١٦٣ ح ١٧٠٥

المبحث الثالث

الانتفاع بالكفار وما عندهم

ان الاسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم ما يفهمه
في علم الكيمياء والفيزياء والفلك والطب والصناعة والزراعة والاعمال الادارية
وأمثال ذلك . وهذا حين تتعدم الاستفادة من هذه العلوم من مسلم
تقي . (١)

كذلك يجوز الانتفاع بهم في دلالة الطريق وما عندهم من سلع
وملابس وغير ذلك من الحاجات التي يحتاجها الناس ، وجرت العادة فيها
أن المسلم والكافر يستويان في الانتفاع بها . ولكن الاسلام
لا يبيح بل يرفض أن يتلقى المسلم أي شيء يتعلق بعبادته أو مقومات تصوره ،
أو تفسير قرآنه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أو منهج تاريخه أو نظريته
حكيمه ومنهج سياسته أو موجبات أدبه وتعبيره من لا يؤمن بهذا الاسلام (٢)
وقد سبق في أول هذا البحث أن قلنا : ان المسلمين وقعوا في
غلطة كبرى حين استوردوا فلسفة اليونان وتصوف الهند والفرس لأنها غشاة
إذا مزج بالتصور الاسلامي التقي نتج من ذلك خليط من غش العقيدة
وانحراف التصورات .

واحسنوا حين ترجموا كتب الطب والكيمياء ودفنهم ذلك السي
اكتشاف علوم جديدة منها علم الجبر . فقد كانت العقلية الاسلامي

(١) انظر معالم في الطريق ص ١٣١ - ١٣٢ وانظر مجموع فتاوى شيخ

الاسلام ابن تيمية ٤/ ١١٤ .
معالم في الطريق
(٢) انظر المصدر السابق ص ١٣١

المتنورة بنور الله قادرة على الابتكار والابداع في المجال العلمي بكل
ميادين وفي المجال الادبي والثقافي .

ذلك أن لديهم من مقومات هذه العقيدة ومقتضياتها ما يفهمهم
للعمل بجهد وصبر . وهم يعلمون أن ذلك جزء من عبادة الله . لأن نفع
ما توصلوا اليه لم ينقصهم ^{فهم} فحسب بل تعدى ذلك الى كافة الناس حتى ان -
أروبا ظلت قرونًا طويلاً تعتمد على النظريات الاسلامية والابحاث التي
ابتكرها المسلمون . وانعكس هذا علي التقدم العلمي الذي توصل اليه
الغرب في القرون الاخيرة ، بعد أن تام المسلمون ، وتركوا مركز القيادة
والريادة في كل شئ ، حتى جاءت الاجيال التي تشهدها اليوم فانابها
عالة على تلاميذ اجدادها بالأمس!

من أجل ذلك نقول : ونحن نستبشر بالخير حيث بدأ الزحف الاسلامي اليهم
في كل أرض - انه ينبغي للمسلمين ان يعرفوا ماذا يأخذون ممن
غيرهم فيستفيدون به ، وماذا يتركونه لثلاثيهم فيما وقع فيه من قبلهم .
ان عليهم أن يجعلوا هذه العقيدة الاسلامية هي القاعدة التي
يقوم عليها البناء الاسلامي من جديد ثم يستوردون من غير المسلمين
ما ينقصهم في المجال (العلمي البحث) ويكون هذا الاستيراد بحسن
وزكاة ، حيث تصاغ هذه العلوم بصياغة علمية مؤمنة سليمة من صياغة
الملاحدة ودعاة " اللادين " .

وقد يقول قائل : وما دخل الاسلوب العلمي بالبحث فسي

الاسلوب الديني ؟

والجواب : انه لا فصل بين دين وعلم ، بل الدين الاسلامي هو دين العلم .
وصياغة ^{الاسلوب} العلمي من مطلق اسلامي صحيح يفرس في النفوس ايماناً عميقاً
بقدره الخالق سبحانه وتعالى وعظيم صنعه وابداعه في هذا الكون بكل
ما فيه .

ثم ان هذا الاعتراض فيه مخالطة ظاهرة : فانه مهما ادعى المتجردون للاسلوب العلمي "أنهم" حيايون " فانه يستحيل ان تكون صياغة من تلقى نظرية ماركس أو فرويد أو دوركهايم لنظرية علمية ماء مشل صياغة من كان بنفس الكفاءة العلمية ولكنه تلقى عقيدة " لا اله الا الله " من مشكاة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا أمر ظاهر لا يستطيع ان ينكره الا مكابر أو جاهل بجهل أنه يفالط نفسه. وادلة الانتفاع بالكفار نجدها في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره في كتاب الاجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة أو اذا لم يوجد أهل الاسلام عن عائشة رضی الله عنها " واستأجر النبي صلى الله عليه وسلم وابوبكر رجلاً من بنى الدليل ثم من بنى عبد بن عدى هادياً خريئاً - الخريت : الطاهر بالهداية - قد غمس يمين حلف في آل العاصى بن وائل وهو علي دين كفار قريش فأماه ، فدعما اليه راحلتيهما ، وواعداه غارثور بعد ثلاث ليال ، فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتعلا (١) الحديث . قال ابن القيم : اسمه عبد الله بن اريقط الدوسي وفي استئجاره وهو كافر : دليل على جواز الرجوع الي الكافر في الطيب والاثوية والحساب والغيوب ونحوها ، مالم يكن ولاية تتضمن عدالته ولا يلزم من مجرد كونه كافراً ان لا يوثق به في شيء أصلاً ، فانه لا شيء اخطر من الدلالة ^{من الطرفين} أو لا سيما في مثل طريق الهجرة . (٢)

(١) صحيح البخارى كتاب الاجارة ٤/٤٤٢ ح ٢٢٦٣ .

(٢) بدائع الفوائد ٣/٢٠٨

قال ابن بطلال : عامة الفقهاء ، يجيزون استئجارهم - اى المشركين - عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من المذلة لهم ، وانما الممتع أن يوافق المسلم نفسه من المشرك لما فيه من اذلال المسلم . (١) ولكن ما هو الحكم لو آجر المسلم نفسه من كافر ؟

والجواب على ذلك ما رواه البخارى ايضاً عن خباب رضى الله عنه قال : كنت رجلاً قيناً فعملت للمعاص بن وائل فاجتمع لي عنده ، فأتيته أتقاضاه فقلنا : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : أما والله حتى تموت ثم تبعث فلا . قال : واني لميت ثم مبعوث ؟

قلت : نعم . قال : فانه سيكون لي ثم مال وولد ، فأقضيك : فانزل الله تعالى " أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال : لاؤتين مالا وولداً " (٢)

٧٧ مريم .

قال المهلب : كره أهل العلم ذلك - أى مؤاجرة نفسه من مشرك فسي أرضى الحرب - الا لضرورة بشرطين احدهما ان يكون عمله فيمحل يحل للمسلم فعله . والاخر : أن لا يحمينه على ما يمود ضرره على المسلمين (٣) .

أما استئجار المشرك فى الغزو فقد ورد النهى بذلك : ففى الحديث الذى رواه مسلم عن عائشه رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة (٤) أدركه رجل ، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه .

(١) فتح البارى ٤ / ٤٤٢

(٢) صحيح البخارى كتاب الاجاره باب هل يوافق الرجل نفسه من مشرك فى ارض الحرب ٤ / ٤٥٢ ح ٢٢٧٥

(٣) فتح البارى ٤ / ٤٥٢

(٤) موضع على بعد اربعة اميال من المدينه .

فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لا تبعك وأصيب معك
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " توءمن بالله ورسوله" ؟ قال : لا .
قال : " فأرجع فبهلن استمعين بمشرك" قالت : ثم مضى حتى اذا كذا بالشجرة
أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة : فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كما قال أول مرة قال : " فأرجع فلن استمعين بمشرك" قال : ثم رجع فأدركه
بالبيداء فقال له كما قال أول مرة " توءمن بالله ورسوله" ؟ قال : نعم .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " فانطلق" (١) .

ولكن الحازمي (٢) قال : اختلف أهل العلم في هذا الباب :
فذهبت جماعة الى منع الاستماعة بالمشركين تطلقاً ، وتمسكوا بظاهر هذا
الحديث . وقالوا : هذا حديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وما يحارضة
لا يوازيه في الصحة والشبوت فتعذر ادعاء النسخ لهذا .
وذهبت طائفة : الى أن للإمام أن يأذن للمشركين أن يفزوا معه ويستمعين
بهم ولكن بشرطيين :

(١) أن يكون في المسلمين قلة وتدعو الحاجة الى ذلك .

(٢) ان يكونوا ممن يوثق بهم فلا تخش ثأرتهم .

فمتى فقد هذان الشرطان لم يجز للإمام ان يستمعين بهم ، قالوا :
وموجود الشرطين يجوز الاستماعة بهم . وتمسكوا في ذلك بطرواه ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استمعان بيهود بني قينقاع ، واستمعان

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب كراهة الاستماعة في الفزوة بكتاب ٣/١٤٤٩

ح ١٨١٧

(٢) هو الإمام أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم المصروف بالحازمي

من رجال الحديث أصله من همدان ، ولد سنة ٥٤٨ هـ وتوفي ببغداد

سنة ٥٨٤ هـ . الاعلام للزركلي ١١٧/٧ ط ٤

بصفوان بن أمية في قتال هوازن يوم حنين ، قالوا : وتعين المصير السي
هذا لأن حديث عائشة رضي الله عنها كان يوم بدر وهو متقدم فيكون منسوخاً . (١)
ثم قال : " ولا بأس ان يستعان بالمشركين على قتال المشركين اذا خرجوا
طوعاً ولا يسهم لهم . (٢) ويدعم ابن القيم ^{الرأي} هذا وهو يتحدث عن فوائد صلح
الحديبية فيقول: الاستمانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة
لان عينه صلى الله عليه وسلم بديل ورقاء الخزاعي كان كافراً ان ذاك ، وفيه
من المصلحة انه اقرب الى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم . (٣)

وقال في فوائد غزوة حنين . للامام ان يستعير سلاح المشركين وعدتهم
لقتال عدوه ، كما استعار رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرع صفوان من
أمية وهو يومئذ مشرك . (٤)

وتبعه الامام محمد بن عبد الوهاب فقال : الانتفاع بالكفار في بعض
امور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي . (٥)
ونخلص الى القول :

ان الانتفاع بالكفار وبما عندهم من العلوم التي هي من اجتهاد
الانسان امر جائز في الاسلام وادلته كثيرة سبق ذكر بعضها ، ومنها ايضا :
مزارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود في خيبر هلي ان يطمسوها
ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها . (٦)

(١) الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الاثار للحازمي ص ٢١٩ تحقيق راتب حاكي

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠

(٣) زاد المعاد ٣/٣٠١ وقصة بديل بن ورقاء الخزاعي في تاريخ الطبري ٢/٦٢٥

(٤) زاد المعاد ٣/٤٧٩ والقصة في السيرة لابن هشام ٤/٨٣ وتاريخ الطبري

٣/٧٣

(٥) طلق مصنفات الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٧

(٦) الحديث في صحيح البخاري كتاب المزارعة باب المزارعة مع اليهود

أما اجارة المسلم نفسه لهم فجائز اذا لم يكن في ذلك تعظيم
لدينهم أو شعائرهم أو ما فيه ذلة ومهانة له . وأما الاستعانة بهم فسي
الغزو فجائز ذل ، ولكن ذلك منوط بامام المسلمين اذا رأى أن المصلحة
تقتضي استخدامهم والا فلا .

ومع هذا فانه يجب الاحتراز ومنع استعمال الكفار في شيء ممن
ولايات المسلمين التي يكون فيها سلطة لهم على المسلمين كالدواوين
فان في ذلك جنائية على الاسلام والمسلمين ، فضلاً عن أن ذلك مخالفة
صريحة لحكم الشرع الاسلامي وهيمنته على الارض فانه أيضا انلال صريح
للمسلمين حتى الذين توهموا أن ذلك أمر جائز واليك بعضاً من النصوص
والحوادث التاريخية الهامة التي يبدو فيها كيد اعداء الله للاسلام
والمسلمين حين تولوا هذه المناصب الهامة .

روى الامام احمد باسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
قال : قلت لعمر رضي الله ان لي كاتباً نصرانياً . قال : مالك ؟ قاتلك
الله ؟ أما سمعت الله يقول " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض " ٥١ المائدة ألا اتخذت حنيفاً ؟
قال : قلت : يا أمير المؤمنين لي كتابته ، وله دينه ، قال : لا أكرمهم
اذا أهانهم الله ولا أعزهم اذا أنزلهم الله ، ولا أدنيهم اذا أقصاهم
الله " (١)

وكتب عمر رضي الله عنه أيضاً الى أبي هريرة كتاباً جاء فيه : " . . . ولا تستمن
في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك

(١) هكذا ذكر الشيخ الاسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم
ص ٥٠ ان هذا الحديث رواه احمد ولم اجده في مسند أبي
موسى ، وقد اورد البيهقي في السنن الكبرى ١٢٧/١٠ كتاب
آداب القاضي .

فانما أنت رجل منهم غير أن الله تعالى جعلك حاملاً لا ثقالمهم ، (١)
وكتب عمر بن عبدالمزيز رحمه الله الى بعض عماله : (أما بعد : فانــــه
بلغنى أن في عملك كاتبا نصرانياً يتصرف في مصالح الاسلام ، والله تعالى
يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولغوياً
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء " واتقوا الله إن كنتم مؤمنين //

٥٧ المائدة فاذا أتاك كتابي هذا افادع حسابن بن زيد - يعنى ذلك
الكتاب - الى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه ، وأن أبي فلا
تستعن به ولا تتخذ أهداً على غير دين الاسلام في شي من مصالح المسلمين
فاسلم حسان وحسن اسلامه . (٢)

ولما فشا استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين ايام الخلافة
الصباسية نهض أحد العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسي
هنا الشأن وهو شبيب بن شيبة (٣) فقد استأذن علي أبي جعفر المنصور
فأذن له فقال (. . يا أمير المؤمنين اتق الله فانها وصية الله ، اليكم
جاءت وعنكم قبلت ، واليكم تودى ، وما دعاني الى قولي الا محض النصيحة
لك والاشفاق عليك ، وعلى نعم الله عندك . اخفض جناحك اذا علا كعبك
وابسط معروفك اذا اغنى الله يدك . يا أمير المؤمنين ان دون بابك
نيراناً تأجج من الظلم والجور لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله
عليه وسلم .

(١) احكام اهل الذمة ٢١٣/١

(٢) المصدر السابق ٢١٤/١

(٣) شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهمي . أدب الطموك
وجليس الفقراء ، وأخو المساكين كان يقال له " الخطيب " لفصاحته
وكان شريفاً من الدهاة ، يفرغ اليه أهل بلده في حوائجهم . انظر
ترجمته في شذرات الذهب ٢٥٦/١ وتهذيب التهذيب ٣٠٧/٤
والاعلام ١٥٦/٣ .

يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين ، ظلموهم وعسفوهم ،
وأخذوا ضياعهم وغبوهم أموالهم ، وجاروا عليهم ، واتخذوك سلماً
لشهواتهم ، وانهم لن يقنوا عنك من الله شيئاً يوم القيامة . فقال المتصور
خذ خاتمي فأبحث به الى من تعرفه من المسلمين وقال : ياربيح : اكتسب
الى الاعمال واصرف من بها من الذمة . ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه
لنوقع باستخدامه ، فقال شبيب : يا أمير المؤمنين : ان المسلميين
لا يأتونك وهو لاه الكفرة في خدمتك ، ان اطاعوهم اغضبوا الله ، وان
اغضبوهم اغروك بهم ، ولكن تولي في اليوم الواحد عدة ، فكما وليت
رجلاً عزلت آخر . (١)

وخلاصة القول : انه ينبغي التفريق بين استخدام الكافر كشخص بمفرد
في أمر من الأمور وبين استخدام كصاحب سلطة ونفوذ في أمر من أمور
الدولة الاسلامية .

فالاول جائز وبه وردت أدلة سبق ذكرها كما علمت .

والثاني لا يجوز لضافاته مضمون وروح الشريعة الاسلامية وهدفها الاساسي
وهو ان تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .
والخير كله الخير في ان يعتمد المسلمون على أنفسهم من أجل ان يتقسي
الامة الاسلامية متميزة ذات طابع خاص ، كصبوغة بصفتها الريانية التي
أرادها الله لها .

سائلين المولى سبحانه ان يأتي اليوم الذي قد عاد فيه المسلمون لدينهم
الصحيح واستغنوا في كل امورهم وشئونهم عن الكفار وسائر الاعداء ، وما
ذلك على الله بعزيز .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث

الصورة التطبيقية للولاء والبراء في الماضي والحاضر

الفصل الاول : كيف طبق السلف الولا والبراء

تحدثت فيما سبق عن أمثلة من الأمم الماضية التي سبقت الأمة
المحمدية ومر معنا بعض الامثلة والنماذج في عهد النبوة. ولكن ذلك الجيل
مليء بالصوم المشرقة . لذلك رأيت أن أزيد هذا الأمر وضوحاً وتحليلاً بذكر
نماذج أخرى لمالها من أهمية كبرى .

وكل قول لا يدعمه التطبيق العملي يعد زعماً باطلاً لا يمت للحقيقة
بصلة ولا للواقع ببرهان .

لذلك فان التطبيق الواقعي للولاء والبراء هو المقتضي الصحيح والوجه
المشرق العظيم أكلة التوحيد " لا اله الا الله محمد رسول الله "
وانه من المعلوم بالضرورة ان سلف الامة رضوان الله عليهم هم خير
من طبق هذه العقيدة بكل مقتضياتها وتكاليفها .

والحديث عن السلف متم وجميل ، بل هو من الحوافز العظيمة التي
سجلها تاريخ الأمة المسلمة ليكون ذلك مَعْلَمًا من معالم الهداية والفرشاد
لمن جاء بعدهم ، ليستن بسنتهم وينهج نهجهم .

وقد كانوا رضوان الله عليهم يقدرون النعمة التي أنعم الله بها عليهم
وهي نعمة الايمان .

ويقدرون أيضا فضل نور الله وشريعته الغراء التي بحث بها نبيه محمداً صلي
الله عليه وسلم " أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " ١٢٢ الانعام .

وقدروا رحمهم الله تربية المصطفى صلي الله عليه وسلم وأهميته
سنته الشريفة قولاً وفعللاً وادركوا انهم (لم يكونوا خدمة جنس ، ورسول
شعب أو وطن ، يسمعون لرفاهيته وسلحته وحده ، ويؤمنون بفضله
وشرفه على جميع الشعوب والاوطان ، . . ولم يخرجوا لنهوسسوا
امبراطورية عربية ينعمون ويرتمون في ظلها ، ويمشخون ويتكبرون تحت
حمايتها ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس الى حكم العرب والى حكمهم
انفسهم . انما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً الى عبادة -
الله وحده كما قال رباعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزيد جرد " الله
ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق
الدنيا الي سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام " فالام عندهم
سواء والناس عندهم سواء . الناس كلهم من آدم وآدم من تراب . . لم
يخلقوا بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد ، ولم يراعوا في الحكم
والامارة والفضل نسباً ولوناً ووطناً ، بل كانوا سحابة خير انتظمت البسلاط
وعمت العباد ، وغواذي مزنة اثني عليها السهل والوعر ، وانتفعت بهما
البلاط والعباد على قدر قبولها وصلاحها " (١)

ويصعب علي هنا أن اذكر معظم الوقائع والمواقف التي بروز فيها
تطبيق الولاء والبراء عند سلف الأمة رحمهم الله ، ولكنني اقتصر على
القليل من ذلك لاعطاء فكرة صادقة وصورة حية ، وأمثلة مشرقة لتلك النماذج

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٦ - ١٢٧ بتصرف بسيط .

الايمانية التي أراد الله أن يحقق بها مثالية هذا الدين ، ليعلم الناس أن هذا الدين مثالي واقعي (١) في آن واحد اذا وجد الاكفاء الجديرون بحمله وتبليغه للناس بصدق ، وأمانة ، وطهر ونقاء ، واخلاص وتجرد يا ابتغاء ما عند الله .

ومن هذه الامثلة : موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه من المخلفين الثلاثة ، حين قاطعوهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك .

وانظر الى هذه المقاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون خلف رسول الله في مسجد أسس على التقوى : لقد هجروهم ولم يكموهم حتى في التحية الاسلامية !!

فمن ياترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ؟!

أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه واخوانه المؤمنين ، حتى وهذا المؤمن مهجور من اخوانه واحبابه ، قاطع عنهم حتى في رد السلام . مبتلى باغراء مادي عظيم ، ومحسن له المنصب ورفعة المكان في الدنيا : فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه ، فانه - كما جاء في حديثه الطويل - لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته بهجروهم ومن معه ، حتى زوجته ذهبت الى أهلها فاجأه امر عجيب وخطير في آن واحد .

(١) للوقوف على فكرة صحيحة فيما يتعلق بمثالية الاسلام وواقعته حينئذ ارجع كتاب خصائص التصور للاستاذ سيد قطب فصل الواقعيه . وكتاب منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ج١ الفصل الاخير وكتاب الانسان بين المادية والاسلام فصل نظرية الاسلام .

يقول كعب رضى الله عنه (. . . فبينما أنا أمشي بسوق المدينة اذا نبطني من انباط أهل الشام من قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطلق الناس بشيرون له ، حتى اذا جاءني دفع الي كتاباً من ملك عسان فاذا فيه : اما بعد فانه قد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيمت بها التنوير فسجرت بها * (١)

لقد صدق كعب رضى الله عنه في قوله * وهذا أيضا من البلاء * أجل انه بلاء عظيم ، ولقد كان ولاء كعب رضى الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الاغراء والاغواء - لله ولد ينة ورسوله والمؤمنين ، وكان براؤه من ملك عسان واضحاً في هرقة لكتاب ذلك الملك .

فا نظر الى هذه العظمة وهذا الصدق في الولاة والحب للاسلام والمسلمين والبهمة عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجهتها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

قال ابن حجر وهو يشرح قصة كعب : دل صنيع كعب هذا على قوة ايمانه ، ومحبته لله ولرسوله والا فمن صار في مثل حالة من الهجر والاعراض قد يضعف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ، ولا سيما مع امته من الملك الذي استدعاه اليه أنه لا يكرهه على فراق دينه ، لكن لما احتمل عنده انه لا يأمن الافتتان حسم المسألة وأحرق الكتاب ومنع الجواب . . . ورجح ما هو فيه من النكد والتعديس

(١) القصة بطولها في صحيح البخارى كتاب المفازي باب حديث كعب

بن مالك ٨/١١٣ ح ٤٤١٨ وانظر القصة ايضا في تفسير الطبرسي

على ما دعي اليه من الراحة والنميم حباً في الله ورسوله كما قال صلى الله

عليه وسلم * وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما * (١)

ومثال آخر : قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي وموقفه مع

ملك الروم ، حيث أغراه حتى بمشاطرته ملكه فرفض ، وهدده بالقتل والحرق

فأبى ان يتنصر . كل ذلك دلالة واضحة ، وبرهان صادق لعمق ذلك الولا *

ورسوخ هذه العقيدة في تلك النفوس العظيمة . ولئن كان موقف عبد الله بجاءه

ابن أبي - الذي تحدثنا عنه سابقاً - عظيماً في منعه اياه من دخول المدينة

الا بأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن موقف أبي عبيده رضي

الله عنه اعجب من ذلك واعظم فلقد قتل اياه في معركة بدر لأنه كان كافراً

محارباً لله ورسوله و ولم تكن صلة الأبوه لتضعه دون تنفيذ الولا * والنصرة

لله ورسوله ودينه والمؤمنين والبراة : والجهاد لعدو الله الذي رضي

بالبقاء في حزب الشيطان ليكون حرباً على المؤمنين .

ومثال آخر : فقد روت كتب السير أن زيد بن الدثنة (٢) رضي الله عنه ،

اشتراه صفوان بن أمية - بعد يوم الرجيع - ليقتله بأبيه أمية بن خلف ،

وخرجوا بزيد الى التميم حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب

فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا محمد ، اتحب ان محمداً

عندنا الان في مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟

قال زيد : والله ما أحب ان محمداً الآن في مكانة الذي هو فيه تصيبه

(١) فتح الباري ١٢١/٨ والحديث سيق تخريجه ص ٤٠٠ والنظر تعليق

ابن القيم علي القصة في زاد المماد ٥٨١/٣

(٢) زيد بن الدثنة : بفتح الدال وكسر المثلثة ابن معاوية بن عبيد

بن عامر بن بياضة الانصاري شهد بدرًا وأهدأ وكان في غزوة بئر

معونه فاسره المشركون وقتلته قريش بالتمميم . انظر الاصابه

شوكة توهديه وأني جالس في أهلي فقال : ابوسفيان : ما رأيت من
الناس احدا يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتلوا زيهداً
رضي الله عنه . (١)

فانظر الى هذا الحب وهذا التفاني وذلك الولاء ، وقوة التصريح انه رضي
الله عنه وهو في مكانه البعيد عن رسول الله - لا يرضي ان تمس رسول الله
صلى الله عليه وسلم شوكة ، فضلاً عن أن يصيبه أكبر من ذلك !!

هذا هو الولاء الصادق الذي بنته هذه العقيدة في النفوس
فاخرجت للناس هذه النماذج المظيمة التي تقصر دون عظمتها كل عظمة
أرضية .

ومثال آخر : روى الامام احمد وغيره أن أنس ابن النضر رضي الله عنه
غاب عن قتال بدر فقال : غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم المشركين ؟ لعن الله اشهدني قتالاً للمشركين ليوين الله
ما أصنع . فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال : اللهم اني اعتذر
اليك ما صنع هو لا - يعني أصحابه - وأبرأ اليك ما جاء به هو لا -
يعني المشركين ، ثم تقدم فلقه سعد بن معاذ دون أحد فقال : أنا
معك ، قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع ، قال فوجد فيه يضرع
وشمانون ضربه سيف وطعنه رمح ورمية سهم فكانوا يقولون فيه وفي أصحابه
نزل قوله تعالى " فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر " (٢) ٢٣ الاحزاب .
ان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم كانوا شديدي الاعتزاز بدينهم

(١) انظر القصة في السيولابن هشام ١٨١/٣

(٢) مسند أحمد ٣٠١/٣ وتفسير ابن كثير ٣٩٤/٦

فلم تخدعهم المظاهر الجوفاء ، ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية ، وأصدق مثال علي ذلك قصة ربيعي بن عامر رضي الله عنه حين قابل رستم ، فقد كان الفرس مدججين بالسلاح وطيهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، ووضعوا البسط والنارق في مجلس رستم ولسه سريو من الذهب ، فأقبل ربيعي يسير على فرس له زياء (١) قصيرة ، معه سيف غمده لفافة ثوب خلق ، ورمح وجحفة (٢) وقوس فلما انتهى الى أدنى البسط قيل له أتزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها ووطأها بوسادتين فشققها ثم ادخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهضوه ثم قالوا له : ضع سلاحك ، فقال : اني لم اتكم فاضع سلاحي بأموكم انتم وعصرتوني ، فان أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت ، فأخبروا رستم فلأن ن له وقال : هل هو الارجل واحد ! فأقبل ربيعي يتوكأ على رمحه ورجله نصل يقارب الخطو ، ويزج النارق والبسط ، فما ترك لهم مرفقة ولا بساطاً الا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً ، فلما دنا منه رستم تعلق به الحرس وجلس على الارض وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : اننا لا نستحب القعود على زينتكم هذه ! فلكم فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سمتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وارضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نفذي الي موعود الله ، قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتك

(١) الزياء : أي طويلة الشعر كثيرة

(٢) الجحفة : الررس

فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتتنظروا ؟ قال : نعم . كم أحب اليكم ؟ أيوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا وروءسنا قوماً ، وأراد مقاربتة ومدافعتة فقال : ان ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به ائمتنا إلا نمكن الأعداء من اتاننا ، ولأنوهم عند اللقضاء اكثر من ثلاث ، فنهن متروكون عنكم ثلاثاً فانظر في امرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الاسلام وتدعك وأرضك ، أو الجزاء فتقبل ونكف عنك . وانك كنت نصرنا غنياً تركناك منه ، وان كنت اليه محتاجاً منعناك أو المنازدة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدوك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ، أنا كقولك بذلك على أصحابي وعلي جميع من ترى ، قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أديانهم على أعلاهم . (١)

ولم يكن تطبيق عقيدة الولاء والبراء مقصوداً على الرجال ، بل النشأة أيضاً لهم امثلة عظيمة في هذا الشأن . ومن ذلك قصتنا حبيبة بنت أبي سفيان زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها رضي الله عنها كما قال ابن هشام : لما قدم ابو سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسي المدينة دخل على ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج . (٢)

الشيء غير
ما يتصور
طريقه الواقعي

(١) تاريخ الطبري ٣/٥١٩ - ٥٢٠

(٢) السيرة النبوية ٣٨/٤

هذا هو البراء من المشرك النجس ، وهكذا ربي الاسلام سلفنا الصالح
ان المؤمن هو الطاهر النقي والمشرك والكافر هو النجس الخبيث لا لذاته
ولكن للشرك والكفر الذي يعتقد .

ومما يوضح ايضاً صورة الولاة في نفوس أولئك الاخبار قوله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك " ان بالمدينة اقواماً ما سرتهم سيراً ، ولا قطعتم
وادياً الا كانوا معكم قالوا : وهم بالمدينة ؟

قالوا : " وهم بالمدينة حسبهم العذر " متفق عليه (١)

فانظر الى هذا الولاة والتناصر حتى من حسبهم العذر ، لان هذا امر -
لا عذر لهم في تركه ، فهم مع اخوانهم بالدعاء والمتابعة .

أما اليوم فيرى المفرورون والمبهزون والمنهزمون أن الكفار - كما قال أحدهم -
خصوم شرفاً ، بل يرونهم أصدقاءً أوفياءً .

ولكن الذي يجب على المسلمين اليوم أن يفهموه : هو أن الاقتداء بسيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح في كل شيء ، وفي قضيتنا

الولاة والبراء من باب أخص هو الأمر المطلوب منهم وليس عليهم بعد ذلك
ان تقوم أصوات أرباب التبعية والولاة للغرب الكافر والشرق الملحد لتنادي

بما قاله وردده من قبلهم أن هذا الغفل رجعية وتقهقر . بل أن عزم المسلمين
المخلصين على تحقيق مقتضيات هذه العقيدة والاصرار على تحكيم الشريعة

الريانية هو سبيل النجاح وطريق الفلاح ، في الدنيا والآخرة وجدديهم
ان يرتفعوا الى المستوى المطلوب منهم " ولا تهنوا ولا تهزنتوا وانتم الاعلمون

ان كتتم مؤمنين " ١٣٩ آل عمران .

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى ٨/١٢٨ ح ٤٤٢٣

(٢) صحيح مسلم كتاب الامارة ٣/١٥١٨ ح ١٩١١

الفصل الثاني

صورة الولاة والبراء في عصرنا الحاضر

انه بعد أن سبق بيان قضية الولاة والبراء في التصور الاسلامي ، ووقفنا على مدى أهمية هذا الموضوع ، وبعد سياق تلك الأمثلة المشرقة من تاريخ الصدر الأول من هذه الأمة ؛ لا بد أن نقف عند وضع المسلمين في عصرنا الحاضر ، لنرى أين يقف المسلمون اليوم من هذه القضية وما مدى التزامهم بها أو تخليهم عنها ؟ وما الذي حل بهم ؟ وهل هناك مبشرات لتغيير هذا الواقع المؤلم ؟

وانه لمن البدهي هنا أن نقول : ان العالم الاسلامي في العصور المتأخرة قد بلغ دركات الانحطاط والتخلف في كل شيء .

انحطاط في عقيدته حيث ترك ما عليه السلف الصالح وذهب الى خزعبلات وحواشي علم الكلام الدخيل والخوض في نقاشات بيزنطية لا تمت للواقع ولا تصلحه بأي حال . بل تزيده فساداً وانهاراً .

وانحطاط في التزامه بمقتضيات هذه العقيدة من الجهاد والتميز والممزية حيث استبدل بذلك كله التصوف والخراقات والتواكل ، مما اطعم العدو وفيهم على هذه الحال .

وتخلف في جميع المجالات العلمية وترك مكان القيادة الى ذلة التبعية فبعد أن كان المسلمون هم الرواد في كل علم نافع جاء الخلف ليترك ذلك الميراث العظيم الذي أخذه اعداء هذا الدين واستفادوا به ودفعهم الى ما وصلوا اليه الآن .

وأخيراً فقد اعطي هؤلاء الخلف للناس : صورة هزيلة رديئة

عن الاسلام ، جعلت اعداء هذا الدين يتكالبون عليه من كل حدب وصوب
طامعين في اطفاء نور الله ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .
ولقد غزت العالم الاسلامي جيوش كثيرة وعديدة ، وهي على كثرتها
وضراوتها العسكرية لم تكتف بهذا بل نوعت اساليب الهجوم ، فاستخدمت
بعد الهجوم العسكري - الفوز الفكري الخبيث الذي فعل في (المسلمين)
ما لم تفعله الجيوش الجرارة . !

وأول ما حرص عليه الاعداء هو بث سموم التشكيك وقلب المفاهيم حيث اخذ
ينشر امثال هذه الافكار : " ما للدين ونظام المجتمع ؟ ما للدين
والاقتصاد ؟ ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالبيئة ؟ ما للدين والسلوك
المطلبي في واقع الحياة ، ما للدين والطب و خاصة ملابس المرأة ؟ ما للدين والفن ؟
ما للدين والصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون ؟ وباختصار : ما للدين والحياة ؟
ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الارض ؟ " (١)

وكان هدف الاستعمار - كما يقول الشيخ محمد الغزالي - (تكويين
جيل يستحي من الانتساب للاسلام ، ويكره ان يرى وهو يقوم بشيء من
شعائره ، خصوصاً بين المثقفين الكبار ! والطبقات التي تهيأ للحكم
والنفوذ .

الواحد من هؤلاء يجب ان يراه الناس خارجاً من حانة ، ولا يجب
ان يروه خارجاً من مسجد ومن السهل عليه ان يوصف بأنه زني بعشر نسوة ،
لكن وجهه يسود لوقيل : متزوج من اثنتين ^{أن} اما يفكر في تلاوة آيات من
القرآن أو يرجع الى شيء من سنة رسول الله فذلك مالا يخطر له ببال . (٢)

(١) هل نحن مسلمون ص ١١٠

(٢) كفاح دين ص ١٤٧ ط/٣

وأفصح الاستمثار أيضاً في تكوين جيل يرفض العمل تحت لواء الاسلام،
وهذا الجيل هو "الطابور الخامس" الذي ألحق بنا الهزائم في كل
ميدان . (١)

وهتى لا يكون الحديث مجرد عاطفة أو هجوم - كما يقال ذلك - أرى
أن اثبت هنا نصوصاً صريحة واضحة نطق بها اعداؤنا الكفار ونفذوها
تدل على مدى عمق عداوتهم للاسلام والمسلمين وانهم لا يريدون الا الشر
والكيد بهذا الدين وطمس معالمه ، وفي هذه النصوص ايضاً عظيمة
وعبره للمتغافلين والمنهزمين والمبهورين بهم من أبناء جلدتنا ومن الذين
ينطقون بلغتنا ويتسمون باسمائنا . ثم يحكم النصف بعد قراءتها هل
تحقق/منها أم لا ؟

يقول القس زويمر في مؤتمروالقدس سنة ١٩٣٥ م وهو يخاطب
المبشرين بالنصرانية في العالم الاسلامي مانصه (. . ان مهمة التبشيرة
التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية - ليست
هي ادخال المسلمين في المسيحية - فان في إزهاذية لهم وتكرهاً (!!)
وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له باللله
وبالتالي لاصلة تربطه بالاخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها ، ولذلك
تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية .
وهذا ما قمتم به خلال الاعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنتكم
عليه وتهنتكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنئة) (٢) وترد
بصية هذه الحقبة . ومع وضوح هذا النص الصليبي الحاقد وجد من (المستسلمين) -

(١) انظر حصاد الضرور ص ٣٩

(٢) جذور البلاء للاستان عبداللہ التل ص ٢٧٥ ط ٢

وهو محسوب من العلماء - من يقول ان قضية زمالة الأديان والتسامح بينها والتقارب والالتقاء بينها أمر محبب كما قد سبق ذكر ذلك في الباب الثاني . مما يدل على مدى الغفلة وعمق الجهل بحقيقة الاسلام وبحقيقة عداوة اعدائه له .

ويقول لويس التاسع : ان الغزو العسكري لا يكفي لهزيمة المسلمين ولكن لابد من غزو عقيدتهم .

ثم نجد عدواً آخر يقول - وهو يتابع عودة المسلمين الى اسلامهم - (الأ ان ثمة قوة جديدة بدأت تظهر الا وهي الدعوة الى اسلام " متزمت " والسعي عن طريق الاسلام الى نظام حياة لا يكون نسخة عن نظام آخر ولا تقليداً له ، بل يكون خاصاً بهويته وتقاليدته ومصالحه المعنوية والمادية) (١)

ويقول وليم جيفورد بالكراف : متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لستم يبعده عنها الا محمد وكتابه " (٢)

وبالرغم من مئات النصوص التي تشبه ما ذكرنا ، والتي موادها جميعاً : طمس الاسلام واخراج المسلمين من اسلامهم فقد وجد للأسف في بلاد المسلمين من كان عوناً لهؤلاء الأعداء على خططهم ، أو من مبع قضايا الاسلام في سبيل ملايين اعداء الله .

يقول الاستاذ عبدالقادر عودة رحمه الله : ان بعض الأقطار التي تسمى نفسها اسلامية ، تبيع للمبشرين من الانجليز والفرنسيين والاطالبيين والامريكيين ان ينشئوا مدارس للتبشير بالدين المسيحي في بلادهم حتى تفتن

(١) الجنرال بيار غالوا . عن مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٠ ص ٤ سنة ١٣٩٩ هـ

(٢) الفارة على المعالم الاسلامي ص ٩٤ ط ٢ .

أطفال المسلمين عن دينهم ، بل أن بعض الأقطار منع تعليم الدين الإسلامي في المدارس الحكومية وأهمل دراسة التاريخ الإسلامي في الوقت الذي يركز فيه الاهتمام بتدريس تاريخ أوروبا وتمجيد حضارتها وإنما هي قبلة الرقي والمدنية . (١)

وإذا كان هذا علي مستوى الحكومات ، فإن الأفراد أشد ايضاً

في ذلك وهم صنفان :

(١) صنف من الصلحاء الذين لهم مكانة في التاريخ^{الحديث} ، وكتب عنهم مجلدات فيها من المدح واللقاب الاصلاح ما الله به عليم ، ولكن التاريخ كشف عن هوياتهم ومواقفهم . ومنهم عبدالرحمن الكواكبي ، هذا الرجل الذي يعتبر من أسبق الناس ظهوراً في الدعوة الى التفريق بين السلطة الدينية والسلطة السياسية . وقد اصدر كتاب (أم القرى) سنة ١٨٩٩ م . وورد في هذا الكتاب آراء لم تخل من اشارات مريية الى موالاة السدول الأوروبية المستعمرة حيث قال فيما قال : " وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من ارشاداتها وان كانت غير مسلمة ، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر ! بن الخطاب " (٢)

اما الشيخ محمد عبده فكما بقول عنه الاستاذ غازي التوبة : قد

تجاوز تعاونه مع الانجليز المحتلن لصر الى التعاون مع الجواسيس المشتشرقين في انكلترا نفسها ، حيث يتضح ثقتهم المطلقة به ، وتعاونه البعيد معهم في الرسالتين المبعوثتين الى^{المستر بلنت} " جواباً علي سؤال الاخير عن رأي المفتي في الحالة السياسية الجديدة في مصر ،

(١) انظر الاسلام واوضاعنا القانونية ص ٧٥ ط ٢

(٢) انظر كتاب ازمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ١٨ - ٢٠ حول هذا الموضوع

وعن رأيه في الدستور المناسب لمصر . وقد اورد محمد رشيد رضا نص
الرسالتين في الجزء الاول من تاريخه ص ٨٩٩ - ٩٠٢ وورد في الرسالة
الثانية الفقرة الثالثة قوله (اذا فرض ان كان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم
مروءة وسون من المصريين فانه ينبغي ان يعطى هؤلاء المروءة وسون المصريون
الوزراء الثانويون سلطة تسمح لهم بان يفصلوا في جميع المسائل المختصة
بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون
المصريون مجرد العموية في ايديهم كما هو الحال الآن) (١)

هذا هو رأى الشيخ الذى بُعث بـ " صلح العصر " !!

أما عباس محمود العقاد فيقول في كتابه : " التفكير فريضة اسلامية "

" ما الذى يمنع المسلم أن يعمل للديموقراطية أو يعمل للاشتراكية . او يعمل
للوحدة العالمية ؟

وما الذى يمنع المسلم من أحكام دينه ان يقبل مذهب التطور أو يقبل

الوجودية في صورتها المثلي ؟

الى أن قال : ان عقيدة السلم لا تمنعه من أن يكون اشتراكياً . (٢)

وأنا أعلم مقل ما علم غيرى أن هذا الكلام قد يقابل بالاستنكار والاستغراب لانه
خلاف المعهود ولكن اقول ما قاله الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين فسي
كتابه القيم " الاسلام والحضارة الغربية " حيث قال : (نحن حين ندعوا الى
اعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد ان ننقص من قدر أحد ، ولكننا لانريد
ان تقوم في مجتمعا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون انهم معصومون
من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدر والنقد ، حتى
ان المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم ليهيج ويموج اذا وصف

(١) الفكر الاسلامي المعاصر . دراسة وتقويم ٣٥ - ٣٧

(٢) موسوعة العقاد ٩٥٨/٥ وانظر الفكر الاسلامي لغازي التوبة ص ١٧١

أحد الناس اماً من ائمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يقبلون ان يوصف به زعماءهم المعصومون فيقبلون أن يوصم سيف الاسلام خالد بن الوليد بأنه قتل مالك بن نويرة في حرب الردة طمعاً في زوجته ، ويردون ماشاع حول ذلك من أكاذيب . ويقبلون ان يلطخ تاريخ ذي النورين عثقان بن عفان بما ألصقه به ، ابن سبأ اليهودي من تهيم . . يقبلون ذلك كله ثم يرفضون أن يمس أحد أصنامهم بما هو أيسر منه ، ويحتسمون بحرية الرأي في كل ما يخالفون به اجماع المسلمين ، ويأبون على مخالفيهم في الرأي هذه الحرية . يخطئون كبار المجتهدين من ائمة المسلمين ويجرحونهم بالظنون والاهام ويشيرون لتخطئ ساداتهم او تجريحهم بالحقائق الدافقة (١) اننا لا يد ان نقول للمخطئ " انت مخطئ " وللمصيب نقول : أحسنت وبارك الله فيك . لذا فان انزلاق هو "العلماء أو غيرهم في قضية مولاة الكفار او التساهل معهم في بعض الامور بغير دليل شرعي امر يرفضه الاسلام ويأباه لأن موضع القدوة لنا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء وسلفنا الصالح وكفي . وليس من حق فرد - كائناً من كان - أن يجعل من آرائه وعلمه سلماً يرتقي عليه الموالون للكفار ، ثم يزعم ^{بأنه} هذا انه داعية اسلامي ، او صلح عظيم .

(٢) اما الصنف الثاني يفهم الذبح صنمهم الاستعمار على عينه ، ورياهم تربية اوروبية خالصة في التفكير والسلوك من أجل ان يكونوا أداة للتقريب بين المسلمين ^{وبين} المستعمر الاوروبي .

ومن هذا الصنف طه حسين الذي يقول في كتابه مستقبل الثقافة

فى مصر ؛ (لكن السبيل الى ذلك - أى الرقى - ليست فى الكلام يوسل
ارسالا ، ولا فى المظاهر الكاذبة والاضاع المطفقة ، وانما هى واضحة
بينه وستقيمة ليس فيها عوج ولا ا لتواء ، وهى واحدة فذة ليس لها تعدد ،
وهى : أن نسير سيرة الا ورويين ونسلك طريقهم لتكون لهم انداداً ، ولنكون
لهم شركاء فى الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها
وما يكره وما يحمد منها وما يعاب . (١)

ومادام اننا عرفنا هدف اعدائنا بصورة عامة ، ووقفنا على حقيقة بعض
مواقف المخدوعين بهم : فانه لحرى بنا أن نعرف بعض تفاصيل خططهم
ووسائلهم التى منها :

١ - التربية والتعليم

العلم كما يقال - سلاح ذو حدين ، ومن هذا المنطلق أدرك اعداء
الله من جميع الكفار أن صخرة العقيدة الاسلامية لا يمكن النيل منها عن
طريق القوة والسلاح فهى قداً ومنهم كثيراً ، ولا يستطيعون الصمود أمام
هتاف المجاهدين الصادقين فى سبيل الله ، ولذلك لجأوا الى وسيلة
اخرى هى اخبت فى التأثير وأشد فى الدهاء . وهذه الوسيلة هى غزو
مناهج التربية والتعليم فى العالم الاسلامي بأفكار ونظريات وشبهات وشكوك
يضيف عليها - كذباً وبهتاناً - ثوب التجرد العلمي ، والبحث العلمي !!
وسلك اعداء الاسلام فى هذا سبيلين : الاول : السيطرة على التعليم
فى الداخل والثاني عن طريق الابتعاث الى الدول الكافرة .

(١) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ٢ / ٢٢٩ ط بيروت والفكر

فأما الأمر الأول فيقول عنه القس زويمر الذي أوردنا صدر كلمته سابقاً يقول أيضاً (. . .) لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فسي الممالك الاسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والامريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الاشارة اليها ، الأمر الذي يرجع الفضل فيه اليكم أولاً والى ضروب كثيرة من التعاون بأرعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياته الانسانية كلها . انكم اعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد (اخراج المسلم من الاسلام) انكم اعددتم نشأة لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية والتالي : جاء النشئي الاسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لا يهتم بالمعظائم ويحب الراحة والكسل ، فانا تعلم فللشهوات ، وانا جمع فللشهوات ، وان تبسوا أسمى المراكز ففي سهيل الشهوات وجود بكل شي . (١)

أجل، صدق هذا القس وهو كافر أن هناك جيلاً تربي هلى ثقافة الغرب فخرج لا يعرف الصلة بالله أبداً .

وانطلاقاً من مبدأ هذا الصليبي الحاقد قام اللورد كرومر - الممتد البريطاني في مصر ايام الاحتلال - بإنشاء كلية فكتوريا حيث قصد بها

تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط انجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في ادارة شئون المسلمين . (١)
وجاء " دنلوب " المتخرج من كلية اللاهوت البريطانيه ليؤسس سياسة التعليم في مصر ، حيث وضع مناهج كفيلة باخراج المناهج التي عناهها القس زويمر (لا تعرف الصلح بالله) و

ومصداق ذلك أن درس الدين لا يدرس منه الا نتف يسيرة مثل : ان الاسلام جاء ليبطل عبادة الاوثان ويمجد الله الواحد ، ويحرم وأد البنات واستئذان هذه المادة يختار من أسن الاساتذه ويمظهره ، ثم تلففي مادة الدين في نهاية العام الدراسي . (٢)

أما مادة التاريخ فكان يخفي على الطالب فيها : أن الاسلام جاء ليحارب الشرك بكل مظاهره ويعطي نبذاً عن دراسة صدر الاسلام ، وأن مهمة الاسلام تغيير ما كان عليه العرب في جاهليتهم ويؤكز فيه ايضاً على الجانب السياسي والصراع بين الطبقات الحاكمة . أما حياة المجتمع الاسلامي فلاشيء يذكر من ذلك .

وكذلك البطولات الاسلاميه والحركة العلمية الاسلاميه . كل ذلك يخفي عن الطلاب في الوقت الذي يدرس فيه بتوسع تاريخ اوربا وتمهضتها ورجالها وابطالها وانها بلد التقدم والرقى ومهبط المدنية لأن فيها
فحم وحديد (٣) !!

وخلاصة القول انه كان يلحق الطلاب ان " اوربا هي العملاق الضخم

(١) الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ص ٤٦
(٢) انظر هل نحن مسلمون ١٣٦ - ١٣٨ ومذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة للاستاذ محمد قطب لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا في كلية الشريعة .

(٣) انظر المصدرين السابقين .

الذى لا يقهر . والاسلام هو القزم الخليل الذى عليه أن يتعبد هذا العملاق
ليميش ! (١) .
وأما السبيل الثانى : وهو الابتعاث الى الخارج أى الى الدول الكافرة فقد
حقق هذا نتائج ترضى من خطط لها . ذلك أن هذا الابتعاث - فى الغالبية
المعظمى منه - يكسر صفة التميز بين المسلم والكافر ، ويجعل ولاء المسلم
متذبذباً وهو يورى ما يهر به ، ثم أنه يزيد الطالب جهالة دينه وقيمه ومثله ،
ويزيده تعلقاً بالغرب أو الشرق ويبدأ بتطبيع بطابع غير اسلامي ، ثم
يصير هذا التطبيع - مع الزمن - طبعاً ، ثم انسلاخاً من حيث يشمر
الطالب او لا يشعر فتجده فى لبسه ومأكله ومشربه وكلامه وطريقة تعامله ،
غريباً ، أو شرقياً بل ربما اكثر من ذلك . (٢)

وكان من أوائل المهتمين واولهم سبقاً فى خدمة ما أريد له : رفاة
الطهطاوى حيث مكث فى فرنسا خمس سنوات من ١٨٢٦ - ١٨٣١م ولما رجع
بدأ ينشر كلاماً يسمع للمرة الاولى فى البيئة الاسلامية مثل : الوطن والوطنية ،
والاهتمام بالتاريخ القديم ليدعم به المفهوم الوطنى الجديد ، ثم يتحدث
عن الحرية وانها سبيل التقدم وكذلك طالب بتقنين الشريعة على نمط
المدونات القانونية الأوروبية ، ثم يتحدث بكلام كثير وطويل عن المرأة . كتلميها
ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق واختلاف الجنسين . (٣)

وجاء بعد رفاة لطفي السيد وقاسم امين وطه حسين وغيرهم وغيرهم .
وخلاصة ما يريده اعداء الاسلام فى قضية التربية والتعليم هو ما قاله المستشرق
" جب " فى كتابه " وجهة الاسلام " حيث قال :

(١) هل نحن مسلمون ص ١٤١

(٢) انظر أساليب الغزو الفكرى للدكتور على جريشة وزميله ٦٤ - ٦٥

(٣) يراجع فى هذا بتوسع كتاب الاسلام والحضارة الغربية د . محمد محمد

.. والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التفريب (أو الفرنجة) هو
أن نتبين الى أي حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ
الغربية ، وعلى التفكير الغربي . والاساس الأول في كل ذلك : هو
أن يجرى التعليم على الأسلوب الغربي وعلى المبادئ الغربية ، وعلى
التفكير الغربي .. هذا هو السبيل الوحيد ، ولا سبيل غيره ، وقد
رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الاسلامي ،
ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين ، وقليل من الزعماء الدينيين* (١)
ان العالم الاسلامي* كله اليوم يسير في تعليمه وتربيته العلمية
على النهج الغربي والشرقي بدليل ان كل الجامعات - مثلا - تدرس نظرية
فرويد في البحوث النفسية ونظرية دور كايم في علم الاجتماع ونظرية ماركس
الاشتراكية والشيوعية ، ونظرية فريزر في علم مقارنة الأديان .
وينادي باحياء الجاهليات التي سماها الله في كتابه وسنه رسوله
جاهلية : تدرس على أنها حضارة راقية ضاربة في اعناق التاريخ الكبر
من سبعة الاف سنة !!
وكذلك التفنى بامجاد أوروبا ومعرفة "أبطال" حضارتها ، وفصل
الدين عن الدولة ، وأن الدين علاقة بين العبد وربّه ولا دخل له في
شئون الحياة .. كل ذلك كان ثمارا طبيعية للغزو الثقافي . (٢)
واخيرا : فان هذه المناهج التعليمية قد جردت المسلم من ولاءه
لله ورسوله ودينه واخوانه المؤمنين ومحت عداوته لاعداء الله ، فتشأ
جيل لا يعرف الصلة بالله ، ولا يقيم ولاه ، واتتماه على اساس عقيدته بـ
علي ما تعلمه وانتسب اليه من المذاهب والانتقادات الجاهلية .

(١) عن الاتجاهات الوطنية ٢١٧/٢ ط ٣

(٢) بهذا الاطلاع بتوسع على رسالة "العلمانية واثرها في العالم

الاسلامي" للاستاذ سفر بن احمد .

صورة من صور الولاة الفكرى المعاصر

تستوفى هنا صورة واحدة أجد أن ذكرها هنا ذو أهمية بالغة ذلك أن هذه الصورة يظهر فيها بوضوح حب التبعية للغرب ، مع الاعتزاز والفخار بالتعليم العلماني والمطالبة - وبالحداد شديد - بعودته - ان كان قد فقد - والا ففتح الابواب له على مصارعها اذا كان مضيقاً عليه .

كتب رئيس تحرير جريدة يومية مقالاً طويلاً بعنوان " الانسان العربى " ومعضلة التعليم * وجاء هذا المقال في صفحتين كاملتين من الجريدة هما الصفحة الثانية والثالثة .

واليك مقتطفات من هذا المقال لترى فيه الصورة الصادقة للولاة والتبعية لاعداء الله .

قال الكاتب : (ان التعليم فى البلاد العربية ارتبط ياسلوبين مختلفين : الاول : المنهج الذى وضعه دنلوب باشا البريطانى ناظر المعارف فى مصر ، والذى انعكست آثاره على بقية الرقعة العربية من خلال الاتفاقيات الثقافية الثنائية او الجماعية ويقوم هذا المنهج التعليمى على ابطال القدرة على التفكير (وتفريخ) العديد من الكتبة الذين يودون وظائف روتينية لا تحتاج الى اكر من معرفة متقنة لقواعد القراءة والكتابة . . وينظره مجسودة نجد أن غالبية المتعلمين فى بلادنا ينتعون الى هذه المدرسة *)

وصدق الكاتب فى اكر مقاله هنا وان كان اعتراضنا على منهج دنلوب لا يقتصر على هذه النقطة انما ينصب ابتداءً على نقطة أخطأ منها بكثير هي تفريخ اجيال من المسلمين لا تعرف حقيقة الاسلام بسبل تتجه الى الانسلاخ من الاسلام والارتما فى تبعية ذليلة للغرب . ثم تابع^{معى} كما يقول :

" والاسلوب الثاني فى التعليم داخل الوطن العربي . بريطاني أيضا ، ويهدف هذا الاسلوب - على خلاف الأول - الى خلق مجموعات بشرية تمتلك القدرة على التفكير السليم بالاعطاف الفربية .

" وتجسد هذا الأسلوب فى مدرستي كلية فكتوريا فى الاسكندرية والقاهرة . . وعلى خلاف ما قيل عن هذه المدارس التى أُشهرت بالتربية الاستعمارية او الادوار البشرية فان الادلة الدامغة تثبت أن معظم مفكروى ابناء الأمة العربية الذين تلقوا تعليمهم الاولي والثانوى داخل منطقتى الشرق الأوسط ينتمون الى احدى هاتين المدرستين ذلك لان النظام التعليمى بهما يعتمد على اسلوب البحث العلمى : الذى ينمي فى الطفل والشاب طوال مدارج التعليم : القدرة على التفكير السليم وايضا العلاقات بين الظواهر المختلفة .

" وتتضح جدياً هذا الدور التعليمى من واقع المناهج الدراسية المقررة التى كانت هى ذات المناهج المقررة على الطلبة البريطانيين بأسلوب اكسفورد وكامبردج فى مراحل التعليم العام ، المبدئى والاعدادى - والثانوى . . فالباعث الحقيقى لوضع هذا الاسلوب التربوى والتعليمى من خلال فكتوريا الاسكندرية والقاهرة كان يهدف الى " ايجاد مجموعات من ابناء البلاد العربية ، بمستوى ثقافى قادر على التفاهم والتعامل مع الفسوف فى مواطن المعرفة العلمية ، التى تربط بينهم باسلوب المخاطبة المتعارف عليها .

" واستطاع بالفعل ابناء الأمة العربية المتخرجون من هاتين المدرستين حتى بعمد تلقيهم التعليم الجامعى سواء فى بريطانيا أوامريكا ، أوحتى داخل الوطن العربى أن يقوموا بأدوار واضحة فى خدمة مصالح بلادهم من المواقع المختلفة نتيجة توافر القدرة لديهم فى مخاطبة الفسوف

بالأسلوب العلمي المقبول والمفهوم نتيجة انسجام منطق التفكير عندهم
مع المعطيات الحضارية المعاصرة *

ثم تحدث الكاتب - وهو يهودى دوره - عن الصراع بين مدرسة
فكتوريا ومدرسة دنلوب وعن الرابطة التي جمعت بين خريجي كلية فكتوريا
ثم قال ان هذه الرابطة أقيمت ولكن مع هذا الالفاء (ظل الترابط والمواد)
قائماً بين هؤلاء الخريجين ، حتى قامت رابطةهم الجديدة المنظمة
بشكل دقيق في العاصمة البريطانية لندن ، ولقد أقيم هذا الاحتفال
الجديد في يوم الجمعة ٤ مايو سنة ١٩٧٩ م .

وبعد هذا تسأل الكاتب : لماذا أقيمت هذه الكلية مع أن
مدرسة دنلوب لا تزال قائمة ؟ ثم تحدث عن البديل للمناهج الهزلية
التي تدرس الآن فقال :-

(وبغض النظر عن تعاطفي الشخصي مع كلية فيكتوريا كمدرسة أجنبية
وجدت على التراب العربى ، تشرفت بالانتماء اليها : فاننى أجد أن -
الاسراع فى فتحها الآن بالانحاط التعليمية التى كانت تارسها من المناهج
الفكرية السائدة فى اكسفورد وكامبردج كقيلة بأن تحل أولى الخطوات
السليمة على الخط العلمى الذى تهدف اليه . . . ومن الممكن التوسع
فى فتح المدارس الاجنبية المختلفة البعيدة عن السمات التبشيرية
وهي كثيرة وكقيلة باخراج انحاط متعددة من التفكير العلمى السليم الذى
يلتقى مع غيره من انحاط علمية سليمة اخرى ، ليوهى التفاعل بينها السبي
خلق القدرة العربية فى الوصول الى أسلوب المخاطبة مع الغرب ،
والتعبير عن مصالحنا وأهدافنا القومية) (١)

انني اعتقد ان هذه الفقرات التي أوردتها كافية في الدلالة على
صدق صورة هذه الموالات للغرب ، وهي صادقة أيضا في براء هذا الفكر
من الفكر الاسلامي السليم ،

فالكتاب لا يرى في الاسلام بديلاً صالحاً للمناهج الهزيلة التي
تدرس الآن في العالم الاسلامي ، لأنه غير مقتنع بصلاحيته الاسلام ، الذي
يربى المؤمن على العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى السواء الخالص الصادق
لهذه العقيدة . مع البراء من كل دخيل عليها ، والشعور بالاعتزاز بهند
المكرمة الربانية التي لا يستحق هذا الكاتب وأمثاله أن يتحلوا بها . لأنها
لا تكون الا المؤمن صدقوا ما عهدوا الله عليه ، وليست لمجموعة مسـ
(أفراخ) التعليم الغربي الكافر .

٢- وسائل الاعلام

لوسائل الاعلام - الكتاب ، القصة ، الاذاعة ، التلفزيون ، المجلة ،
الجريدة ، السينما واخيراً الفيديو - اثر كبير وخطير على جميع طبقات المجتمع
وقد أدرك اعداء الاسلام خطورة هذه الوسائل ومالها من تأثير عميق فاحكمسوا
قبضتهم عليها ، وبثوا من خلالها مرسومه لافساد المسلمين واخراجهم من
اسلامهم .

وجميع هذه الوسائل تحرض - وبكل ماأوتيت - علي فسخ وخلق ولاء -
المسلم لدينه واخوانه المؤمنين وتركز بكل قوة على تدويب تمييز المسلم عن غيره ،
وعلى زعزعة براهه وعدواته للكفار ، حيث تحسن للناس : ان البلاد الصناعاتية
هي بلاد الحرية وبلاد التقدم وبلاد العلم والرقى والمدنية وان الذى يشمر
أو يدين بالعداوة الدينية لهذه الشعوب العظيمة هو انسان لم يعصر
روح العصر وروح العلم الذى فزق الحواجز بين الاجناس ووصل القارات وجعل
الناس اخوة فى الشرق والغرب !! وهي البلاد التى يستطيع الانسان فيها
ان يمارس مايشاء وكيف شاء !!

ولقد قامت وسائل الاعلام فى البلاد الاسلامية - ولا تزال تقوم -
بحرب شعواء على الدين الاسلامي وعلى المسلمين ففضلا عن أنهم
تحسن وتدعوا الى موالاة الكفار : هي ايضا حريصة على نشر الفاحشة فى
الذين آمنوا .

والمتتبع للصحف وللصادرة فى أوائل هذا القرن الميلادى يجد فيها
صورة صادقة لما نقول فصحيفة المقطم - مثلا - تجدها موالية للانجليز ، تعمل
لحسابهم ، وتصور افعالهم بانها افعال انسانية ، حيث انهم - اى الانجليز -

لم يقيموا في مصر الا لرفع الظلم واحياء العدل ، واليهم وحدهم يرجع الفضل في انقاذ مصر من كل ما اصابها !! وكذلك كانت مجلة المقتطف تدور كتابتها وآروها حول هذا الموضوع (١) .

وقد عملت هذه الصحف والمجلات المأجوره على اامة الجهاد بمفهومه الاسلامي الصحيح ، وتؤكد ما يقوله اسيادها من أن المسلمين أناس همسج يحبون الحروب وسفك الدماء ، ولا تتسع صدورهم للتسامح " لانهم اناس متعصبون ؟!

فاذا أرادوا الخروج من هذه الوصمة فعليهم بالتسامح والتحبب للآخرين وتغيير النظرة اليهم ، ويجب عليهم أن يبرأوا من ذلك " التراث " الذي يعشق تلك الروح المتعصبة في نفوسهم! (٢)

وكذلك كانت مجلة الهلال والمقتطف تعملان على (تطوير الفكر الاسلامي واشرا به الروح المملطانية التحررية التي سادت أوروبا في القرون التاسع عشر) (٣)

ومن المهام التي عنيت بها وسائل الاعلام : اشاعة الفاحشة ، والاغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في الارض لخلخلة العقيدة وتحطيم الاخلاق وانا انهدم الركبان الاساسيان - وهما العقيدة والاخلاق - فكيف يوجي بعد ذلك قيام بناء سليم ؟ (٤)

وانا كان هذا هو تأثير وسائل الاعلام بوجه عام ، فكيف اذا علمنا ان معظم القائمين على هذه الصحف والمجلات ، أناس كفار ، قد طئست

(١) انظر بتوسع الاتجاهات الوطنية ٩٠/١ - ٩١٢

(٢) انظر المصدر السابق ١١٢/١

(٣) الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٠

(٤) انظر اساليب الفوز الفكري ص ٧١ ط ٢

صدورهم حقياً وكراهية لهذا الدين ، وامتلات نفوسهم غيظاً من شدة ما يرون من تأثير هذا الدين ، وما تصنعه هذه العقيدة .
وهو لا كثير ، منهم على سبيل المثال لا الحصر : جورجى زيدان مزيف التاريخ وهو صاحب دار الهلال وسليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام ، ويعقوب وفوءاد صروف صاحب المقتطف .

وهذه الوسائل قد قامت بمحاربة الله فى الارض ، تريد ان تحل محل ما حرم الله ، وتحرم ما أحل الله ، فنصبت نفسها طاغوتا يعبد من دون الله ومصدق ذلك . ان الصحافة المأجوره أيام تأسيسها فى مصر ظلت تكتب عن مشكلة البغاء ثلاثين سنة ، وكذلك عن مشكلة المرأة واختلاطها بالرجال ، وتحطيم هيبة الدين ووصفه بالرجعية والجمسود والتقاليد البالية ، وأنه لم يعد صالحاً لمواكبة العصر ، كما قال ذلك الصحافى المأجور " هيكل " حين قال : (ان التقدم التكنولوجى قد أحال اقدس الكتب الدينية - أى القرآن - الى أوراق صفراء تحفظ فى المتاحف) (١) بل تعتمد وسائل الاعلام المأجورة من قبل اعداء الاسلام على الألوهية . فقال نجيب محفوظ فى احدى قصصه ان الله قد مات . (٢) " ألا لعنة لى الظالمين "

اما عن قضية حجاب المرأة المسلمة فهذا شيء هاجب له جميع وسائل الاعلام ولا تزال وأول من قاد هذه الدعوة المجموعة قاسم امين فى كتابه " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " ونادى بالمرأة المصرية

(١) نقلا عن مذكرة الطواهب الفكرية للاستاذ محمد قطب .

(٢) انظر المصدر السابق .

أن تجارى أجتها الأوروبية فى كل شىء ، ومن شطر هذه الدعوة من سميت أمينة وهي ليست أمينة ، انها امينة السعيد التى قالت وهي شهاجم الحجاب " عجبت لفتيات ثقفات كيف يلبسن اكفان الموتى وهن على قيد الحياه " ، وقبلها كانت الزعيمة هدى شعراوى وصفية زطلول ، وغيرها من اللائى احرقن الحجاب فى ميدان الاسماعيليه الذى سمى بحد ذلك " ميدان التحرير " ! (١)

وخلصه ما يمكن ان نقوله عن وسائل الاعلام ومن يخطط لها : انها قلبت المنكر معروفاً وامرت به ، وقلبت المعروف منكراً ونهت عهده . ومن يراجع بروتوكولات حكما صهيون يجد مصداق ما ذكرنا كله حرفاً بحرف بل واكثر من ذلك ، واليك هذا النص الصريح من نفس البروتوكولات . جاء فى البروتوكول الثالث عشر مانصه : (ولكى نبعد الجماهير من الامم غير اليهودية عن أن تكشف بنفسها أى خط عمل جديد لنا سنلبيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرا .

" وسرعان ما سنبداً الاعلان فى الصحف داعين الناس الى الدخول فى مباريات شتى من كل انواع المشروعات كالفن والرياضه وما اليها . ان هذه المتع الجديدة ستطهى ذهن الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد هو : اننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيد بين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة . " وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير الآتيا وحدها ، من أشغال الاشخاص الذين لا يستطيع الشك فى تحالفهم معنا .

" ان دور المثاليين المتحررين سينتهى حالما يعترف بحكومتنا وسيودون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت ، ولهذا السبب سنحاول ان نوجه

(١) راجع كتب الدكتور الاستاذ محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنيه) ، والاسلام والحضاره الغربيه وحصوننا مهدده من داخلها .

العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو مقدّمة
او تحريرية .

" لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل زوروس -
الاميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يوجد عقل واحد بين
الاميين يستطيع أن يلاحظ انه في كل حالة وراء كلمة " التقدم " يختفي ضلال
وزيغ عن الحق) (١)

وأحسب ان كل عاقل سيقف بروية عند قولهم " وحالما يفقد الشعب تدريجياً
نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا . . الخ .

ولكن مع هذا أيضاً نقول : ان هذا الغزو الفكري مهما كان من
الشراسه والحنكة والتخطيط مع الدقة وضبط التوقيت المناسب للمادة المناسبة
مع هذا كله فان المسلمين أو اكثر المحسوبين على الاسلام قد اسهموا في
عمل هذه الوسائل الخبيثة لانهم ابتمدوا عن دينهم وتخلوا عن مفاهيمهم
عقيدتهم والله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٦٨ ترجمة محمد خليفة التونسي

ط ٤ وانظر مكائد يهودية للميداني ص ٣٤٦

٣ - نشر كتب المستشرقين

لئن كانت حركة الترجمة الاولى قد صحبها من الانحرافات ما سبقست
الاشارة اليه ، فان حركة الترجمة المعاصرة أشد خيباً من سابقتها وأكثر
افساداً منها .

ذلك أن الترجمة الحديثة لم تكن في غالب الأحوال عن طريق غير
المسلمين فحسب ، بل اتجهت الى ترجمته كتب المستشرقين الحاقديين
الذين قاموا بأعمال فكرية كثيرة هدفها الأساسي تشويه مصادر التلقي عند
المسلمين وتكديرها بالأفكار المفرضة والدسائس الحاقدة . لينشأ جيل
اسلامي مفصول العرى عن دينه وأمته ، يتخذ من الطرائق الغربية في
التفكير والبحث قبلته الوهيدة ، ولا يشعر بالانتماء للاسلام ديناً ومنهجاً
وحضارة .

وكتابة المستشرقين تتفق في معظمها على اسلوب واحد هو : انها
دراسات موجهة من قبل المستشرقين أنفسهم ومن قبل من يمولهم فسي
علمهم فهي ليست دراسات " علمية " يقصد بها وجه العلم ، يدل على
ذلك قول " سمث " في كتابه الاسلام في التاريخ الحديث " في الفصل
الثالث الذي تكلم فيه عن العرب : ان الاسلام كان عاملاً أساسياً وسبباً مهماً
من أسباب وجود الهوية التي تفصل بين الغرب والعرب ثم يقول : " لقد
أصبح من الحقائق الجديدة في مديتنا المصرية أن من الواجب سـ
هذه الثغرات ببناء قنطرة فوق مثل هذه الهوية ، وخلق الأسباب الموصلة
للتفاهم والتواصل . . وخلق مثل هذا التفاهم بين المدنيات المختلفة
والاديان المتباينة يتطلب جهوداً مبتكرة لا يتوصل اليها الا بصعوبة " (١)

" ولقد قام المستشرقون بجهود كبيرة تمثلت في احياء بعض النصوص
والمخطوطات الاسلامية وكان لهم في ذلك طرق منظمة الى حد ما ، ولهمم أيضاً
في ذلك اخطاء كثيرة في فهم النصوص وتفسير الأحداث ، ولكن مع كل ذلك
فليست العبرة بالجهد الذي بذل وانما العبرة بالهدف الذي بذل هذا الجهد من أجله
هل كان هذا الهدف هو " خدمة " الاسلام أم تشويه الاسلام وتلويت صورته في النفوس " (١) ؟
ويدعى المستشرقون في كل ما يكتبون الروح العلمية او الروح المتجردة
وغير ذلك من الشعارات التي تكذبها كتابه المستشرقون أنفسهم ، ودليل
ذلك ان مرجليوث - وهو من أئمتهم - يقول في فصل له منشور في موسوعة
تاريخ العلم " ان محمداً صلى الله عليه وسلم رجل مجهول النسب لانه
محمد " بن عبدالله " وقد كان العرب يطلقون على من لا يعرفون نسبه
اسم عبدالله !!!

أوليس متبع هذا هو الحق الصليبي لا الروح العلمية المتجردة ؟
أوليس دافع هذا : التشكيك في الحقائق المسلمة البديهية ؟
كيف يقال هذا الكلام " رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوم لا تصروف
شيئا كما تعرف الانساب ولا تعتز بشيء " كاعتزازها بالانساب ؟
أى سخف واى تهامة في هذا التفكير الاستشراقي الخبيث ؟ (٢)
وماذا ينتظر من هؤلاء " وواحد من زعمائهم " جولد تسيهر " يقول في كتابه
" العقيدة والشريعة " ان النظام الفقهي الاسلامي الدقيق مستمد من

(١) هل نحن مسلمون ص ١٧٤ بتصرف بسيط .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٧٢

القانون الروماني " ونظامه السياسي متأثر بالنظريات السياسية الفارسية ،
وتصوفه يمثل الآراء الهندية والافلاطونية الجديدة !!! (١)
ولو أردنا تتبع الأمثلة لطال الحديث في ذلك .

ولكننا نقول : مادام هو " الناس بهذه الروح الحاقدة والنيئة
السيئة والفعل الخبيث . سلاحهم التشكيك ، ويدنهم الكذب والتزوير
وطابعهم الحقن الصليبي القديم ، ماداموا كذلك فما هو - ياترى - قيمة
كل ماكتبوه ؟

وماذا يوتجى من تلاميذهم الذين ينظرون اليهم بوجع الاجلال والاكبار
وانهم هم أساطين البحث العلمي المتجرد ؟

ان كثيراً من تلاميذهم يستطيع ان يخالف نفسه وغيره من هو علمي
شاكلته كثيراً ولكنه لا يستطيع ان ينكر واقعاً مشهوداً في حياة المستشرقين
أنفسهم غير ما ذكرنا من الأمثلة السابقة .

ذلك ان الطلاب المبتعثين للدراسة على أيدي المستشرقين لا يسد
ان يختاروا بحوثهم العلمية على ما يريد لهم اساتذتهم . فان لم يكن كذلك
واعطي الطالب حرية الاختيار فلا بد ان تكون الكتابة في أي موضوع خاضعة
لما يظن هذا المستشرق وما يصبوا اليه من الطعن في الاسلام شريفة
وعقيدة ونظام حياة . خاصة اذا كان البحث في " قضايا الاسلام " .

وخير مثال على ذلك ما ذكره الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه
الله حيث قال : (حدثني البروفسور " اندرسون " نفسه أنه أسقط أحمد
المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراة في التشريع
الاسلامي من جامعة لندن ، لسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق
المرأة في الاسلام ، وقد برهن فيها على أن الاسلام أعطي المرأة حقوقها

الكاملة ، فمجبت من ذلك ، وسألت هذا المستشرق : وكيف أسقطتـه
ومنعت من نوال الدكتوراه لهذا السبب ، وأنتم تدعون حرية الفكر فـي
جامعاتكم ؟

قال : لأنه يقول : الاسلام يمنح المرأة كذا والاسلام قرر للمرأة كذا ، فهل
هو ناطق رسمي باسم الاسلام ؟ (١) !!

لقد احدثت كتب المستشرقين زعزعة كبيرة في نفوس ضعاف الايمان ،
فخرج من هذه المدرسة التشكيكية أجيال تولت القيادات الفكرية والعلمية
في العالم الاسلامي واخذت تردد كاليفساء ما أملاه عليها اساتذتها
"العلماء" . ولقد كان من أهم اهداف المستشرقين وتلاميذهم الطمس
في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاولة النيل منها . ومصدق ذلك
أن أحد هؤلاء التلاميذ وهو الدكتور على حسن عبدالقادر قال لتلاميذه
بعد أن رجع "دكتوراً" اني سأدرس لكم تاريخ التشريع الاسلامي ولكن
على طريقه علميه لا عهد للازهر بها ، واني اعترف لكم بأنني تعلمت في
الازهر قرابة أربعة عشر عاماً فلم أفهم الاسلام ولكني فهمت للاسلام حين
دراستي في ألمانيا (٢) . !! قال الاستاذ السباعي رحمه الله : ثم
تبين لنا فيما بعد انه يطلي علينا ترجمة حرفية لكتاب "جولد تسيهر" دراسات
اسلامية " !! (٣)

اما أكثر ما يعتمدون عليه في الطعن في السنة من غير الشبه
والشكوك فهو حكاية عرض الحديث على "العقل" وهي حكاية قديمة نأدى بها
المعتزلة ، وتبعهم عليها المستشرقون وتلاميذهم أمثال أحمد أمين وأبي
رية وغيرهم كثير .

(١) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ١٣ ط ٢ وذكر ايضاً - رحمه
الله - أمثلة كثيرة حول هذا الموضوع فليراجعها من شاء في ذلك
الكتاب القيم .

(٣) نفس المصدر ص ١٩

(٢) السنة للسباعي ص ١٩

وللمستشرقين أيضاً كتابات أخرى دس فيها السم بالمسل وذلك أنهم يصدرن كتاباتهم بقليل من المدح للإسلام وأنه فعل كذا وكذا . . . السخ ، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى كسب ثقة القارىء ، ثم يبدأون بنقث الحقد الدفين في نفوسهم بأن يشككوا في العقيدة والشريعة ويوردوا سيلاً من الشبه التافهة من أجل زعزعة ثقة المسلم بدينه (١) تحقيقاً لقوله تعالى " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون " ٧٢ آل عمران .

ومما لا شك فيه ان هناك أموالاً وحكومات وراء نشر كتب المستشرقين في العالم الاسلامي لان هذا الفوز يحقق لاعداء الاسلام ما لم يحققه لهم الفوز العسكري .

على أنه من المهم ان نقول هنا : أن تخلي المسلمين عن منهجهم العلمي بعد تخليهم عن مفاهيم العقيدة الصحيحة وترك منهج السعدثيين الذى هو أعظم منهج علمي وضع في تاريخ البشرية سبب مباشر يقف السبي جانب كيد المستشرقين في ازدياد هوة هذا الانحراف الذى وقع فى حياة المسلمين :

وخلاصة القول : ان كل من تأثر بالمستشرقين - فكراً أو منهجاً - لا يمكن ان يكون ولا وه لدينه وأمه صافياً صادقاً كما أن براءة لن يكون وفق التصور الاسلامي الصحيح .

(١) الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين جزاه الله خيراً تتبع مزيداً من هذه البحوث فى كتابه الاسلام والحضارة الغربية خاصة فى الفصول الرابع والخامس والسادس .

المذاهب اللادينية

إن من أخطر ما واجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادينية بينهم ، حيث أريد لهذه المذاهب الهدامة أن تعمو شريعة الله من الأرض وتقصيها من واقع حياة المسلمين . وتشتت ولاء المسلمين الواحد الى ولاءات جاهلية متعددة ، فاذا انتزع ولاء المسلم لدينه سهل حينئذ تقبله لاي فكر ، ورضي بأى وضع يعيش فيه مهما كان فى ذلك من التبعية والانهازم .

من هنا عمل اعداء الاسلام على بث هذه المذاهب مستخدمين لذلك

وسيلتين :

(١) الهجوم الشرس على العقيدة الاسلامية والشريعة ورميها باحط ما وضعوا من عبارات مسفة كقولهم ان الشريعة الاسلامية شريعة بويرية تشوه يد السارق ، وتتركب جريمة فظيمة برجم الزانى المحصن ولا تساير روح العصر الذى سيطرت عليه المعارف " التكنولوجية " بل ليس فى الاسلام مواد قانونية تنظم حياة الناس . . . الى آخر ذلك الهراء .

(٢) اضعاف صبغة البهجة الكاذبة ، والدعاية لتلك المذاهب الهدامة ووصفها بأنها هى علامة التقدم وسابرة الركب الحضارى العالمى ، وهى التى تعطي الناس الحرية فى كل شىء . وهى مذاهب لا تقيد الانسان بدين معين ، بل يأخذ ما يريد وبدع ما لا يريد مذاهب تخلو من التزم وضييق الافق . . الى آخر ما هنالك مما يقال .

ولقد وقع كثير من المنتسبين للاسلام فريسة لهذا الغزو الفكرى الطاكر

ولا أريد هنا أن أدخل في قضية الرد ولنا على كل جزئية فان ذلك ليس من منهج هذا البحث ، كما قد اشرت الى ذلك سابقا وصدق القائل .
لو كل كلب عوى القمته حجرا لأصبح الصخر مثقالا بدينار
ثم اننا لم نعد بحاجة كبيرة لنتبع الرد على شبهات الاعداء وقولهم ان هذا العصر لم يعد بحاجة الي الدين ، لأن هذا كلام يكذبه واقصمهم هم ، بدليل ما شاهدته اليوم في البلاد الكافرة كأمريكا وأوربا من حالسة الضياع والانتحار والقتل وفضائح الجريمة والخواء الروحي . وحشهم عصا يشبع جوعهم الروحي الذي لا يملأه الا الاسلام .
وأما ما يتعلق ببهرجة مذاهبهم الاحادية فأكبر مثال يكذبها عندهم هم هو فشلها في بلادهم .

ثم ما كتبه مفكروهم عن تدهور الحضارة الغربية ، حيث ذكروا أنها في طريقها الى الزوال وهذا امر ثابت لا يحتاج الى جدال . فان كل بناء قام على غير ما شرع الله ، مصيرها الزوال والدمار كما قال تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا واخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون " ٤٤ الانعام . وأوروبا اليوم قد فتحت عليها كل شيء في العلم المادي والتقدم الصناعي والسياسة والمال والاقتصاد وغير ذلك ، ولكنها مع هذا كله في طريقها للزوال وفق سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول .

هذا وبالرغم من أنني سأعطي فكرة موجزة عن هدف كل مذهب يتعلق ببحثي الا أنني أبادر الى القول بأن الهدف الاول والاخير من كل هذه المذاهب الكافرة هو : اخراج المسلم من اسلامه وقطع ولاء المسلم بربه ودينه واخوانه المؤمنين ، ثم العودة الى روح الجاهلية التي تتمثل في الطاعة والانقياد والخضوع لهذه المذاهب الكافرة ولظواغيتها الذي ين

يخططون لها . والمودة ايضاً بالمسلمين الى جاهلية العرق والنسب والتراب وسائر أنواع النتن التي أمر الله المسلمين بتركها لانها تنقض عرى الاسلام عروة عروة . وهذا الهدف تتفق عليه كل المذاهب الكافرة باتجاهاتها المختلفة وانتماءاتها المتنوعة ولكنى - وأنا اكتب عن عقيدة الولاة والبراءة - سأقتصر على تلك المذاهب التي تبدو فيها صورة منافاتها لهذه العقيدة واضحة جلية ، وتناقضها معها أمراً ظاهراً ومن ذلك القومية والوطنية ، اللتان تحصران الولاة في دائرة الجنس والتراب فيلتقي فيها مثلاً اليهودى العربى والنصرانى العربى والمشرک العربى ، والبعضى العربى مع المسلم العربى لأن رابطة القومية العربية تجمعهم . وهذا أمر يرفضه الدين الحنيف لأن الرابطة فيه هي رابطة العقيدة ، فضلاً عن ان الوطنية والقومية ضيقتا دائرة الولاة .

ان العالم الاسلامي كان أمة واحدة تظلمه راية " لا اله الا الله محمد رسول الله " ورغم خط الانحراف الذى يرتفع ويهبط فى تاريخ المسلمين الا أنهم الى مايقرب من ثلاثة قرون كانوا يشعرون أنهم أمة واحدة لانهم يدنون بدين واحد ويؤمنون بكتاب واحد وسنة واحدة ويتحاكمون بسبي شريعة واحدة .

ولقد كان المسلم يخرج من طنجة حتى ينتهي به المقام فى بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية وانما يحمل شعاراً اسلامياً هو كلمة التوحيد ، فكما حل أرضاً وجد فيها له اخوة فى الايمان وان كانت الالسنة مختلفة والالوان متباينة لأن الاسلام اذاب كل تلك الفوارق واعتبرها ممن شعارات الجاهلية .

ولكنه نتيجة لضعف المسلمين وتمكينهم عدوهم من انفسهم سهل استعمارهم من قبل ارنل خلق الله ، وهم اليهود والنصارى ومن جاء بعدهم كالملاحنة الشيوعيين .

وبعد أن تمكن العدو من السيطرة على أرض الاسلام أخذ يبث سمومه ويغرس في نفوس الضعاف والسذج والعملاء حبه ونصرته ومولاته ، واستحسان ما هو عليه من باطل وكفر ، وهنا نزع الولاة الاسلامي ليحل محله السسولاة الجاهلي الكافر .

ومصدق هذا الكلام قول أحد المستشرقين في كتاب " الشرق الأناثسي مجتمعه وثقافته " وهو يتحدث عن اسلوب نزع ولاة المسلمين فيقول :
(اننا في كل بلد اسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الاسلام ، ولحسننا نعتقد بهذا ان المسلم سيترك دينه ولكننا يكفينا منه تذبذب ولائه بين الاسلام وتلك الحضارات) (١)

وهذا الكلام صادق في ذاته ، لأن نشوء فكرة احياء الحضارات والنعرات الجاهلية أمر خطير على قضية الولاة ، حيث ينشأ من ذلك فصام تكه ، ويبتدى الميل والحب - بفعل شياطين الجن والانس - يكبر ثجسناه هذه الحضارات ويقل ثم يضمحل الولاة الاسلامي الخالص لله رب العالمين .

وبعد أن كان البراء أمراً ملازماً للولاة تجاه هذه النعرات الجاهلية أصبح أمراً لا وجود له - الا عند من رحم الله - لأن هذه الأفكار كقيلمة بفلسل فكرة البراء من النفس عند ضعاف الايمان ، أو المفاظة عند البعض بأن هذه الافكار والمذاهب لا تتعارض مع الاسلام ! ويقال : ما الذي يوضع المسلم أن يكون مسلماً وقومياً أو مسلماً علمانياً أو مسلماً اشتراكياً . . الخ

ولما أدرك أعداء الاسلام مدى جدوى وفاعلية هذه الفكرة السستي تسخ المسلم حتى يصبح مخلوقاً لاصلة له بالله - كما قالوا - بدأوا يبث

فكرة القومية والوطنية ، مبتدئين بتركيا مقرأ آخر خلافة اسلامية ، حيث فشلت هناك : القومية الطورانية وتزعم هذه الدعوة حزب "الاتحاد والترقي" فبدأ بالمطالبة "بتتريك تركيا" ، وعودة القومية الطورانية متخذين لذلك شعار : الذئب الاغبر/ هو محبوب الاتراك قبل ان يعرفوا الاسلام.

وبهذا (التتريك) اخذت الدولة الشعمانية تضغط على العرب ، حيث تعطي الاتراك امتيازات خاصة بهم لانهم ترك ! وهذا الفعل فضلا عن كونه يعارض مبدأ العدل الاسلامي هو ايضا مؤثر للعرب ان يتحدوا في قومية عربية جديدة ! وهذا هو الذي حصل فعلا .

فلقد قام الجاسوس لورانس - الذي سماه المفلون - " لورانس

العرب " بالتخطيط لقيام ما يسمي بالثورة العربية الكبرى ضد الخلافة العثمانية وانضم العرب الي/ومن المضحك المخزي ان محرك الجيوش عهداً ولاعربية لفره العربية هو لورانس العرب !!

فانظر ايها القارى الى جيوش عربية تزعم انها مسلمة وولا وهـ

الجاسوس غربي كافر اسمه لورانس !!

وبعد انتها مهمة هذه الجيوش قال أحد القاده الانجليز-

" اللينيبي" - قوله المشهورة " الان انتهت الحروب الصليبية " !! يقصد

بذلك ان الحق الصليبي ظل كامناً في نفوس الصليبيين الى أن استردوا -

بيت المقدس " . (٢)

(١) العرب والاسلام للندوى ص ٩

(٢) انظر المحاضرة القيمة : المخططات الصهيونية للاستاد محمد قطب

الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ المختار الاسلامي بالقاهرة .

وانفصل العرب عن اخوانهم المسلمين في انحاء المعمورة واعتنقوا القومية العلمانية من أجل تقليد الغرب الذي آمن بها بالامس وكفر بلها اليوم . وأصبح كل تجمع أو حتى تضامن أو تقارب على أساس العقيدة والدين مظهراً من مظاهر التخلف والرجعية يجب ان تبرأ منه الجماهير لتكون عصرية تقدمية * (١)

ولما انتكست العرب وعادت الى نعمة الجاهلية ، فقدت روح التضحية والجهاد ، وولت وجهها تجاه اليمين واليسار ، حيث اليمين له ألوان وضروب من واشنطن الى باريس الى لندن واليسار له ألوان أحمر وأخضر وبينهما بمسند مابين موسكو وبكين . (٢)

ولما وقعت هذه النمرة الجاهلية ، وقع معها كل باطل وكل شر . فأما شريعة الله وحكمها وقياسها بما يحتاج اليه البشر لأنها من عند الله وهو العليم سبحانه بما يصلح أحوال البشر : فقد أقصيت وحل محلها قانون البعث العربي الاشتراكي الذي أخذ يردد هذا الشعار .

لا تسئل عن ملتي أو مذ هـسبي أنا بعشي اشتراكي عربي
ومن المضحك أن صاحب هذا الشعار حين تلقى صفحه موجهة من اليهود بالرغم من ولائه لهم - مسح ذلك الشعار وكتب مكانه " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله !!! (٣)

أما شار هذا (الفتح الجديد) بعد الرضي بالقومية فشي " يصعب حصره ، حيث انطلقت الفرائز البهيمية وطغت الشهوات ، وانتشر المجنون والفسق ، وتحللت الاخلاق وغربت الفضائل ، فأصبح العفاف والاحتشام

(١) درس النكبة الثانية للاستاذ يوسف القرضاوى ص ٣٥ ط الاولى

(٢) درس النكبة الثانية ص ٣٦

(٣) نظرية التربية الاسلامية للشيخ محمد الفزالي . وهو بحث قدم لندوة

اسس التربية الاسلامية بمكة في ١١/٦/١٤٠٠ هـ

والحياة : رجعية متمزته لم تر نور القرن العشرين ، وأصبح اللهو والخلاعة
والصور العاريه والقصص الخليعة والأدب الرخيص ، والأزياء المشيرة والغفباء
والرقص والاختلاط سمات الحضارة وعنوان التقدم وشارة التحرر من ربقسة
التقاليد البالية !! (١)

وأعجب من ذلك كله ان اليهود الذين هم وراء هذه الردة الجديدة يعلنون
وبصراحة وجدية واضحة انهم لم ولن يتخلوا عن دينهم فهذا موسى ديسان
حين سئل هل كنتم تشعرون أن الله معكم في معركة ه هزيران ؟
قال : كنا نشعر اننا في جانب الله " (٢)

ويقول زعيم الصهيونية الاول " هرتزل " : ان العودة الى صهيون يجب
ان تسبقها عودة الى اليهوديه . (٣)

ونشطت الدعوات الهدامة ، فهذه النعرة الفرعونية تطل برأسها
وتسفر عن وجهها بعد ان كانت لا تظهر الا مقنعة أو من خلف ستار .
نشط دعواتها في الصحف والندوات ورسموا رأس " ابي الهول " على
طوابع البريد وعلى أوراق النقد ، واجتاحت مصر موجه من الفرعونية ، تحاول
غزو سائر النواحي الثقافية ، وتدعو الى اطلعة الفنون على أسس فرعونية ،
وتزعمت صحيفة " السياسة الاسبوعية " هذا الاتجاه الجديد ، فافسحت
صدرها لهؤلاء الدعاة ولم يخل عدد من اعدادها من حديث عن حضارة
الفرعنة وثقافتهم ومجدهم . (٤)

(١) انظر درس النكبة الثانية ص ٣٩

(٢) المصدر السابق ص ٨٠

(٣) نفس المصدر ص ٨٢

(٤) انظر : ازمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ٤٣ - ٥٣

وكثر التغنى بهذه الامجاد من أجل ذنبه ولا * المسلم ، فهذا حافظ ابراهيم
يقول :

أنا مصرى بناني من بسنى هرم الدهر الذي أعينى الغنى
ورجعت العراق لنعصرية الآشوريين ، وكل بقمة أخذت تنادى بهذه -
الردة الجديدة .

أما الشعار الوطني الجديد : فهو ما أعلنه سمد زغلول بقوله : الدين
لله والوطن للجميع . ! أي الوطن ليس لله ، ثم قال : لا تنادوا -
بشعارات اسلامية خشية ان يفضب اخواننا الاقباط . (١)

ونادى دعاة القومية الناس باسلوب ماكر فقالوا : ما المانع ان يكون
المسلم العربي - عربياً مسلماً ، ثم قالوا : يكون عربياً فقط . اليس
الاسلام عربياً ؟ ان ما هو عيب القومية العربية ؟ ان العرب اذا نزلوا
نزل الاسلام فلنناد بالقومية العربية !!

وهذا كلام غير صحيح لانه يوم نزل العرب جاء صلاح الدين الكردي ، وجاء
قطز المملوكي فانقذوا المسلمين من ذلك الهوان ، وانتصر القائدان بقولهما
واسلاماه .

(٢) ولم يكن في حسبهم ولا في عقيدتهم هذه التفرقة ولا هذه النحرة الجاهلية
ان الاسلام يكذب ذلك الزهم الذي يزعمه القوميون لانه جاء لانتزاع هذه
النصرت فجمع في دعوته بل في أول دعوته : أبابكر العربي القرشي وسلال
الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي . وكما قال عمر رضي الله عنه : نحن
قوم أعزنا الله بالاسلام فاذا التمسنا العزة بغيره أنلنا الله .
ان تقليد الغرب في استيراد مبدأ القومية أو العلمانية أو أى مذهب

أو فكر : يعيد للانهان تلك القصة الرمزية القديمة التي تتحدث عن حمارين كان احدهما يحمل ملحاً وكان الآخر يحمل اسفنجاً . فرأى حامل الاسفنج صاحبه ينزل الى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخف حملاً ، فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالأسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته اثقل حملاً . (١)

وخلاصة القول في القومية : انها شرك بالله لانها بايجابها العمل لها وحدما . والتضحية والجهاد في سبيلها ، وصرف الكره والبراء ومسا يتبعهما ضد كل خارج عن القومية ، وصرف الحب والولاء وما يتبعهما للقوميين ومن الالهم : هي بهذا تكون نداءً يعبد من دون الله لأن ذلك يقوم مقام النفي والبراء والاثبات والولاء وهما ركنا الألوهيه ، أو العبادة في قول " لا اله الا الله " فلا اله " نفي وبراء " ، و " الا الله " اثبات وولاء لله لا شريك له . والدليل على ذلك قوله تعالى " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله " (٢) ١٦٥ البقرة . وليس بعد الحق الا الضلال . فليحذر كل مسلم على نفسه من الوقوع في هذا الشرك المقنع .

وأما العالمية : أو " الانسانية " فهي تتفق ايضا مع القومية والوطنية في مناقضة عقيدة الولا والبراء ، ولكن هذا التناقض يتخذ شكلاً آخر : هو توسيع دائرة الولا بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان .

(١) الاسلام والحضارة الغربية ص ٢٣٧ .

(٢) انظر فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ص ١٢٩ للشيخ صالح المعبود وهي أوسع كتاب فيما أعلم في قضية القومية العربية مكتوبة بالاله الكاتبة في الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة . ويراجع ايضا كتاب الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية للندوى ص ١٢٤-١٦٢ الطبعة الثالثة ، وكتاب الاتجاهات الوطنية ١/٦٧، ١٠٥، ٢٠٢/٢٩٢ وكتاب الشعوبية الجديد لمحمد مصطفى رمضان .

وهذا في حقيقة الأمر ضياع للولاة ومسح للبراءة حتى لا يعود المسلم يشمر
بالتفارق بينه وبين لئى كافر في يتقاع الارض .
ويقوم هذا البدأ على الفاظ خادعة وموهمة مثل : الحرية والأخوة والعدل
والمساواة .

وفى ذلك يقول " كالفلسي " : (وحينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف
على كل المعلومات المجردة عن النهوى ، وحينما يصبح الجميع أحراراً فسي
تفكيرهم ، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو هير وعدل وجميل ،
وعندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد . واني سأكون
سعيداً باتباع دين عالمي موحد ، تتج مصادره من حقائق التاريخ ، وتشمل
مبادئ العدالة الاجتماعية ، وتقوم بفضلها مظاهر الحب والأخاء على انقاض
الكراهية والخصومة . (١)

وهذا الكلام هدم صريح للاسلام ، ومعمل هدم لطمس الجهاد الاسلامي
الذي يقوم على تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض ، ومن انقسامهم الي
" ملاة " وهم السادة الأقوياء و " عبيد " وهم التابعون الأذلاء . الي
جعلهم كلهم عباداً لله .

وكما نعلم جميعاً أن الجهاد يرهب أعداء الله ، ويخافونه كثيراً ،
ولذلك ما فتوا يبحثون عن وسائل متنوعة لابطاله ومحوه من أفكار المسلمين ،
انهم تارة يقولون : الاسلام انتشر بالسيف ، وتارة يقولون ، انه دين
وحشي لا يرحم الناس وقد لا تكون هذه لهجدياً لما يريدون ، فقالوا : العالمية
والانسانية هي المذهب الجديد الذي بيعى فيه الناس بأمن وسلام
وعدالة واخوة ، بصرف النظر عن الاديان والاطان . !

وبزيد هذا الامر ايضاحاً مقاله معروف الد واليبي (. . اننا نشاهد
منذ المنتصف الثاني لمصرنا الحاضر من القرن العشرين تطلعاً كبيراً

نحو إقامة الحياة البشرية على مفاهيم قواعد انسانية ، و رغبة أكيدة من قبل رجال الفكر والعلم وقادة السياسة للانتقال بالمجتمع الانساني المتمايز والمتناصر الى مجتمع انساني واحد متعاون وذلك في اطار " وحدة الأسرة البشرية " من غير تفاضل بين الأتوام الا بالتقوى ، وفي اطار " حق الجميع في الحياة الكريمة " من غير تمايز في الاعراق أو في الأجناس أو في الاديان وفي اطار " وحدة المصالح الاقتصادية للجميع " من غير استثناء من قبل الكبار والاقوياء على حساب الصغار والضعفاء . وفي اطار " العدالة المطلقة بين الجميع حماية لسلم الانسان " ، ثم ذكر ان هيئة الامم المتحدة اخذت تدعو لهذه المفاهيم العالمية الجديدة التي (تدعو الى محو التمايز فيما بين الأسرة البشرية وأجناسها ، قومياً وعرقياً واقتصادياً وفقاً لمبادئ حقوق الانسان) (١)

(١) مجلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية العدد الخامس ، السنة التاسعة عشرة ، جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ هذا ومن الجدير بالذكر انه قد ورد في مجلة العربي الكويتية في العدد ٢٦٧ ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ مقالان حول هذه الدعوة .

الاول منها : ص ١٨ للدكتور محمد فتحي عثمان تحدث فيه عن " المسلمون والآخرون " وطالب المسلمين المعاصرين في اعادة النظر حول قضية دار الحرب ودار الاسلام ، وأن هذا التقسيم غير صحيح ، ولا يدل عليه الكتاب ولا السنه ، بل هو من صنيع الفقهاء مبيناً ان الخلافة الاسلامية كانت صورة تاريخية وهي لم تمش طويلاً فعلى المسلمين الا يفكروا فيها مرة اخرى ، وعليهم اعادة النظر في قضية العلاقات الدولية مع العالم المعاصر ، لكي يتقنوا فن التعاون الدولي مستفيدين من اعادة نظر الولايات المتحدة عن العلاقة في سياستها ازاء الكساد الاقتصادي في الثلاثينات من القرن العشرين . وكذلك ما حدث في الكتلة الشرقية حين عدل خروشوف عن سياسة سلفه ستالين . . الخ

ونتساءل بعد هذا الكلام . أي قانون بشري يريد دعاة العالمية ان يحمي
الناس تحت لوائه ؟

هل هو ميثاق هيئة الامم المتحدة ؟ فهي . منظمة السيطرة فيها لليهود
والنصارى والشيوعيين واكبر دليل على ذلك ما يسمى بـ " حق الفيتو " الذي

= والكاتب يرى التعديل في المفاهيم الاسلاميتمثلما يرى اربابها القانون
الوضعي تعديل قوانينهم القاصرة وكأنه يجهل او يتجاهل انه لا مقارنة
بين الدين الرباني الذي نزل من الحكيم الخبير وبين افكار البشر
القاهرة الهزيلة ، وهذه الدعوة فيها خدمة لمبدأ العالمية ودعوة غير
مباشرة لابطال شرعية الجهاد في الاسلام .

أما المقال الثاني : وهو أخبت من سابقه فهو لفهمي / ^{هو يدي} بمعنى
المسلمون والآخرين أشواك وعقد على الطريق " ص ٩٤ . وهذا المقال
يدعو لما دعا اليه الكاتب السابق مع زيادة هي : تجهيل علماء
المسلمين ووصمهم بعدم معرفة دلالات النصوص وملايساتها ، قائلاً :
ان تلك المرحلة - يريد مرحلة التاريخ الاسلامي الطويلة المشرقة -
كانت لها حساباتها وموازينها الخاصة التي لا يمكن تعميمها على
بقية مسيرة التاريخ البشري " ومؤكداً " أنه ليس صحيحاً ان
المسلمين صنفهم ^{متفوق} لمجرد كونهم مسلمين ، وليس صحيحاً ان
الاسلام يعطي افضلية لهم ، ويخص غيرهم بالدونية لانهم كفار " .
ويكفي ان هذا الكلام فضلا عن كونه دعوة لمبدأ الانسانية -
الباسوني هو ايضاً صورة واضحة من صور الولاء للكفار لان هذا
الكلام الذي ساقه هو يدي أمنية للكفار ان يتحدث به ابننا
المسلمين لكسر التمييز الذي يبنى على الولاء والبراء والحب والبغض
بحسب المقياس الاسلامي الصحيح فعلى المسلمين ان يتبينوا
مواقع الزلل والانحرافات في مثل هذه الدعوات الاحادية .

يرفض كل ما يتعارض مع مبدأ أولئك المسيطرين ام أنها الغفلة والانخداع
بما خطط له دعاة هذا المذهب الفاسد ؟

أم انه الخبيث والدهاء في تخدير الأمة الاسلامية بأن الجهاد أمر لم يعد
يصلح لمسايرة العصر الحديث لأن العالمية " لا تقره ولا ترضيه ؟

وأقرب الاجابات الى نفسى هو جواب السؤال الاخير ذلك الجواب الذى يعرفه
كل مخلص لدينه وربه وكل مؤمن يعرف كيد الجاعلية المعاصرة فيربأ بنفسه
ان ينخدع بأى دعوة لا تنبثق من مشكاة النبوة المحمدية والرسالة الربانية
الخالدة .

ونحن ان نقرر هذا الجواب المؤكد ، فليس ذلك تجنباً او مجرد ثورة عاطفة
ضد هذا المذهب الالحادى الكافر ، بل هو عين ما يهدف اليه دعاه الماسونية
العالمية التى تولت كبر الدعوة الى هذه النحلة الجديدة بجميع اهدافها
وشعاراتها .

ولذلك يقول أحد الماسون " ان ماتبغيه الماسونية هو ، وصـول
الانسانية شيئاً فشيئاً الى النظام الامثل الذى تتحقق فيه الحرية بأكـمـل
معانيها وتزول منه الفوارق بين الافراد والشعوب ويسود فيه العلم والجمال
والفضيلة" (١) .

وختاماً نقول : ان كل المذاهب البشرية القائمة اليوم فى الارض محادة لله
ولدينه وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأى تقبل لها أو عمـل
بمبادئها فان ذلك موالاة صريحة للكفار ، وبراءة صريحة من الاسلام والله قد
بين لنا فى كتابه العزيز أن من تولى الكفار فهو منهم " ومن يتولهم منكم
فانه منهم " ٥١ المائدة .

والاسلام هو الدين الذى يجمع ولا يفرق ، وهو الذى يجعل الناس
فى ميزانه الايمانى سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربى على عجمى
ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى .
وهو الذى تتحقق فيه العدالة فى اسـمى عورها ، ويتحقق فيه الامن لأنـه

لا خوف الا من الله وهو الذى يكسر شوكة كل طاغوت يريد اذلال الناس له
من دون الله .

وهو الذى فيه الطمأنينة والسعادة " الا بذكر الله تطمئن القلوب " .
٢٨ الرعد . وهو الذى تتحقق فيه الحياة الكريمة " من عمل صالحاً
من ذكرا او اثني وهو موءمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون " ٩٢ النحل . وهو الذى يحصل به التمكين الرباني
" وعد الله الذين آمنوا منكم وعطوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما
استخلف الذين قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر
بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " ٥٥ النور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخاتمة

الاسلام طريق الخلاص وسبيل النجاة

ما الخلاص من هذا الهوان والتبعية للذين أصيبت بهما الأمة
الاسلامية اليوم ؟

ما سبيل النجاة ما يراد بالمسلمين اليوم في جميع انحاء الأرض ؟
هل من سمات معينة لذلك المخلص ؟ ولعن المستقبل في نهاية
الامر ؟

الجواب : انه الاسلام ولا شيء غيره فهو الذي ينقذ الناس ما هم فيه مسن
حالة الضياع والهبوط والعبودية لضير الله ، فيخرجهم كما أخرج سلف هذه
الأمة من المظلمات الى النور ، ومن الجور الى العدل ، ومن ضيق الدنيا
الى سعة الدنيا ونعيم الآخرة .

ولكن هذا الطريق المستقيم يحتاج الى سالك جاد ، وسائر
يسير فيه دون الالتفات الى اليمين أو اليسار " وان هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون
١٥٣ الانعام .

" والحق أنه لا يمكن ان ينهض صرح الحياة الاسلامية الكاملة الخالصة
الا على دعائم الاقرار بالتوحيد الذي يحيط بجميع نواحي الحياة الانسانية
الفردية والجماعية ، والذي يحسب (١) الانسان بموجبه انه هو
وكل ما بيده من شيء ملك لله ، ويرى أن الله هو المالك الشرعي الحقيقي
له وللعالم كله ، المعبود المطاع الذي له الامر والنهي .

(١) هكذا بالنص ولعل المراد : يحس

وأن لا ينبوع للهداية الا هو ، وتطمئن نفسه بكل شعور الى أن الانحراف عن طاعة الله أو الاستغناء عن هداية أو اشراك غيره به فسي ذاته وصفاته وحقوقه وتصرفاته ان هو الا اعمان في الضلالة من أى ناحية جاء أو في أى ليون كان .

ثم ان هذا البناء - بناء الايمان بالله - لا يمكن توطيد دعائمه الا اذا رأى العبد في باطن أمره برأياً جازماً ، وقطع على نفسه بشعور كامل وارادة قوية انه هو وكل ما يبده ملك لله وراجع الى مرضاته ، وقضى على ما في نفسه من مقياس للرضا والسخط وجعله مذعناً لرضا الرب تعالى وسخطة ، ونفى عن نفسه الاثرة والكبرياء ، وصاغ نظرياته وافكاره وآراءه - ونزعاته ومناهج تفكيره في قالب ذلك العلم الذي قد أنزله الله تعالى في كتابه العزيز .

وخلع عن عنقه ريقه جميع أنواع الولاة الذي لا يدعن لطاعة الله
ويمكن محبة الله تعالى ومودته من سويداء قلبه ، ونفى عن اعطاق فؤاده كل صتم يطالبه باجلاله واكباره اكثر من الله تعالى وادغم حبه وبخضه وصداقته وعداوته ورغبته ونفوره وصلحه وهربه . . الخ في مرضاة الله تعالى حيث لا ترضي نفسه الا بما يرضي به الله ، ولا تكره الا ما يكرهه الله
مرتبة الايمان الحقيقية وظايتة المرموقة * . (١)

ان الوضع الذي تعيشه البشرية اليوم في جميع بقاع الارض والسذي يتوجه الضياع والخواء الروحي ، وهذه الهطافات التي ترتفع من كسل مكان تتادى بمنقذ ومخلص يخلصها من ذلك الهوان لأمر يشي * بأنسه هو الاسلام لأنه دين الله العظيم بما يصلح النفوس والخير بجميع مكونات الضمائر .

(١) الاسس الاخلاقية للمودودي ص ٩٤-٥٠ ط ١ سنة ١٩٧١ بيروت .

ان الاسلام هو المنهج الوحيد الذى يعطى الفطرة ما يلائمها وهو الذى يشق خطاها فى الابداع المادي وخطاها فى الاستشراق الروحي وهو وحده الذى يطك ان يقيم لها نظاماً واقصياً للحياة يتم فيه هذا التناسق الذى لم تعرفه البشرية قط الا فى ظل النظام الاسلامي -

وحده - على مدى التاريخ " (١)

واعداً الاسلام يعرفون جيداً ان عدوهم الوحيد هو الاسلام ، ومن أجل ذلك فهم يصنعون جادين الى تحطيم هذا الجبل الشامخ لأنه يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية كما يعوقهم عن الطفيلان - والتأله فى الارض كما يريدون ، لذلك فهم يضعون التصورات والمناهج التى لا تمت الى هذا الدين بصلة من أجل أن تكون هي البديلة عن هذا الدين القيم . (٢)

وليكن من المعلوم لكل مسلم جاد : أن هذا الدين لا يقوم بالف كتابتكتب عن الاسلام ولا بالخطب والمواعظ ولا بافلام الدعاية للاسلام ، وانما يقوم على واقع حي متحرك - يتمثل هذا فى المسلمين الصادقين - واقع تراه العين وتلمسه اليد وتلاحظ آثاره العقول . (٣)

ومن سطرته اصحاب هذا الواقع الذى يغير مجرى حياة البشرية المعاصرون ان يستعلوا بأنفسهم من موالاة أعداء الله - سواء من الكافرين أو المنافقين أو الملحدين - فلا يخدعهم هيلمان الباطل المعاصرون ، وان الشرق والغرب يطك القنبلة الذرية ، والصواريخ العابرة للقارات

(١) المستقبل لهذا الدين ص ١٠٩ بقليل من التصرف .

(٢) انظر الفصل الاخير من كتاب المستقبل لهذا الدين .

(٣) انظر فصل طريق الخلاص ص ١٨٢ من كتاب الاسلام ومشكلات

الحضارة للاستاذ سيد قطب رحمه الله .

بل يعلمون أن الله هو الأكبر ، وهو الولي الناصر ، وأن الغلبة للحق
مهما استطال الباطل * كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
٢٤٩ البقرة .

* وان جندنا لهم الغالبون " ١٧٣ الصافات

* انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد
٥١ غافر .

ويقول سبحانه في شأن الاعداء ، وان يقاتلونكم يولوكم الا بارثملا ينصرون *
١١١ آل عمران ولن يصل المسلمون الصادقون الى هذه الدرجة
الرفيعة الا بالبراءة من كل منهج وتشريع يخالف شريعة الله ، والبراءة
ايضاً من كل فكر يناقض هذه العقيدة التي كانت سبب نصر وعزة السلف
الصالح . واستمداد حكم كل صغيرة وكبيرة من هذه الشريعة الهانئيه
التي هي " صراط الله المستقيم الذي لا اوت فيه ولا عوج ، وولته الحنيفيه
التي لا ضيق فيها ولا هرج . . لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهيت
عنه لكان أوفق ، ولم تنه عن شيء فيقول الحجب ، لو أباحت لكان ارفق ،
بل أمرت بكل صلاح ، ونهيت عن كل فساد ، وأباحت كل طيب ، وحرمت
كل خبيث أو امرها غذاً ودواً ، ونواهيها حمية وصيانة من كل داء ،
ظا هرها زينة لباطنها وباطنها أجمل من ظا هرها . شعارها
الصدق وقوامها الحق ، وميزانها العدل وحكمها الفصل ، لا حاجة
بها البتة الى أن تكمل بسياسة ملك أو رأى نبي رأى . اكلمها الله
بقوله * اليوم اكلمت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا * ٣ البائدة وقال صلى الله عليه وسلم " لقد تركتكم على المحجسة
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك " (١)

(١) انظر اعلام الموقعين لابن القيم ٢٠٧/٣ والجديد حسب ترجمه ص ٨٧

وحري بدعاة الخير الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ان يهودوا
بالامة الى صفا العقيدة المثل فسى :

(١) تصحيح مفهوم لا اله الا الله محمد رسول الله . ودعوة الناس الى
فهم هذه الكلمة العظيمة كما فهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه الأخيار ، ومحو ذلك المفهوم الخاطي الذي يورده -
المتأخرون وهي انها مجرد لفظ عار من كل تكليف .

هو بعبارة من تكليفها موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين ، وتحكيم
شريعة الله واتباع ما انزله الله والكفر بالالهة المزيفة والارباب المتعددة
من العرف والهوى والمعادات والمتألهين الذين يشرعون للناس بغير
ما أنزل الله .

(٢) تصحيح مفهوم العبادة وأنه مفهوم شامل كامل وليس مجرد شعائير
تؤدي بينما نظام الحياة والمات قائم على مناهج وضعها البشر تفصل
بين الدين والدولة ، وبين الدين والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية والثقافية .

فالعبادة هي عقيدة وشريعة ونظام حياة . قال تعالى " قل
ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك
أمرت وأنا أول المسلمين " ١٦٢ - ١٦٣ الانعام .

(٣) تربية جيل على منهج الكتاب والسنة . لأن هذا هو الطريق الصحيح
الذي به ترجع الامة الى ربها ودينها .

(٤) طرد آثار الغزو الفكري وذلك بتمرية الجاهلية الحديثة ، وتمزيق زيفها وبهرجتها فتبين انحرافاتهما مع ايجاد البديل الاسلامي الصحيح .

(٥) تعميق قضية ولاء المسلم للمسلم وانتماؤه لاخوانه المؤمنين فقط ، وخلع الولايات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها فالسلم أخو المسلم في أي بقعة كانت ، ودار الاسلام هي دار كل مسلم في جميع انحاء الارض .

ومن تاريخنا ما يشهد بكل جلاء على أهمية هذه القضية . فان امرأة سلمة أهيتت بعمورية فاستفاحت ، وامتعصاه . فقال المعتصم لبيك ايها المرأة المسلمة وجهز الجيوش وفتح عمورية ونصر المرأة المؤمنة ، ولم يقل انها في وطني وأنا في وطن بل انطلق من واقع مسئوليته كخليفة مسلم . كل الأمة المسلمة أمانة في عنقه وهو مسئول عنها يوم يلقي الله .

ومن هنا فان نصره المسلمين المضطهدين في كل بقعة من بقاع الارض امر واجب تفرضه هذه العقيدة . ويكون واجب المؤمن - حيثما - محيطة هو لاء المسلمين ومناصرتهم باليد واللسان والمال والنصرة في كل موطن ومناسبة

(٦) تعميق قضية المعاداة والبراءة من اعداء الله الكفار مشركين والمنافقين والمرتبدين . وانه لا يجتمع ايمان في قلب مع حب للكفر وأهله كما قال تعالى * لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
الاية ٢٢ المجادلة . والحرص على تمييز المسلم عن كل وضع وفكر يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

(٧) التأكيد على قضية عداوة اولياء الشيطان لأولياء الرحمن ، فان هذه العداوة قائمة منذ آدم عليه السلام الى قيام الساعة فالخزيان لا يلتقيان أبداً لأن حزب الله يريد دعوة الناس الى عبادة الله وحزب الشيطان يدعو

الناس الى عبادة الطاغوت وطاعة ، وقتل المؤمن لصددهم عن دينهم
* ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا * ٢١٧ البقرة +
(٨) بعث الأمل وتقويته في النفوس بقرب نصر الله كما قال صلى الله
عليه وسلم * لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا
يهودي فتعال فاقتله * (١)

هذه رؤوس أقلام تبين ملامح طريق الخلاص ، وانا صدق المسلمون
مع الله وجدوا مصية الله وعونه لهم ، لأنهم الأملون ، وهم القائمون بأمر
الله في ارض الله ، ومن ثم فهم المستحقون لولاية الله وتكريمه لهم * الا ان
أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * ٦٢ يونس انهم حزب الله وأكرموا
بذلك الحزب الذين يجاهدون لاعلاء كلمة الله ولا تأخذهم في الله لومة
لائم * أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون * ٢٢ المجادلة
ونحن مستبشرون بخير ان شاء الله ، لأن بوادر وشارات الجيل الاسلامي
الجديد الذي يخلص الأمة من هذا الهوان والضياع والتبعية لبادية ظاهرة
في كل صقع من أصقاع الأرض ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

١٢ / ٥ / ١٤٠١ هـ

فهرسك الله عاوين و الله تار

فهرس الاحاديث والاثار (حسب الترتيب الهجائى)

| <u>الصفحة</u> | <u>أول الحديث أو الاثر</u> |
|---------------|---|
| ١٧٦ | ابايعكم على أن تمنصولي ما تمنصون منه نساءكم . . . |
| ٣٤٦ | اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم . . . (أثر) |
| ١٧٥ | اجعلوا على رجليه شيئاً من الأذخر . . . |
| ٣٣١ | أخرجوا المشركين من جزيرة العرب . . . |
| ٢٩٦ | إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً . . . |
| ٣٥١ | إذا سلم عليكم اليهود فانط يقول أحدهم: السام عليكم . . . |
| ٣٥١ | إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم . . . |
| ٥٧ | إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما . . . |
| ٦١ | أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . . . |
| ٣٦ | أسعد الناس بشفاعتى من قال . . . |
| ٣٢ | أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله . . . |
| ٢٩١ | اطلبوه واقتلوه . . . |
| ٢٧٥ | اغزوا يا سيم الله فى سبيل الله . . . |
| ١٤٤ | افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر . . . |
| ١٦٢ | افعلوا ما بهدا لكم فوالله لو أن قد . . . (أثر) |
| ٢٩٠ | اقتلوهم فان فى قتلهم أجرا عند الله . . . |
| ٨٣ | الحقوا الفرائض بأهلها . . . |
| ٣١٣ | الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى لموسى . . . |
| ١٦٣ | اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى . . . |
| ٣١ | ليس لا اله الا الله مقتاح الجنة . . . (أثر) |
| ١٩٩ | أما إذا أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجز . . . (أثر) |

- ٧١ أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم ...
- ٤٨ أمرت ان أقاتل الناس حتي يقولوا ...
- ١٦٢ ان اسلام عمر كان فتحاً ء وان هجرته كانت ... (أثر)
- ٣٦ ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله ...
- ١٥٥ ان الله قد أن هب عنكم عبية الجاهلية ...
- ٢٢ ان الله يقول يوم القيامة : اين المتحابون بجلالي ...
- ١١٥ ان آل فلان ليسوا لي بأولياء ...
- ١١١ ان أولى الناس بي المتقون ...
- ٢٥٩ أنا برى ء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ...
- ٣٦٩ ان بالمدينة أقواقاً طسرتم مسيراً ...
- ٢٤٣ انت مع من احببت ...
- ٢٨١ ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله ...
- ٣٢٨ أنشد رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق ...
- ٢٨٥ ان صاحبكم تفسله الملائكة ...
- ١٨٤ الانتصار لا يحبهم الا مؤمن ...
- ٢٤٨ انصر آخاك ظالماً أو مظلوماً ...
- ٣٣١ انطلقوا الى يهود ...
- ٢٨٨ انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ...
- ٢٦٣ ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ...
- ٢٨١ ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين ...
- ٢٢٥ انا كنا أنزل قوم فأعزنا الله بالاسلام ... (أثر)
- ٢٥٨ ان لا يحج بعد العام مشرك ...

- ٣٥٨ (أثر) ان لي كاتباً نصرانياً ...
- ٢٧٧ انما الأعمال بالنيات ...
- ٢٣ ان من عباد الله لا تأسا ما هم بأنبياء ...
- ٢٥٥ أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين ...
- ٣١٣ ان الناس نزلوا مع رسول الله ...
- ١٧٥ انها - أى سورة الكافرون - براءة من الشرك ...
- ١٥٧ اني لم اوامر بهذا ...
- ٣٢٨ ان يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ...
- ٣١٤ ان اليهود والنصارى لا يصفون فخالقوهم ...
- ٨٢ (أثر) ان يوسف قد سأل الصل ...
- ٤١ أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ...
- ٤١ أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ...
- ٩٦ (أثر) أولاً بينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ...
- ٢٧١ أو مخرجي هم ...
- ١١٤ اياكم ومحقرات الذنوب ...
- ٣٢١ (أثر) اياكم ووطانة الاعاجم ...
- ٤٩ اينما لقيتموهم فاقتلوهم ...
- ١٨٤ آية الايمان حب الانصار ...
- ٦١ آية المنافق ثلاث ...
- ٢٧٠ بحسب امرى * يرى منكراً لا يستطيع ان يغيره أن ... (أثر)
- ١٧٦ بل الدم الدم والهدم الهدم ...
- ٣٦٨ بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل (أثر)

- ٣٢٩ (أثر) يلفنى الذى سرت به فى المرأة التى ...
- ٣٤٤ بيماً أم عطية ...
- ١٨٣ ترى المؤمنى فى تراحمهم و ...
- ٨٧ تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ...
- ٢٦١ (أثر) التقاة : التكلم باللسان وقلبه ...
- ٢٨ (أثر) التقوى : أن تعمل بطاعة الله ...
- ٤١ تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر ...
- ٢١٢ (أثر) " التوبة " هي الفاضحة ...
- ٣٥٦ توءم بالله ورسوله ؟ قتال : لا . قال فأرجع ...
- ٣٨ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ...
- ٤٨ حديث أسامة حين أنكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم ...
- ٣٤٤ حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ من يهودى ...
- ٤٦ حديث البطاقة ...
- ٤٦ حديث البفي ...
- ٣٥٠ حديث تسليم النبى صلى الله عليه وسلم على مجلس فيه ...
- ٥٧ حديث تسمية تارك الصلاة كافراً ...
- ٣٤٧ حديث زيارة النبى صلى الله عليه وسلم لابي طالب ...
- ٢٧٧ حديث الطاعون ...
- ٢٧٧ حديث الصوفيين ...
- ٤٦ حديث قاتل المئة ...
- ٣٢٩ حديث قتل كعب بن الاشرف ...
- ١٧٠ حديث قراءة المصطفى صلى الله عليه وسلم ب" الكافرون " و" الاخلاص" ...

- ٣٦٤ حديث كعب بن مالك . . .
- ٣٥٧ حديث مزارعته صلى الله عليه وسلم لليهود . . .
- ٩٢ حديث صمان حين بعثه رسول الله الى اليمن . . .
- ١٨٦ حديث الوثيقة التي كتبها رسول الله بين . . .
- ٢٦٧ حق على كل مسلم ان يقبل رأس عبد الله بن حذافة (أثر) . .
- ٣٤٧ الحمد لله الذى أنقذه من النار . . .
- ٣١٤ خالفوا اليهود . . .
- ١٤٦ دعواها فانها منتنة . . .
- ٢٨٢ رأس الامر الاسلام وعموده . . .
- ٢٢٦ الرجل على دين خليله . . .
- ٥٨ سباب المسلم فسوق و . . .
- ٣٠٠ ستجدون قوماً يدعونكم الى كتاب الله وقد نبذوه (أثر)
- ٦١ الشرك فى هذه الامم أخفى من دبيب النمل
- ٣٥ شفاعتى لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصاً . . .
- ٣٦٦ غيبت عن أول قتال قاطه رسول الله . . . (أثر)
- ١٠٠ فهلا قلت خذها منى وأنا الغلام الانصارى . . .
- ٢٨٤ قوموا الى جنة عرضها السموات والارض . . .
- ٩٥ كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات . . . (أثر)
- ١٣٢ كل بدعة ضلالة . . .
- ٣٢٣ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . .
- ٣٥٥ كنت رجلاً قيناً فعملت للخاص به وائل (أثر)
- ٢٨١ لا اجده . . هل تستطيع اذا خرج المجاهدان . . .

- ٣٠٣ (أثر) لا أعلم من الاشرار شيئاً اكبر من
- ٣٤٩٤ ٢٣٠ لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام
- ٢٢٧ لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا --
- ٥٧ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب ...
- ٢٣٠ لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم ...
- ٣٤٨ لا تقولوا للمنافق سيد ...
- ١٢٥ لا تمنه فانه يحب الله ورسوله ...
- ٢٥١ لا تتقطع الهجرة حتى تتقطع التوبة ...
- ١٦٥ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ..
- ١١٠ لا فضل لعربي على عجمي ولا لمجمي على عربي الا ...
- ٢٧٦ لا هجرة بعد فتح مكة
- ٢٧٣ لا هجرة ولكن جهاد ونية
- ١٨٤ لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى ...
- ٣٤١ لا يدخل الجنة قاطع رحم
- ٣٠٤ لا يوث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم
- ٦٢ لا يزنّي الزانى حين يزنّي وهو مؤمن
- ٦٢ لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن
- ٢٤٧ لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
- ٣٣ لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لبطء ...
- ٣٣١ لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ...
- ٣١٣٤ ٢٢٥ لا تتبمن سنن من كان قبلكم ...
- ٤١٦ لا تقاطن اليهود ...

- ١٢٦ لعن صلى الله عليه وسلم الخمر وشاربها و . .
- ٢٨٢ لفسدوة في سبيل الله أو روحة خير من . . .
- ١٧٣ (أثر) ليس في القرآن أشد غيظاً لا بليس . . .
- ٣١٤ ليس منا من تشبه بغيرنا . .
- ١٤٦ ليس منا من دعا الى عصبية . . .
- ٢٨١ ما اغبرنا قدما عبد في سبيل الله فتمسه . . .
- ١٩٨ ما بال دعوى الجاهلية . . .
- ٣٣٠ (أثر) ما على هذا صالحتكم . . .
- ٣٥ ما من أحد يشهد ان لا اله الا الله . . .
- ٢٤٧ ما من أمرى * يغذل امرءاً مسلماً في موضع . . .
- ٣١٩ ما هذان اليومان ؟
- ٢٤٣ المرء مع من أحب
- ٢٤٨ المسلم أخو المسلم . . .
- ٢٦٣ ملئ عماراً يطاناً الى مشاشه
- ٥٧ من أتى كاهناً فصدقه بما يقول . . .
- ٤١ من أحب في الله وأبغض في الله . . .
- ٢٩٦ من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً . . .
- ١٣٠ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه . . .
- ٢٥٤ (أثر) من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم . . .
- ٣١٢ من تشبه بقوم فهو منهم . . .
- ٢٣٠ من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله . . .
- ٦٠ من حلف بغير الله فقد أشرك . . .

- ١٣٣ من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم . . .
- ٢٩٧ من رأى منكم منكراً فليضئوه . . .
- ٨٤ من عاوني ولياً فقد . . .
- ٣٦ من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له . . .
- ٤٧ من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله . . .
- ١٣٣ من كان مستغنياً فليستن بمن قد مات . . . (أثر)
- ٨١ من كنت مولاه فعلي مولاه . . .
- ٣٢ من لقيت من وراء هذا الحائط . . .
- ٣١ من مات وهو ينظم ان لا اله الا الله
- ٢٩٧ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه
- ١٨٥ مهيم ؟ قال : تزوجت
- ١٨٣٠ ١٧٨ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . . .
- ٢٤٨ المؤمن من مرآة اخيه
- ٣٤٠ نعم صلي أمك . . .
- ٣٥٤ واستأجر النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من . . .
- ٢١ والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي أشد حال (أثر)
- ١٠٠ واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن . . .
- ٣٥٩ ولا تستمنن في أمر من أمور المسلمين بمشرك (أثر)
- ٢٦٩ ومن جاهد هم بقلبه فهو مؤمن . . .
- ٢٩٠ ويحك ومن يعدل اذا لم يعدل . . .
- ١٦٤ يا أمه لو كانت لك مائة نفس . . . (أثر)
- ١٩٢ يا معشر المسلمين الله الله أبعوى الجاهلية . . .
- ٧٦ يوشك الامم ان تداعى عليكم . . .

فهرست اسامی

فهرس الاعلام المترجم لهم

| | |
|-----|-------------------------|
| ١٥٩ | ابن الدغنه |
| ١٧٦ | ابو الهيثم بن التهمان |
| ٩٥ | أبو عبدالرحمن السلمي |
| ١٧٧ | أسعد بن زرار |
| ١٧٦ | البراء بن معرور |
| ٢٥٧ | ثامة بن اثال |
| ٣٥٦ | الحازمي |
| ٢٨٧ | حاطب بن ابي بلتعنه |
| ٣٩ | حافظ الحكمي |
| ٢٦٦ | حبیب بن زيد |
| ٩٠ | حنين بن اسحاق |
| ٢٧٣ | الخطابي |
| ٢٩٠ | ذوالخويصرة |
| ٣٦٥ | زيد بن الدثنة |
| ٢٩ | سفيان بن عيينة |
| ٣٥٩ | شبيب بن شيبه |
| ٢٦٦ | عبدالله بن حذافة السهمي |
| ١٢٥ | عبدالله بن حمار |
| ٣٦ | عتبان بن مالك |
| ١٣١ | العزبي عبدالسلام |

| | |
|-----|--------------------------|
| ٢٨٤ | عمير بن الحطام |
| ٣٢٩ | عوف بن مالك الأشجعي |
| ٢٧٦ | مجاشع بن مسمود |
| ٢٥٦ | مجااعة بن مرارة الحنفي |
| ٧٨ | محمد بن ابراهيم آل الشيخ |
| ١٧٥ | مصعب بن عمير |
| ٢١ | المقداد بن الاسود |
| ٣٢٩ | المهاجر بن أبي أمية |
| ٣١ | وهب بن منبه |

الصلاة والجمعة

فهرس المصادر والمراجع * حسب الحروف الهجائية *

• ٩ •

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الابتعاث ومخاطره / محمد لطفى الصباغ / الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨هـ /
المكتب الاسلامي
- ٣ - أبو بصير قمة فى العزة الاسلامية / محمد حسن بريفس / الثانية سنة ١٣٩٧ /
مكتبة الحرمين بالرياض
- ٤ - الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر / د . محمد محمد حسين / الثالثة
سنة ١٣٩٢ هـ دار النهضة العربية بيروت
- ٥ - الاتقان فى علوم القرآن / جلال الدين السيوطى ت سنة ٩١١ هـ / تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم / ١٩٧٤ م الهيئة المصرية للكتاب
- ٦ - آثار الحرب فى الفقه الاسلامي / د . وهبة الزحيلى / الثانيه ١٣٨٥
- ٧ - الاحتجاج بالقدر / شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - سنة ٧٢٨ هـ /
ط سنة ١٣٩٣ هـ / المكتب الاسلامي
- ٨ - أحكام أهل الذمة / للعلامة محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية ت سنة ٥٧١ هـ
تحقيق صبحي الصالح / الاولى سنة ١٣٨١ هـ جامعة دمشق
- ٩ - أحكام القرآن / لأبى بكر محمد بن عبد الله بن العربي ت سنة ٥٤٣ هـ تحقيق
على البجاوى / ط سنة ١٣٩٢ هـ عيسى الحلبي
- ١٠ - أحكام القرآن / لأبى بكر احمد بن على الرازى الجصاص ت سنة ٣٧٠ هـ تحقيق
محمد قمحاوى / الثانية / دار المصحف بالقاهرة
- ١١ - الادب المفرد / للإمام ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى ت سنة ٢٥٦ هـ
تحقيق محمد فواد عبد الباقي / الاولى سنة ١٣٧٥ هـ السلفية بمصر

- ١٢ - الأربعمون النوويه / للامام يحيى بن شرف الدين النووى ت سنة ٦٧٦ هـ /
الثانيه سنة ١٩٧٣ م مطابع قطر الوطنية
- ١٣ - ارشاد الطالب للشيخ سليمان بن سحمان ت سنة ١٣٤٩ هـ الاولى سنة ١٣٤٠ هـ
مطبعة المنار مصر .
- ١٤ - أزمة العصر / د . محمد محمد حسين / الاولى سنة ١٣٩٩ هـ / دار عكاظ جدة
- ١٥ - أساليب الغزو الفكرى / د . على جريشة وزميله / الثانية سنة ١٣٩٨ هـ / دار
الاعتصام - القايره .
- ١٦ - أسباب النزول / لابي الحسين علي بن أحمد الواحدى ت سنة ٤٦٨ / الثانية
سنة ١٣٨٧ هـ مصطفى الحلبي مصر .
- ١٧ - الاستيعاب فى اسما^ه الأصحاب / لابي عمرو يوسف^ص عبد البر ت سنة ٣٦٣ هـ /
الاولى سنة ١٣٢٨ هـ / مطبعة السعادة بمصر
- ١٨ - الأسس الاخلاقية / لابي الأعلى المودودى / الاولى ١٩٧١ م / مؤسسة الرسالة
بيروت
- ١٩ - الاسلام على مفترق الطرق / محمد أسد / ترجمة عمر فروخ / الثامنة سنة ١٩٧٤ م
دار العلم للملايين بيروت
- ٢٠ - الاسلام فى حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة / د . محمد البهسي /
الثانيه سنة ١٣٩٨ هـ / مكتبة وهبه بالقايره
- ٢١ - الاسلام وأوضاعنا القانونية / عبد القادر عودة / الثانيه سنة ١٣٨٦ هـ / مؤسسة
الرسالة بيروت .
- ٢٢ - الاسلام والطاقت المعطله / الشيخ محمد الغزالي / الثانية سنة ١٣٨٣ هـ /
دار الكتب الحديثه . مصر .
- ٢٣ - الاسلام ومشكلات الحضارة للاستاذ سيد قطب ت سنة ١٩٦٦ م / دار الشروق
- ٢٤ - الاصابة فى تمييز الصحابة / للامام احمد بن على بن حجر العسقلاني ت سنة ٨٥٢ هـ /
الاولى سنة ١٣٢٨ هـ // السعادة بمصر

- ٢٥ - الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار / لابي بكر محمد بن موسى الحازمي
الهزاني سنة ٥٨٤ هـ تحقيق راتب احاكي الطبعة الاولى
سنة ١٣٨٦ هـ الناشر راتب احاكي .
- ٢٦ - الاعتصام / للامام ابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي/ سنة ٧٩٠ هـ
المكتبة التجارية . مصر
- ٢٧ - الاعتقاد على مذهب السلف لابي بكر احمد بن الحسين البيهقي/ سنة ٤٥٨ هـ
تحقيق احمد موسي / الاولى سنة ١٣٨٠ هـ
- ٢٨ - الأعلام/ خير الدين الزركلي / الرابعة سنة ١٩٧٩ م/ دار العلم
للملايين بيروت
- ٢٩ - اعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكيم/ سنة ١٣٧٧ هـ/ الثالثة سنة
١٣٩٩ هـ ادارات البحوث العلمية بالرياض
- ٣٠ - اعلام الموقعين لابن القيم تحقيق طه عبد الرؤوف سعد / ط ١٩٧٣ م// دار
الجيل بيروت .
- ٣١ - اغاثة اللفهان من مصاد الشيطان لابن القيم/ تحقيق محمد حامد الفقي /
الثانية سنة ٣٩٥ هـ تصوير دار المعرفة بيروت .
- ٣٢ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم لابن تيمية تحقيق محمد
حامد الفقى
محسن الدين بن السيد / الثانية سنة ١٣٦٩ هـ مطبعة انصار
السنة بالقاهرة .
- ٣٣ - أفضية الرسول صلى الله عليه وسلم/ عبد الله بن محمد بن فرج المالكي /
الناشر حمد بن فالج آل ثاني
- ٣٤ - أمثال القرآن/ لابن القيم/ تحقيق د. ناصر الرشيد / الاولى سنة ١٤٠٠ / دار
مكة للطباعة
- ٣٥ - الأموال / لابي عبيد القاسم بن سلام/ سنة ٢٢٤ تحقيق د. محمد خليل
هراس/ الثانية ١٣٩٥ هـ / مكتبة الكليات الازهرية .

- ٣٦ — الانسان بين المادية والاسلام للاستاذ محمد قطب / الخامسة سنة ١٣٩٨
دار الشروق
- ٣٧ — الايضاح والتبيين / حمود التويجري / الاولى سنة ١٣٨٤ هـ مؤسسة النور
بالرياض .
- ٣٨ — الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية / الثانية / المكتب الاسلامي
١٣٩٢ هـ
- ٣٩ — الايمان . حقيقته . أركانه . نواقضه . د . محمد نعيم ياسين / الاولى
سنة ١٣٩٨ هـ . جمعية عمال المطابع . الاردن .
- ٤٠ — الايمان لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة / سنة ٢٣٥ هـ تحقيق
الشيخ محمد ناصر الدين الالباني سنة ١٣٨٥ هـ المطبعة العمومية بدمشق

” ب ”

- ٤١ — بدائع الفوائد / للعلامة ابن القيم / ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة
- ٤٢ — البداية والنهاية للحافظ اسماعيل عماد الدين بن كثير / سنة ٧٧٤ هـ /
سنة ١٩٦٦ (مكتبة المعارف بيروت)
- ٤٣ — بضع رسائل في عقائد الاسلام / للشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب / سنة ١٢٠٦ هـ /
تحقيق محمد رشيد رضا / الاولى سنة ١٣٤٩ هـ المنار بمصر .
- ٤٤ — بروتوكولات حكماة صهيون / ترجمة محمد خليفة التونسي / الرابعة / دار الكتاب
العرابي بيروت
- ٤٥ — بيان النجاة والفساك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك / للشيخ حمد بن عتيق
ت سنة ١٣٠١ هـ / الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٣ هـ / دار الفكر / بيروت

- ٤٦ - تأييد الأمام والملوك / للإمام محمد بن جرير الطبري ت سنة ٣١٠ هـ تحقيق محمد
ابو الفضل ابراهيم / الثانية ١٣٨٧ هـ / دار المعارف . مصر .
- ٤٧ - التبيان في أقسام القرآن / لابن القيم / تعليق طه يوسف شاهين / مكتبة
القاهرة . مصر
- ٤٨ - تحفة الاخوان بما جاء في الموالات والمعاداة والهجران / للشيخ حمود التويجري
الاولى سنة ١٣٨٣ هـ / مؤسسة النور بالرياض
- ٤٩ - التحفة العراقية / لشيخ الاسلام ابن تيمية / الثانية سنة ١٣٩٩ هـ / المطبعة
السلفية بالقاهرة
- ٥٠ - تحكيم القوانين للشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ / سنة ١٣٨٩ هـ طبع سنة
١٣٨٠ هـ / مطابع الثقافة بحكة .
- ٥١ - التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية / تحقيق زهير الشاويش / الطبعة الثانية سنة
١٣٩١ هـ / المكتب الاسلامي .
- ٥٢ - تذييل على كشف الشبهات للشيخ عبد الرحمن الدوسري / الثالثة سنة ١٣٨٨ /
مؤسسة النور بالرياض
- ٥٣ - التشريع الجنائي / للاستاذ عبد القادر عودة / الثالثة سنة ١٣٨٣ هـ / مكتبة
دار الصرية . بمصر .
- ٥٤ - التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / الطبعة الشرعية الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ /
دار الشروق .
- ٥٥ - التطور والثبات في حياة البشر / للاستاذ محمد قطب ط سنة ١٣٩٤ هـ / دار الشروق
- ٥٦ - تعجيل المنفعة لابن حجر / طبع هاشم اليماني
- ٥٧ - التعليق على المغنى على الدارقطني / عبد الله هاشم اليماني / ط سنة ١٣٨٦ هـ

٥٨ - التفسير القيم لابن القيم / جمع محمد أويس الندوي / تحقيق محمد حامد الفقي / مصر

لجنة التراث بيروت

٥٩ - تفسير كلام المنان / للشيخ عبد الرحمن بن سمدي تحقيق محمد زهرى النجار /

المؤسسة السعدية بالرياض

٦٠ - تفسير سورة النور / لابن تيمية / الاولي سنة ١٣٩٧ هـ / مكتبة المنار الاسلاميه .

بالكويت

٦١ - تفسير البغوى المعروف بـ " معالم التنزيل " لابي محمد الحسين بن مسعود

الغرا البغوى / سنة ٥١٦ هـ / الثانية سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة الحلبي بمصر

٦٢ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير / تحقيق عبد العزيز غنيم وعاشور والبناء /

مطبعة الشعب

٦٣ - تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل / لعلاء الدين علي

بن محمد الخازن / سنة ٧٢٥ هـ الثانية ١٣٧٥ هـ مطبعة الحلبي بمصر

٦٤ - تقريب التهذيب / لابن حجر تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . طبع مصر

٦٥ - تلبيس ابليس لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / سنة ٥٩٧ هـ تحقيق خير الدين

علي / دار الوعى بيروت

٦٦ - تلخيص المستدرک لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي / سنة ٨٤٨ مطبوع

مع المستدرک .

٦٧ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لابي الحسين محمد بن أحمد

المطفي / سنة ٣٧٧ هـ / تحقيق محمد زاهد الكوشري / الثانية سنة ١٣٨٨

مكتبة المثني ببغداد

٦٨ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني / الاولي سنة ١٣٢٦ هـ بحيدرآباد /

تصوير دار عمار بيروت

٦٩ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الوهاب / سنة ١٢٣٣ هـ - ط ادارات البحوث العلميه فى الرياض .

- ٧٠ - جامع الاصول / لمجد الدين ابي السماعات المبارك محمد بن الأشين
ت سنة ٦٠٦ هـ تحقيق عبد القادر الأرئوط / الاولى سنة ١٣٨٩ هـ
مكتبة الحلواني والملاح ببيروت .
- ٧١ - جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبرى) لابي جعفر محمد بن جريس
الطبرى / الثالثه سنة ١٣٨٨ هـ مصطفى الحلبى .
- ٧٢ - الجامع الفريد / مجموعة من علماء الدعوة / مطبعة المدينة بالرياض .
- ٧٣ - جامع العلوم والحكم لابي الفرج عبدالرحمن بن رهب الحنبلى ت سنة ٧٩٥ هـ
الثالثه سنة ١٣٨٢ هـ مصطفى الحلبى .
- ٧٤ - الجامع لاحكام القرآن (تفسير القرطبي) لابي عبدالله محمد بن احمد القرطبي
ت سنة ٦٧١ هـ تحقيق ابواسحاق اطفيش / تصوير عن طبعة دارالكتب
سنة ١٣٨٧ هـ . دار الكتاب العربى بالقاهرة .
- ٧٥ - الجانب الالهى من التفكير الاسلامى / د . محمد البهى / الخامسة سنسنة
١٣٩١ هـ . دار الفكر ببيروت .
- ٧٦ - جاهلية القرن العشرين للاستاذ محمد قطب / سنة ١٣٩٤ هـ دار الشرقى
- ٧٧ - جذور البلاء / للاستاذ عبدالله التل / الثانية سنة ١٣٩٨ هـ / المكتب
الاسلامى .
- ٧٨ - جريدة عكاظ / العدد الاسبوعى رقم ٤٧٢٨ فى ١٦/٦/١٣٩٩ هـ .
- ٧٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمسنة / تصوير
مطابع المجد بالرياض .
- ٨٠ - الجواب الكافى لابن القيم / الاولى سنة ١٣٩٤ هـ المكتبة السلفية بالقاهرة .

• ه •

- ٨١ - حد الاسلام وحقيقة الايمان / للاستاذ عبدالمجيد الشاذلي . مكتوب
بالالة الكاتبة .
- ٨٢ - حصاد الفيرور / للشيخ محمد الفزالي / الاولى سنة ١٣٩٠هـ / دار -
البيان بالكويت .
- ٨٣ - حصوننا مهددة من داخلها / د . محمد محمد حسين / الرابعه سنة ١٣٩٧هـ
المكتب الاسلامي .
- ٨٤ - الحضارة الاسلامية . اسسها ومبانيها للمودودي / الطبعة الثانية سنة
١٣٩٠هـ / دار العربيه بيروت .
- ٨٥ - الحكم الجديدة بالاذاعة لابن رجب (ضمن مجموع) تحقيق محمد حامد الفقي
مطبعة انصار السنة .
- ٨٦ - حلية الاولياء / للحافظ ابي نعيم احمد بن عبدالله الاصفهاني / ت سنة
٤٣٠هـ / المكتبة السلفية .
- ٨٧ - الحوادث والبدع / لابي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ت سنة ٥٢٠هـ /
تحقيق محمد الطالب / دار الاصفهاني بجدة .
- ٨٨ - حياة الصحابة / للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي / دار المعرفة
بيروت .

• خ •

- ٨٩ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته للاستاذ سيد قطب / دار الشروق .

- ٩٠ - دراسات للاستاذ / محمد قطب / دار الشروق •
- ٩١ - الدور السنوية في الاجوبة النجدية جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم / الثانية سنة ١٣٨٥ هـ دار الافتاء بالرياض •
- ٩٢ - درس النكبة الثانية / د . يوسف القرضاوى / الاولى سنة ١٣٨٨ هـ •
- ٩٣ - الدفاع من اهل السنه والاتباع / للشيخ حمد بن عتيق / نشرها اسماعيل ابن عتيق • بدون تاريخ •
- ٩٤ - دقائق التفسير لابن تيمية / جمع وتحقيق د . محمد السيد الجليند / الاولى سنة ١٣٩٨ هـ • دار الانصار بالقاهرة •
- ٩٥ - دموا الاسلام أبيدوا اهله / جلال العالم / الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ •
- ٩٦ - دور الاسلام فى حياة البشرية / محمد قطب / الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ المختار الاسلامى بالقاهرة •
- ٩٧ - رد ابن حزم على ابن النغريله اليهودي / تحقيق احسان عباس / سنة ١٣٨٠ هـ / دار الصويه بالقاهرة •
- ٩٨ - ردة ولا ابا بكر لها لابي الحسن الندوى / الثالثه سنة ١٣٩٨ هـ المختار الاسلامى بالقاهرة •
- ٩٩ - الردة بين الامس واليوم • محمد كاظم جيب / الاولى سنة ١٣٩٨ هـ المكتبة العلمية بلاهور باكستان •
- ١٠٠ - الرسائل المنبريه / مجموعة من العلماء / الطبعة المنبريه بالقاهرة •
- ١٠١ - الرسائل المفيدة للشيخ / عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن تصحيح عبدالرحمن الرويشد / ط سنة ١٣٩٨ هـ دار العلوم بالقاهرة •
- ١٠٢ - الرسالة التبوكية لابن القيم / الثانية سنة ١٣٩٤ هـ / المكتبة السلفية بالقاهرة •
- ١٠٣ - رياض الصالحين للنووى / تحقيق الألبانى / الاولى سنة ١٣٩٩ هـ المكتبة الاسلامى •

ز

١٠٤ - زاد المعاد في هدي خير العباد للعلامة ابن القيم / تحقيق شبيب الارنؤوط
واخيه / الاولى سنة ١٣٩٩ هـ ، مؤسسة الرسالة . بيروت .

س

- ١٠٥ - سبيل الدعوة الاسلامية / دة محمد أمين المصري / الاولى سنة ١٤٠٠ هـ /
دار الارقم بالكويت
- ١٠٦ - سلسلة الاحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الالباني / الثانية سنة ١٣٩٩
المكتب الاسلامي
- ١٠٧ - سنن ابن طاجه / للحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني / سنة ٢٧٥ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي / ط سنة ١٣٩٥ هـ تصوير دار احياء
التراث العربي بيروت
- ١٠٨ - سنن ابي داود / للإمام ابو داود سليمان الاشعث السجستاني / سنة ٢٧٥ هـ
تحقيق وتعليق عزت الدعاس الاولى سنة ١٣٩١ هـ الناشر محمد
على السيد . سوريا
- ١٠٩ - سنن الترمذي / الامام محمد بن عيسى الترمذي / سنة ٢٧٩ هـ / تعليقه
عزت الدعاس / ط سنة ١٣٨٥ هـ دار الدعوة . حمص
- ١١٠ - سنن الدارقطني / الامام علي بن عمو الدارقطني / سنة ٣٨٥ / نشر
عبدالله هاشم اليباني سنة ١٣٨٦ هـ
- ١١١ - سنن الدارمي / لابي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي / سنة ٢٥٥ هـ
طبع بعناية محمد أحمد دهقان / دار احياء السنة النبوية . تصوير
البازمكة .
- ١١٢ - السنن الكبرى للإمام ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي / تصوير دار
الفكر بيروت

- ١١٣ - سنن النسائي للإمام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي / سنة ٣٠٣ هـ /
الاولى سنة ١٣٤٨ هـ تصوير دار الفكر بيروت
- ١١٤ - السنة للإمام احمد بن حنبل / سنة ٢٤١ هـ / تصحيح الشيخ اسطعيل الانصاري /
ادارات البحوث العلمية بالرياض
- ١١٥ - السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي / د. مصطفى السباعي / الثانية سنة ١٣٩٦ هـ
المكتب الاسلامي
- ١١٦ - السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لشيخ الاسلام ابن تيمية / ط سنة ١٣٧٩
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.
- ١١٧ - سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم / للاستاذ محمد عزة دروزه / الثالث سنة ١٤٠٠ هـ /
مؤتمر السيره الثالث بقطر
- ١١٨ - السيرة النبوية / للإمام عبدالمك بن هشام / سنة ٢١٨ هـ / تحقيق مصطفى السقا
وآخرون / الاولى سنة ١٣٥٥ هـ / مصطفى الحلبي
- " ش "
- ١١٩ - شذرات البلاتين / مجموعة من العلماء ، تحقيق محمد حامد الفقي / الاولى
سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة انصار السنة بالقاهرة.
- ١٢٠ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب / عبدالحى بن العماد الحنبلي / سنة ١٠٨٩
تصوير عن الطبعة الاولى / دار الافاق بيروت
- ١٢١ - شرح السنة للإمام الحسين بن مسعود البقوي / سنة ٥١٦ هـ تحقيق شعيب
الارؤؤوط / الطبعة الاولى سنة ١٣٩١ هـ المكتب الاسلامي .
- ١٢٢ - شرح الطحاوية لشيخنا الحنفى / ط ١٣٩١ هـ المكتب الاسلامي
- ١٢٣ - شرح النووى على صحيح مسلم / للإمام يحيى بن شرف النووى / الثانية سنة ١٣٩٢ /
تصوير دار الفكر بيروت
- ١٢٤ - الشريعة لابي بكر محمد بن الحسين الاجرى / سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق محمد حامد
الفقي / الاولى سنة ١٣٦٩ هـ مطبعة انصار السنه .

١٢٥ - الشعوبية الجديدة / محمد مصطفى رمضان / الاولى سنة ١٣٨٩ هـ .

” ص ”

١٢٦ - الصارم السلول على شاتم الرسول / لشيخ الاسلام ابن تيمية / تحقيق محيي الدين

عبد الحميد / الاولى سنة ١٣٧٩ هـ / مكتبة تاج بالقاهرة

١٢٧ - صحيح البخارى للامام محمد بن اسماعيل البخارى / سنة ٢٥٦ هـ / تروميم محمد

فؤاد عبد الباقي / الاولى سنة ١٣٨٠ هـ / السلفية بصر

١٢٨ - صحيح الجامع الصغير / للشيخ محمد ناصر الدين الالباني / الاولى سنة ١٣٨٨

المكتب الاسلامي

١٢٩ - صحيح مسلم / للامام مسلم بن الحجاج القشيري / سنة ٢٦١ هـ / تحقيق محمد

فؤاد عبد الباقي / الاولى سنة ١٣٧٤ هـ / دار احياء الكتب العربية .

القاهرة /

١٣٠ - الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لابي الحسن الندوي / الثالثة

سنة ١٣٩٧ هـ / دار القلم بالكويت

١٣١ - الصلاة لابن القيم / الثانية سنة ١٣٩١ هـ / المكتبة السلفية بالقاهرة

١٣٢ - صيد الخاطر لابن الجوزي / تحقيق على وناجي الطنطاوي / الثانية سنة ١٣٩٨ /

دار الفكر بيروت .

١٣٣ - طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن ابي يعلى / سنة ٤٥٨ هـ / تحقيق محمد

حامد الفقي / سنة ١٣٧١ هـ / مطبعة انصار السنة

١٣٤ - طريق الدعوة في ظلال القرآن / جمع أحمد فائز / الثالث سنة ١٣٩٧

١٣٥ - طريق الهجرتين وباب السعادت لابي القاسم / الاولى سنة ١٣٧٥ هـ / المكتبة

السلفية بالقاهرة .

ض

١٣٦ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته / للالباني / الثانية سنة ١٣٩٩ هـ / المكتسب الاسلامي .

ع

١٣٧ - العبودية / لشيخ الاسلام ابن تيمية / الرابعة سنة ١٣٩٧ هـ / المكتب الاسلامي
١٣٨ - العرب والاسلام لابن الحسن الندوي / الثانية سنة ١٣٨٩ هـ / المكتب الاسلامي
١٣٩ - عصر المأمون / د . احمد مزيد رفاعي / الثانية سنة ١٣٤٦ هـ / دار الكتب المصرية
١٤٠ - العقيدة الطحاوية لابن جعفر احمد بن محمد بن سلامة الطحاوي / سنة ٣٢١ هـ / الربيع
١٤١ - المكتب الاسلامي .

١٤١ - العقيدة في الله للاستاذ عموسليمان الاشقر / الاولى سنة ١٣٩٩ هـ / مكتبة الفلاح بالكويت

٢٤٢ - العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الهراس الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦ هـ / المكتبة السلفية بالمدينة .

١٤٣ - علماء نجد خلال سنة قرون / عبدالله بن عبدالرحمن البسام / الاولى ١٣٩٨ هـ / مكتبة النهضة بمكة .

١٤٤ - العلاقات الدولية في الاسلام / محمد أبوزهرة / ط سنة ١٣٨٤ هـ / الدار القومية للطباعة . مصر

١٤٥ - العلمانية وآثارها في العالم الاسلامي للاستاذ سفر عبدالرحمن رسالسة ماجستير مكتوبة بالالة الكاتبة .

غ

١٤٦ - الغارة على العالم الاسلامي / ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي / الثانية سنة ١٣٨٧ هـ / منشورات العصر الحديث

- ١٤٧ - غاية العرام في تخريج احاديث الحلال والحرام للالباني / الاولى سنة ١٤٠٠هـ
المكتب الاسلامي
- ١٤٨ - الفتاوى السعدية للشيخ عبدالرحمن بن سمحاوي / الاولى سنة ١٣٨٨هـ /
دار الحياة . دمشق
- ١٤٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني / الاولى سنة
١٣٨٠هـ / السلفية بمصر
- ١٥٠ - الفتح الرباني شرح مسند الامام احمد / احمد بن عبدالرحمن الساعثسي /
تصوير دار احياء التراث ببيروت
- ١٥١ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ عبدالرحمن حسن / سنة ١٣٨٥هـ /
السابعة سنة ١٣٧٢هـ / مطبعة انصار السنة
- ١٥٢ - الفرق بين الفرق / عبدالقاهر البغدادي / سنة ١٤٢٩هـ / تحقيق محيي الدين
عبدالحميد / محمد علي صبيح - بالقاهرة
- ١٥٣ - الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان لابن تيمية / الرابعة سنة ١٣٩٧هـ
المكتب الاسلامي
- ١٥٤ - فقه السيرة / للشيخ محمد الفزالي / مطابع علي بن علي بقطر .
- ١٥٥ - الفكر الاسلامي المحاصر (دائرة وتقييم) للاستاذ غازي التوبة / الثانية ١٩٧٧م .
دار القلم ببيروت
- ١٥٦ - فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام للاستاذ صالح العبود رسالة ماجستير
بالالة الكاتبة .
- ١٥٧ - الفوائد لابن القيم / الثالثة سنة ١٣٩٦هـ / مكتبة الجامعة بالقاهرة
- ١٥٨ - في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب / الطبعة المشروعة / دار الشروق

" ق "

١٥٩ - القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروزآبادي / سنة ٨١٧ هـ / الثالثة
سنة ١٣٠١ هـ المطبعة المصرية ببولاق

١٦٠ - قصص الانبياء لابن كثير / تحقيق د. مصطفى عبدالواحد / الاولي سنة ١٣٨٨ هـ
دار الكتب الحديثه . مصر

١٦١ - القصيدة النونية لابن القيم / ط سنة ١٣٩٨ هـ / ادارة توجطان السنة بلاهور /
باكستان

١٦٢ - قطر الولي / للعلامة محمد بن علي الشوكاني / سنة ١٢٥٠ / تحقيق ابراهيم
هلال / الاولي سنة ١٣٨٩ هـ دار الكتب الحديثه

" ك "

١٦٣ - كتاب التوحيد / للشيخ محمد بن عبدالوهاب طبع مع فتح المجيد / تحقيق
محمد حامد الفقي / السابعة سنة ١٣٧٧ هـ / مطبعة انصار السنة .

١٦٤ - كشف الشبهات / للشيخ محمد بن عبدالوهاب / الثالثه سنة ١٣٨٨ هـ / مؤسسة
النور بالرياض

١٦٥ - كفاح دين للشيخ محمد الفزالي / الثالثه سنة ١٣٨٥ هـ / دار الكتب الحديثه
مصر .

١٦٦ - الكفر والمكفرات / احمد عز الدين الهانوني / ط سنة ١٣٩٥ هـ / مكتبة الهدى بحلب
١٦٧ - الكلمات النافعة للشيخ عبدالله / محمد بن عبدالوهاب / سنة ١٢٣٣ هـ / الثانية /

المطبعة السلفية بالقاهرة

١٦٨ - كلمة الاخلاص للامام عبدالرحمن بن رجب تحقيق زهير الشاويش والالباني / الرابعة
سنة ١٣٩٧ هـ الكتب الاسلامي .

• ل •

- ١٦٩ - لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور/ سنة ٧١١ هـ تصنيف يوسف خيساط
والمرعشلي سنة ١٣٨٩ هـ / دار لسان العرب . بيروت
١٧٠ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبدالباقسلي /
تصوير المكتبة الاسلامية بيروت

• م •

- ١٧١ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابي الحسن الندوي / العاشرة سنة ١٣٩٤
مطابع قطر
١٧٢ - مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب / نشرتها جامعة الامام محمد بن سعود /
الطبعة الاولى سنة ١٣٩٨ هـ الرياض
١٧٣ - ماهي علاقة الامة المسلمة بالامم الاخرى للاستاذ احمد محمود الاحمد /
الاولي سنة ١٣٩٨ هـ المكتب الاسلامي
١٧٤ - مبادئ الاسلام / للمودودي / ط سنة ١٣٩٧ هـ مؤسسة الرسالة بيروت
١٧٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي / سنة ٨٠٧ /
الثانية ١٩٦٧ م تصوير دار الكتاب . بيروت
١٧٦ - مجلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية العدد الخامس / جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ
١٧٧ - مجلة العربي الكويتية العدد ٢٦٧ - ربيع اول سنة ١٤٠١ هـ
١٧٨ - مجلة المجتمع الكويتية . العدد ٤٥٠
١٧٩ - مجموع / لابن تيمية / الطبعة الاولى سنة ١٣٤٩ هـ / مطبعة المنار بصر
١٨٠ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن بن قاسم / مطبعة الحكومة
سنة ١٣٨١ هـ الرياض

- ١٨١ - مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب / ط سنة ١٩٧٨ م دار الفكر بالقاهرة
- ١٨٢ - مجموعة التوحيد النجدية / مجموعة من العلماء / ط سنة ١٣٨٤ هـ مطبعة الحكومة (١)
- ١٨٣ - مجموعة رسائل ابن عتيق / للشيخ سعد بن عتيق / سنة ١٣٤٩ هـ / ط سنة ١٩٧٩ م / دار الاعتصام بالقاهرة
- ١٨٤ - مجموعة الرسائل والمسائل النجدية / مجموعة من علماء الدعوة / تحقيق محمد رشيد رضا / الاولي سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بمصر
- ١٨٥ - محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي / تحقيق محمد فواد عبد الباقي / الاولي سنة ١٣٧٦ هـ دار احيا الكتب العربية بالقاهرة
- ١٨٦ - المحلى لابي محمد علي بن احمد بن حزم / سنة ٤٥٦ هـ / تحقيق حسسن زيدان / ط سنة ١٣٩٢ هـ / مكتبة الجمهورية بمصر
- ١٨٧ - مختار الصحاح / محمد بن ابي بكر الرازي / ط سنة ١٣٦٩ هـ مصطفى الحلبي . القاهرة
- ١٨٨ - مختصر سنن ابي داود للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي . المنذرى ت سنة ٥٦ هـ تحقيق احمد شاکر ومحمد حامد الفقي / الاولي سنة ١٣٦٧ هـ / مطبعة انصار السنة
- ١٨٩ - المخططات الصهيونية (محاضرة) للاستاذ محمد قطب / الطبعة الاولي سنة ١٣٩٨ هـ / المختار الاسلامي بالقاهرة
- ١٩٠ - مدارج السالكين لابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي / الاولي سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة انصار السنة .
- ١٩١ - مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة املاءات للاستاذ محمد قطب لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا . بمكة سنة ١٣٩٩ / ٩٨ هـ
- ١٩٢ - مسائل الامام احمد / رواية اسحاق بن ابراهيم بن هاني * تحقيق زهير الشاويش / الطبعة الاولي سنة ١٤٠٠ / المكتب المصري
- (١) هذه المجموعة والتي قبلها لا تتفقان الا في خمس رسائل مكررة فيهما وبقية الرسائل مختلفة عن بعضها البعض.

١٨٣ - المسائل الماردينية لابن تيمية / تحقيق الشاويش / الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ .

المكتب الاسلامي

١٩٤ - المستدرك للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري / سنة ٤٠٥ هـ / ط سنة

١٣٩٨ هـ تصويدا ر الفكر بيروت

١٩٥ - المستقبل لهذا الدين للإستاذ سيد قطب / ط سنة ١٣٩٨ هـ دار الشروق

١٩٦ - المسند للإمام أحمد بن حنبل / الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ . المكتب الاسلامي

١٩٧ - المسند للإمام أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاکر / الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣ هـ

دار المعارف بمصر

١٩٨ - مشكاة المصابيح / محمد بن عبد الخطيب التبريزي تحقيق الالباني / الثانية

سنة ١٣٩٩ هـ المكتب الاسلامي

١٩٩ - المصباح المنير / أحمد بن محمد المقرئ الفيومي / سنة ٧٧٠ هـ / ط سنينة

١٣٩٨ هـ . دار الكتب العلمية

٢٠٠ - معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي / سنة ١٣٧٧ هـ / الطبعة الثانية الأولى / تصور

ادارات البحوث العلمية بالرياض .

٢٠١ - المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة / سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق ثروت

عكاشة / الثانية سنة ١٣٨٨ هـ / دار المعارف

٢٠٢ - معالم السنن / للإمام حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي / سنة ١٣٨٨ هـ /

تحقيق أحمد شاکر ومحمد حامد الفقي . الاولي سنة ١٣٧٩ هـ مطبعة

انصار السنة .

٢٠٣ - معالم في الطريق للإستاذ سيد قطب / دار الشروق

٢٠٤ - المعجم المفهرس لالفظ الحديث / ترتيب الفيف من المستشرقين / الاولي

سنة ١٣٣٦ هـ / نشره د . أي ونسك

- ٢٠٥ — المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الڪريم / محمد فؤاد عبدالباقي . تصوير دار احيا التراث العربى
- ٢٠٦ — مصعب بن عمير الداعية المجاهد للاستان محمد بريفس / الثالثة سنة ١٣٩٥هـ
دار القلم بيروت .
- ٢٠٧ — المعنى لابي محمد عبدالله بن احمد بن قدامة / سنة ١٦٣٠هـ / تحقيق طه محمد الزينى / سنة ١٣٩٠هـ مكتبة القاهرة
- ٢٠٨ — مفاتح الصحيحين للحافظ محمد الشريف بن مصطفى / الثانية سنة ١٣٩٥هـ تصوير دار الكتب العلمية
- ٢٠٩ — مفاتح كتوز السنة / د . ا . بي فنسك ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي / ط سنة ١٣٩١هـ نشره سهيل اكديمي لاهور
- ٢١٠ — المقاصد الحسنة للامام محمد بن عبدالرحمن السخاوى / سنة ١٩٠٢هـ / تعليق عبدالله الصديق / ط سنة ١٣٩٥هـ مكتبة الخانجي .
- ٢١١ — مقالات الاسلاميين لابي الحسن الاشعري / سنة ٣٣٠هـ / تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد / الثانية سنة ١٣٨٩هـ مكتبة النهضة بالقاهرة
- ٢١٢ — فكائد ليهودية عبر التاريخ / للاستان عبدالرحمن الميداني / الاولى سنة ١٣٩٤هـ / دار القلم بيروت
- ٢١٣ — المنافقون فى القرآن الڪريم للاستان عبدالعزيز الحميدى رسالة ماجستير بالالة الكاتبة
- ٢١٤ — المنهاج فى شعب الايمان لابي عبدالله الحسين الحسن الحلبي / سنة ١٤٠٣هـ تحقيق حلمى فودة / الاولى سنة ١٣٩٩هـ دار الفكر بيروت .
- ٢١٥ — منهج التربية الاسلامية للاستان محمد قطب الجزء الثانى ط سنة ١٤٠٠هـ / دار الشروق
- ٢١٦ — منهج القرآن فى التربية / محمد شديد / مؤسسة الرسالة . بيروت .

- ٢١٧ - نوارذ الظمان الى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي
تسنة ٨٠٧ تحقيق محمد عبدالرزاق حمزه / دار الكتب العلمية بيروت
- ٢١٨ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية تحقيق محمد محيي الدين
عبدالحميد ومحمد حامد القتي . سنة ١٣٧٠ هـ مطبعة السنة المحمدية
- ٢١٩ - موسوعة العقاد / عباس محمود العقاد / ط سنة ١٣٩٠ هـ دار الكتب العربية
بيروت .
- ٢٢٠ - الموطأ للإمام مالك بن انس / سنة ١٢٩ هـ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي
تصوير دار احياء التراث بيروت

" ن "

- ٢٢١ - نظرية التربية الاسلامية للشيخ محمد الغزالي / بحث مقدم لندوة التربية الاسلامية
بمكة في ١١/٦/١٤٠٠ هـ
- ٢٢٢ - النفاق آثاره ومفاهيمه للشيخ عبدالرحمن الدوسري / الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ
دار الارقم بالكويت
- ٢٢٣ - النهاية في غريب الحديث / لابن الاثير / تحقيق طاهر الزاوي ومحمود
الطناحي / الاولى سنة ١٣٨٣ هـ / دار احياء الكتب العربية
- ٢٢٤ - نيل الاوطار / محمد بن علي الشوكاني / الطبعة الاخيرة / مصطفى الحلبي

" ه "

- ٢٢٥ - هداية الباري ترتيب صحيح البخاري / عبدالرحيم الطهطاوي / الثالثة
سنة ١٣٥٣ هـ / المكتبة التجارية القاهرة
- ٢٢٦ - هداية الحيارى لابن القيم / نشر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
- ٢٢٧ - الهدية الثمينة / للشيخ عبدالله السلطان بن حميد / الثانية سنة ١٣٧٤ هـ /
دار مصر للطباعة . القاهرة

٢٢٨ → الهدية السنوية / جمع الشيخ سليمان بن سحمان / تعليق رشيد رضا / مطابع

دار الثقافة بمكة

٢٢٩ — هذا ديننا / للشيخ محمد الفزالي / الثانية سنة ١٣٨٥هـ / دار الكتب

الحديثة . القاهرة

٢٣٠ — هل نحن مسلمون / للاستاذ محمد قطب / ط سنة ١٣٩٨هـ / دار الشروق



| | |
|--------|---|
| ١٩٣١ | المقدمة |
| ٨٠-٢٠ | التمهيد |
| ٢٧ | كلمة التوحيد تثبت أربعة أمور وتنفي أربعة أمور |
| ٢٨ | تعريف التقوى |
| ٣١ | شروط لا اله الا الله |
| ٤٠ | الولاء والبراء من لوازم لا اله الا الله |
| ٤٥ | الرد على من زعم ان كلمة التوحيد لفظ فقط |
| ٤٥ | بيان المذهب الصحيح فى الاحاديث الواردة بخصوصها . |
| ٥٠ | آثار الاقرار بلا اله الا الله فى حياة الانسان |
| ٥٤ | نواقض لا اله الا الله |
| ٥٤ | نص قيم لابن القيم فى قضية الايمان والكفر |
| ٦٩ | أنواع الكفر |
| ٧٠ | أنواع الشرك |
| ٧٣ | نواقض الاسلام العشرة |
| ٧٨ | نص مهم للشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ |
| ٢٤١-٨١ | الباب الأول مفهوم الولاء والبراء |
| | الفصل الاول |
| ٨١ | تعريف الولاء والبراء |
| ٨١ | الولاء فى اللغة |
| ٨٢ | البراء فى اللغة |

- ٨٣ الولاة في الاصطلاح الشرعي
- ٨٣ البراءة في الاصطلاح الشرعي
- ٨٣ شرح التعريف
- ٨٦ الفصل الثاني
- ٨٦ أهمية هذا الموضوع في الكتاب والسنة ونصيبه من الدراسة
والتأليف
- ٩٢ المقارنة بين طريقة القرآن والسنة في عرض العقيدة وبين
اسلوب علم الكلام .
- ٩٤ اسلوب المرض القرآني للعقيدة
- ٩٨ طريقة القرآن والسنة في عرض عقيدة الولاة والبراءة
- ١٠٣ من لوازم محبة الله اتباع رسول الله
- ١٠٥ الفصل الثالث
- ١٠٥ أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وطبيعة العداوة بينهما
- ١٠٨ حزب الشيطان
- ١٠٩ حزب الرحمن
- ١١١ من صفات الفريقين
- ١١٢ طبيعة العداوة بين الفريقين
- ١٢٤ الفصل الرابع
- ١٢٤ عقيدة أهل السنة والجماعة في الولاة والبراءة
- ١٢٥ الناس في الحب والبغض ثلاثة أصناف
- ١٢٨ الولاة والبراءة القلبي
- ١٢٩ موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب البدع والاهواء

- ١٣٥ تتقسم البدعة الى كفرية وغير كفرية
- ١٣٤ الفصل الخامس
- ١٣٤ أسوة حسنة في الولاء والبراء من الأمم الماضية
- ١٣٤ (أ) ابراهيم عليه السلام
- ١٣٩ (ب) امثلة اخرى على طريق الحق والهدى
- ١٤٧ الفصل السادس
- ١٤٧ الولاء والبراء في العهد المكي
- ١٤٨ المطقى الاول وأولى خطوات الطريق
- ١٥٢ ردود الفعل
- ١٥٤ موقف عظيم لابي بكر الصديق رضي الله عنه
- ١٥٦ سمات العلاقة بين المسلمين واعدائهم في العهد المكي
- ١٥٨ الحكمة في عدم فرضية القتال بحكمة
- ١٦٤ بر الاقارب المشركين
- ١٦٦ كيف كانت صورة البراء في العهد المكي
- ١٦٩ لكم دينكم ولي دين
- ١٧٤ فرج من الله قريب
- ١٧٦ صيغة البيعة
- ١٧٩ الفصل السابع
- ١٧٩ الولاء والبراء في العهد المدني
- ١٨٠ نبذة تاريخية
- ١٨٢ وقفة عند المؤاخاة بين المهاجرين والانصار
- ١٨٦ سمات الولاء والبراء في العهد المدني

- ١٨٩ أولًا : كيد أهل الكتاب والتحذير من مولاتهم
- ١٩٤ ثانيا : النفاق والمنافقون
- ٢٠٢ ثالثًا : البراءة في العهد المدني (المفاصلة التامة بين المسلمين وجميع أعدائهم)
- ٢٠٧ (أ) صور البراءة من المشركين
- ٢١٠ (ب) البراءة من أهل الكتاب
- ٢١١ (ج) البراءة من المنافقين
- ٢١٤ (د) قطع ~~المواصلة~~ مع الأقارب إذا كانوا ~~يؤذون~~ يهادون لله ورسوله
- ٢١٧ الفصل الثامن
- ٢١٧ صور الموالاة ومظاهرها
- ٢٣٢ طيقبل من الاعتذار وما لا يقبل في هذه الصور
- ٢٣٣ موقف المسلم تجاه هذه الصور
- ٢٣٦ الفصل التاسع
- ٢٣٦ الرد على الخوارج والرافضة في عقيدة الولاية والبراءة
- ٢٤٢ - ٢٦٠ الباب الثاني : من مقتضيات الولاية والبراءة
- ٢٤٢ الفصل الأول
- ٢٤٢ الحب في الله والبغض في الله مع بيان حق المسلم على المسلم
- ٢٤٤ أقسام المحبة
- ٢٤٧ حق المسلم على المسلم
- ٢٥٠ الفصل الثاني

| | |
|-----|---|
| ٢٥٠ | الهجرة وتفاصيل أحكامها |
| ٢٥٠ | (أ) الإقامة في دار الكفر |
| ٢٥٦ | العواد باظهار الدين |
| ٢٦٠ | (ب) التقيّة والاكراه |
| ٢٦١ | تعريف التقيّة ومتى تكون |
| ٢٦٣ | الاكراه |
| ٢٦٥ | شروطه |
| ٢٦٨ | أنواع الاكراه |
| ٢٦٩ | كلمة حول الاكراه |
| ٢٧١ | (ج) الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام |
| ٢٧٢ | كلمة مهمة لابن القيم حول الهجرة |
| ٢٧٥ | تلخيص انواع الهجرة |
| ٢٧٨ | الفصل الثالث |
| ٢٧٨ | الجهاد في سبيل الله |
| ٢٨٧ | حكم التجسس على المسلمين |
| ٢٩٢ | الفصل الرابع |
| ٢٩٢ | هجر أصحاب البدع والاهواء |
| ٢٩٤ | كيفية مخالطة الناس |
| ٢٩٦ | موقف المسلم من أصحاب البدع |
| ٢٩٧ | أنواع الهجر |
| ٣٠٢ | الفصل الخامس |
| ٣٠٢ | انقطاع التوارث والنكاح بين المسلم والكافر |

- ٣٠٧ الفصل السادس
- ٣٠٧ النهي عن التشبه بالكفار والحرص على حماية المجتمع الاسلامي
- ٣٠٩ أصل المشابهة
- ٣١٤ متى تكون الموافقة ومتى تكون المخالفة
- ٣١٧ ما بين التشبه والولاة من علاقة
- ٣١٩ مثال واحد من مشابهة اليهود والنصارى (العيد)
- ٣٢٣ صورة مشرقة من صور التمييز في المجتمع الاسلامي الاول
- ٣٣١ الأمكنة التي يمنع أعداء الله من دخولها والاقامة فيها
- ٣٣٤ الفصل السابع
- ٣٣٤ تعامل المسلمين مع غير المسلمين
- ٣٣٤ المبحث الاول :
- ٣٣٤ كلمة حول ما يسمى بزمانة الاديان
- ٣٣٩ الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى
- ٣٤٣ المبحث الثاني : التعامل مع الكفار في البيع والشراء
- ٣٤٥ الوقف عليهم أو وقفهم على المسلمين
- ٣٤٧ عيادتهم وتهنئتهم
- ٣٤٩ حكم السلام عليهم
- ٣٥٢ المبحث الثالث : الانتفاع بالكفار وما عندهم
- ٣٥٥ شروط عطل المسلم عند كافر في ارض الحرب
- ٣٥٥ حكم استئجار المشرك في الفزوة
- ٣٥٨ نصوص تاريخيه تثبت خيانة اليهود والنصارى في ولايات المسلمين .

مراعاة التفريق بين استخدام الكافر كشخص بمفرده وبين كونه

٣٦٠

صاحب سلطة ونفوذ

٣٦١ - ٤٠٩

الباب الثالث

٣٦١

الصورة التطبيقية للولاة والبراة في الماضي والحاضر

٣٦١

الفصل الاول : كيف طبق السلف الولاة والبراة

٣٦٢

موقف كعب بن مالك رضي الله عنه

٣٦٥

موقف عبد الله بن هذافه السهمي

٣٦٥

موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي

٣٦٥

موقف أبي عبيدة عامر بن الجراح

٣٦٥

موقف زيد بن الدثنة

٣٦٦

موقف انس بن النضر

٣٦٨

موقف ام حبيبة زوجة رسول الله من أبيها

٣٧٠

الفصل الثاني : صورة الولاة والبراة في عصرنا الحاضر

٣٧٤

الكواكبي وما قام به

٣٧٤

محمد عبده

٣٧٥

عباس محمود العقاد

٣٧٦

طه حسين

٣٧٧

خطط اعداء الاسلام واساليبهم

٣٧٧

(١) في التربية والتعليم

٣٨٠

الابتعاث

٣٨٠

رفاعة الطهطاوي

٣٨٢

صورة من صور الولاة والفكرى المعاصر

| | |
|---------|--|
| ٣٨٦ | (٢) وسائل الاعلام |
| ٣٩١ | (٣) نشر كتب المستشرقين |
| ٣٩٦ | (٤) المذاهب اللادينية |
| ٣٩٩ | خطورة احياء الحضارات الجاهلية |
| ٤٠٠ | القومية والوطنية |
| ٤٠٤ | العالمية |
| ٤٠٥ | مقال لمعروف الد واليبي حول العالمية |
| ٤٠٦ | مقالة لفتحي عثمان وفهمي هويدى حول العالمية |
| ٤٠٨ | كلمة حول هذه المذاهب |
| ٤١٠ | الخاتمة |
| ٤١٠ | الاسلام طريق الخلاص وسبيل النجاة |
| ٤١٧ | فهرس الاحاديث والاثار |
| ٤٢٥-٤٢٦ | فهرس الاعلام |
| ٤٢٧-٤٤٧ | فهرس المصادر والمراجع |
| ٤٤٨-٤٥٥ | فهرس الموضوعات |